ساكنو المنزل الملعون



شيرلي جاكسون



ترجمة: نرمين نزار



إلى ليونارد براون



اختار الدكتور مونتاجو المحقق العلمي في ظاهرة الأرواح، أن يعيش لعدة أسابيع في المنزل المعروف بـ "هيل هاوس"، صاحب السمعة المرعبة كمكان لا يقبل سُكنى البشر. لفحص ملاحظته والمساهمة فيها اختار ثلاثة رفقاء لم يكن على معرفة مسبقة بهم: فتاتان، ثيو وإلينور، وشاب يُدعى لوك وهو وريث هيل هاوس. كي نكون منصفين فإن ما حدث لا يمكن حكيه، ولكن كلمات الدكتور مونتاجو كانت نبوءة حين قال "الشبح لا يستطيع أن يؤذي أحدًا، الخطورة فقط تكمن في الخوف من الأشباح". وبينما كانت الأشباح في هيل هاوس هي ما سبّب الخوف، أو أن الخوف هو الذي اخترع الأشباح، فقد كانت هناك ظواهر كافية لتنتج في النهاية هلعًا محسوسًا وواقعيًا.

(1)

لا يمكن لأي كائن أن يستمر طويلًا بكامل عقله في ظروف الواقع المطلق، كما يعتقد البعض أن حتى صرصار الحقل والعصافير يحلمون أحيانًا. هيل هاوس نفسه، وهو غير عاقل، وقف أمام تلاله يحمل الظلام بداخله. وقف لثمانين عامًا وسيقف لثمانين أخرى. داخله استمرت الحوائط قائمة والتقت الحجارة بعناية وكانت الأرض صلبة والأبواب مغلقة باتزان. والصمت مستند في صمت على خشبٍ، وأحجار هيل هاوس وأي ما كان يمشي هناك.. يمشي وحيدًا.

كان الدكتور مونتاجو دكتورًا في الفلسفة ونال شهادته في علم الإنسان لشعور مبهم بأنه سيقترب عبر هذا المجال من مساره الحقيقي وهو تحليل الظواهر الماورائية. كان حريصًا على استخدام لقبه وآملًا في استعارة قدرٍ من الاحترام أو حتى السُلطة العلمية من مسيرته التعليمية، وهذا لأن أبحاثه لم تكن علمية على الإطلاق. كلفه استئجار هيل هاوس لثلاثة أشهر الكثير من المال والكبرياء؛ لأنه ليس رجلًا معتادًا على الاستجداء، ولكنه كان موقنًا من أن آلامه ستعوّض بالضجة التي ستعقب نشره لعمله الحاسم عن أسباب وآثار الاضطرابات الروحانية في منزل عُرِف عامة على



أنه "مسكون". عندما سمع بهيل هاوس كان متشككًا في بادئ الأمر، ثم تملكه الأمل، ثم صار مصممًا. لم يكن الرجل الذي سيتخلى عن هيل هاوس بعد أن وجده.

كانت نية الدكتور مونتاجو ناحية هيل هاوس مستوحاة من أساليب صائدي الأشباح الجسورين في القرن التاسع عشر، فقد فكّر في الذهاب ليعيش هناك ويرى ما يحدث. وتمثلت نيته في البداية في أن يتبع أثر السيدة المجهولة التي عاشت في منزل بالكين وأقامت حفلًا ممتدًا طوال الصيف للمتشككين والمؤمنين، يتضمن فقرات تسلية بارزة مثل لعب الكروكيه ومراقبة الأشباح، ولكن العثور على المتشككين والمؤمنين ولاعبي الكروكيه أصعب في الوقت الحالي؛ فقد أُجبر الدكتور مونتاجو على إشراك مساعدين. ربما كانت الأساليب المسترخية للحياة الفيكتورية أكثر ملائمة لأدوات التحقق الروحاني أو قد يكون الزمن عفا على التوثيق الدقيق للظواهر كطريقة لتحديد واقعيتها. على كل حالٍ كان على الدكتور مونتاجو ليس فقط أن يوظف مساعدين، ولكن أن يبحث عنهم أيضًا.

ولأنه يرى نفسه حريصًا وصاحب ضمير حي فقد قضى وقتًا طويلًا في البحث عن مساعديه. بحث بدقة في سجلات الجمعيات الروحانية والملفات الأرشيفية



لجرائد الإثارة وتقارير الباراسيكولوجي وجمع قوائم بأسماء أشخاص اشتبكوا في أحداث ما ورائية بطريقة أو بأخرى في أي وقتٍ، وبغض النظر عن كون ذلك الاشتباك قصيرًا أو مريبًا. شطب من هذه القائمة أولًا أسماء من ماتوا، ثم أسماء من بدوا له باحثين عن الشهرة أو قليلي الذكاء، أو غير مناسبين بسبب ميل واضح إلى أن يكونوا مركز الأضواء، فتبقت عنده قائمة من حوالي اثني عشر اسمًا. تلقت كل من تلك الأسماء رسالة من الدكتور يدعوهم إلى قضاء كل أو جزء من الصيف في منزل ريفي مريح وقديم ولكنه مجهز بالسباكة والكهرباء والتدفئة المركزية والمراتب المريحة. حددت الرسائل بوضوح الغرض من إقامتهم وهو مراقبة واستكشاف القصص البغيضة العديدة التي تنتشر حول المنزل طوال سنوات وجوده الثمانين. لم تصرّح خطابات الدكتور مونتاجو أن هيل هاوس منزل مسكون؛ لأن الدكتور كان رجل علم ولن يجازف قبل أن يختبر بالفعل ظواهر م اورائية في هيل هاوس. بالتالي كان لخطاباته نوعٌ من الترفع المبهم المحسوب بدقة كي يستحوذ على خيال نوع معين جدًا من القراء. وصلت أربعة ردود على رسائل الدكتور مونتاجو الاثنتي عشرة؛ إذ أن المرشحين الثمانية الأخرون قد انتقلوا من عناوينهم دون أن يتركوا عناوين بديلة



لتحويل الخطابات عليها، أو ربما فقدوا اهتمامهم بالماورائيات، أو لم يتواجدوا في الحقيقة أبدًا. كتب الدكتور مونتاجو مرة أخرى للأربعة الذين أجابوا ليُحدد يومًا ينتظر أن يكون فيه المنزل جاهزًا للسكن، كما ضمّن الخطاب تعليمات مفصلة للوصول إليه، كان مضطرًا لشرحها، إذ أنه من الصعب جدًا الحصول على معلومات حول العثور على المنزل، خاصة من المجتمع الريفي المحيط به. في اليوم السابق على الموعد المقرّر لرحيل الدكتور مونتاجو إلى هيل هاوس تم إقناعه باصطحاب ممثلٍ للعائلة التي تملك المنزل، كما وصله تلغراف من أحد المرشحين يعلن فيه انسحابه بحجة بدت في ظاهرها أنها مختلقة. لم يأتِ مُرشّح آخر ولم يرسل رسالة، ربما لأن مشكلة شخصية عاجلة قد حالت دون ذلك. أتى الاثنان الآخران.

***

كانت إلينور فانس في الثانية والثلاثين عندما أتت إلى هيل هاوس. كان الشخص الوحيد في العالم الذي تكرهه بصدق هو أختها بما أن أمها قد ماتت. لم تحب زوج أختها ولا ابنة أختها البالغة من العمر خمس سنوات، ولم يكن لديها أصدقاء. يعود ذلك بشكل كبير إلى الإحدى عشرة سنة التي قضتهم في رعاية أمها القعيدة والتي تركتها ببعض المهارة في التمريض



وعدم قدرة على مواجهة الشمس دون أن ترمش. لم تتذكر أنها كانت سعيدة بصدقٍ طوال حياتها كبالغة. بنيت سنواتها مع والدتها بإخلاص حول الشعور بقليل من الذنب والقليل من التبكيت والوهن المستمر واليأس الأبدي. قضت وقتًا طويلًا وحدها دون رغبة منها أبدًا في أن تصبح متحفظة وخجولة بدون شخص تحبه، حتى إنه أصبح صعبًا عليها التحدث مع شخص آخر ولو عرضًا دون أن تهابه أو تشعر بالارتباك وعدم القدرة على الوصول إلى الكلمات المناسبة. ظهر اسمها على قائمة الدكتور مونتاجو نتيجة أنها وهي في الثانية عشرة وأختها في الثامنة عشر، وبعد أقل من شهر على وفاة والدهما، سقط على منزلها سيل من الأحجار بلا سابق إنذار أو أي إشارة إلى سبب أو منطق، سقطت من الأسقف وتدحرجت على الحوائط محدثة ضجيجًا وكسرت النوافذ وطقطقت على السقف بشكل يثير الجنون. استمرت الأحجار بشكل متقطع لثلاثة أيام تعرضت خلالها أعصاب إلينور وشقيقتها للتعب بسبب الجيران والمتجمهرين الذين اجتمعوا يوميًا خارج بابهم، إلى جانب إصرار والدتها الهيستيري الأعمى أن هذا يحدث بسبب سكان الشارع الخبثاء النمامين الذين يضمرون لها شرًا منذ أتت. بعد ثلاثة أيام نقلت إلينور مع شقيقتها إلى منزل صديق



وتوقفت الأحجار عن السقوط ولم تعد أبدًا، مع أن إلينور وشقيقتها ووالدتها عُدنَ ليعيشن في المنزل، كما لم يتوقف أبدًا والعداء مع الحي بأكمله. نسي الجميع الحكاية ما عدا الناس الذين استشارهم الدكتور مونتاجو، ونُسيت قطعًا بالنسبة لإلينور وشقيقتها اللتين تصورت كل منهما في ذلك الوقت أن الأخرى هي السبب.

منذ أولى ذكرياتها وعلى امتداد حياتها، انتظرت إلينور شيئًا مثل هيل هاوس خلال الاعتناء بوالدتها، ومع حمل امرأة غاضبة من كرسيها إلى سريرها وتحضير صوانٍ لا نهائية من الشوربة والشوفان وتهيئة نفسها لمواجهة الغسيل المتسخ، تمسكت إلينور بالاعتقاد أنه في يوم ما سيحدث شيء. كانت قد قبلت الدعوة إلى هيل هاوس عبر رسالة بريدية ولكن زوج أختها أصر على الاتصال ببعض أصدقائه ليتأكد من أن هذا الدكتور فلان لا يهدف إلى تعريف إلينور بطقوس وحشية متعلقة بأمور تعتبرها أخت إلينور غير ملائمة لتعرفها شابة عزباء. وفي أمان غرفة الزوجية همست أخت إلينور أن الدكتور مونتاجو – إن كان ذلك اسمه حقًا- قد يكون يستخدم النساء لنوع من التجارب مثلًا. أنت تفهم ما أعنيه. تجارب كما يفعل البعض. أسهبت أخت إلينور باستفاضة في تلك التجارب التي قد



سمعت أن الأطباء يقومون بها. لم تخطر تلك الأفكار ببال إلينور إطلاقًا وإن خطرت فهي لم تخفها. باختصار كان بإمكان إلينور الانتقال إلى أي مكان.

تيودورا – هذا كان الاسم الذي تستخدمه حصرًا. توقع إسكيتشاتها بـ "تيو" وعلى باب شقتها وفاترينة محلها وأمام رقمها في دليل الهاتف وعلى أدواتها المكتبية الباهتة وأسفل الصورة الفوتوغرافية الجميلة الموضوعة على الرف. كان الاسم دائمًا تيودورا- لم تكن تيودورا مثل إلينور مطلقًا. الواجب والضمير كانا بالنسبة لها صفات تخص فتيات الكشافة، وكان عالمها هو عالم المتعة والألوان الناعمة. وصلت تيودورا إلى قائمة الدكتور مونتاجو بسبب أنها – بعد دخولها ضاحكة إلى المعمل جالبة معها دفقة من عطر الزهور – استطاعت بمهارة رهيبة، أضحكتها وأثارتها هي شخصيًا، تحديد ثمانية عشر كارتًا صحيحًا من عشرين، خمسة عشر كارتًا من عشرين وتسعة عشر كارتًا من عشرين، يرفعهم أحد المساعدين بعيدًا عن البصر والسمع. ذاع صيت تيودورا في المعمل ليلفت حتمًا انتباه الدكتور مونتاجو. وبعد أن تسلمت خطاب الدكتور مونتاجو الأول أرسلت ردًا من باب الفضول (ربما كان أسيتقاظ المعرفة في تيودورا والذي مكنها من تحديد أسماء الرموز المكتوبة على كروت خارج



مجال بصرها حثها على إكمال طريقها إلى هيل هاوس) ومع ذلك فقد كانت تنوي رفض الدعوة. ولكن – وربما بتأثير الشعور المقلق والمِلحّ مرة أخرى – أغريت تيودورا عندما أتى خطاب القبول النهائي من الدكتور مونتاجو، وانطلقت مغمضة العينين وبعشوائية في مشاجرة مع الصديقة التي كانت تشاركها السكن. قيلت أشياء من الطرفين لا يمحوها إلا الزمن وحطمت تيودورا عمدًا وبقسوة التمثال الصغير الرائع الذي نحتته لها صديقتها فمزقت صديقتها كتاب ألفريد دي موسيه الذي كان هدية عيد ميلادها من تيودورا مولية عناية خاصة لتمزيق الصفحة التي حملت إهداء تيودورا المحب والمشاكس. لا يمكن نسيان تلك الأفعال بالطبع، ويجب مرور وقت طويل قبل أن نستطيع الضحك عليهم سويًا. كتبت تيودورا في تلك الليلة لدكتور مونتاجو تؤكد قبول دعوته وغادرت بصمت بارد في اليوم التالي.

كان لوك ساندرسون كاذبًا. وكان أيضا لصًا. خالته التي كانت مالكة هيل هاوس، كانت مولعة بالإشارة إلى أن ابن أختها قد حصل على أفضل تعليم وأفضل ملابس وأفضل ذوق وأسوأ صُحبة بين جميع الأشخاص الذين تعرفهم، ولم تترك أي فرصة كي تبعده إلى مكانٍ آمنٍ لبضعة أسابيع. أُوحي إلى محامي العائلة



بإقناع الدكتور مونتاجو بأن المنزل لا يمكن تأجيره بأي حال للأغراض التي يرغب فيها دون التواجد الدائم لأحد أفراد الأسرة خلال إقامته، وربما استشف الدكتور نوع من القوة في لوك أو غريزة تشبه غريزة القطط في الحفاظ على نفسها جعله متحمسًا بقدر السيدة ساندرسون لبقاء لوك في المنزل. على كل حال كان لوك متسليًا وخالته ممتنة والدكتور مونتاجو شديد الرضا. قالت السيدة ساندرسون لمحامي العائلة أنه في كل الأحوال لا يوجد شيء يستحق السرقة في المنزل، فالفضة القديمة كان لها بعض القيمة ولكنها تكاد تكون منيعة على لوك فهي تتطلب طاقة كي تُسرَق وتُحوَّل إلى مال. ظلمت السيدة ساندرسون لوك. فلم يكن لوك ليسرق فضة العائلة أبدًا أو حتى ساعة الدكتور مونتاجو أو أسوارة تيودورا. كانت عدم أمانته قاصرة على أخذ أموال قليلة من محفظة خالته والغش في لعب الورق. كان أيضًا ميالًا لبيع الساعات وعلب السجائر التي تعطيها له بمحبة وخدود متوردة صديقات خالته. سيرث لوك هيل هاوس في يوم من الأيام ولكنه لم يتصور أبدًا أن يجد نفسه يعيش فيه.

***

قال زوج أخت إلينور بعناد: "كل ما في الأمر أني أرى أنه لا يجب عليها أخذ السيارة."



قالت إلينور: "إني أملك نصف السيارة. لقد ساعدت في دفع ثمنها."

قال زوج أختها: "لا أظن أنها يجب أن تأخذها. هذا كل ما في الأمر". واستمال زوجته: "ليس من العدل أن تحظى باستخدامها طوال الصيف ونبقى نحن دونها."

قالت إلينور: "كاري تقودها طوال الوقت وأنا لا أخرجها أبدًا من الجراج. بالإضافة إلى أنكم ستكونون في الجبل طيلة الصيف ولا يمكن أن تستعملوها هناك. أنت تعرفين أنكم لن تستخدموا السيارة في الجبال يا كاري."

"ولكن ماذا لو مرضت ليني الصغيرة المسكينة أو حدث شيءٌ مثل ذلك واحتجنا إلى سيارة كي نذهب إلى المستشفى؟؟"

قالت إلينور: "نصف السيارة لي وأنا أنوي أن آخذها."

"ماذا لو مرضت كاري حتى؟ ماذا لو لم نستطع الوصول إلى طبيب واحتجنا أن نذهب إلى المستشفى؟"

"أريدها وأنوي أن آخذها."

تكلمت كاري ببطءٍ وتعمُّد: "لا أظن. نحن لا نعرف إلى أين ستذهبين، أليس كذلك؟ لم تري أنه من المناسب إخبارنا الكثير عن الأمر. ألم تفعلي؟ لا



أستطيع رؤية أن الحل المناسب هو أن تستعيري سيارتي."

"نصف السيارة ملكي."

"لا." -قالت كاري- "لا يمكنك."

هز زوج أخت إلينور رأسه قائلًا: "حسنًا. نحن نحتاجها كما قالت كاري."

ابتسمت كاري قليلًا: "لن أسامح نفسي أبدًا يا إلينور إن أعرْتك السيارة وحدث شيءٌ ما. كيف نعرف أنه بإمكاننا الثقة في هذا الدكتور؟ أنتِ لا زلتِ شابة صغيرة في النهاية والسيارة قيمتها المادية كبيرة."

"حسنًا يا كاري. لقد اتصلت بهومر في مكتب الائتمان وقال لي أن هذا الشخص له وضع جيد في كلية ما..."

قالت كاري وهي لا تزال مبتسمة: "بالطبع لدينا كل الأسباب التي تدفعنا لافتراض أنه شخص جيد. ولكن إلينور لا تختار أن تقول لنا أين هي ذاهبة أو كيفية الوصول إليها إن أردنا استرداد السيارة، قد يحدث شيء ما ويمكن ألا نعرف أبدًا. حتى لو كانت إلينور" وهنا قامت بتوجيه الحديث برقة نحو فنجان الشاي في يدها "حتى لو كانت إلينور مستعدة للركض إلى نهاية العالم تلبية لدعوة أي رجل؛ فما زال لا يوجد سبب للسماح لها بأخذ سيارتي معاها."



"إني أملك نصف السيارة."

"تصوري لو مرضت ليتي الصغيرة المسكينة في الجبال بلا شخص حولنا؟ بلا طبيب؟"

"على أي حال يا إلينور أنا متأكدة أني أفعل ما كانت أمّنا سترى أنه الأفضل. ماما كان لديها ثقة فيّ، وكانت بالقطع لن توافق أبدًا على تركك تجمحين وتنطلقين إلى حيث لا يعلم أحدٌ، في سيارتي".

"أو تصوري حتى لو مرضت أنا نفسي هناك في..."

"أنا واثقة أن ماما كانت ستوافقني يا إلينور"

قال زوج أخت إلينور وقد خطرت بباله فكرة مفاجئة: "بجانب ما سبق كيف سنعرف أنك سترجعيها بحالة جيدة؟"

قالت إلينور لنفسها أن لكل شيء مرة أولى. خرجت من التاكسي في الصباح البارد وهي ترتجف لأنه في نفس ذلك الوقت قد تكون أختها وزوجها قد بدأ يتحرك فيهما بدايات بذور مبهمة للشك. أخرجت حقيبة ملابسها بسرعة من التاكسي بينما كان السائق يرفع قطعة الكرتون التي وضعها على الكرسي الأمامي. أسرفت إلينور في دفع البقشيش له متسائلة ما إن كانت أختها وزوجها يتبعاها وإن كانا في تلك اللحظة يدخلان إلى الشارع ويقولان لبعضهما "ها هي كما فكرنا بالظبط. لصة كعادتها". استدارات باستعجال نحو



جراج المدينة الضخم حيث تصف سيارتهما وألقت نظرات قلقة نحو نهاية الشارع. اصطدمت بسيدة عجوز قصيرة مُبعثرة لفافاتها في جميع الأنحاء ورأت بامتعاضٍ انسكابَ محتويات حقيبة وتكسُّرها على الرصيف حيث خرج منها قطع مكسرة من كعكة الجبن وشرائح طماطم وقطعة خبز ناشفة. صرخت السيدة العجوز القصيرة "اللعنة عليكِ! اللعنة عليكِ".. وهي تدفع بوجهها في مواجهة إلينور "كنت آخذ تلك الأشياء إلى المنزل. عليكِ اللعنة. عليكِ اللعنة!".

قالت إلينور "أنا آسفة جدًّا" وانحنت ولكن لم يبدُ ممكنًا أن تغترف شظايا الطماطم وكعكة الجبن وتدفع بها بشكلٍ ما إلى الحقيبة الممزَّقة. كانت السيدة العجوز تنحني متجهمة وتنتزع اللفافات الأخرى قبل أن تصل إليهم إلينور. أخيرًا وقفت إلينور مبتسمة في اعتذار متشنج وقالت: "أنا حقًّا آسفة".

قالت السيدة العجوز القصيرة "اللعنة عليكِ" ولكن بصوت أهدأ "لقد كنت آخذ تلك الأشياء إلى المنزل من أجل غدائي والآن وبفضلك أنت..."

"ربما أستطيع أن أدفع؟" أمسكت إلينور بمحفظتها ووقفت السيدة العجوز القصيرة ساكنة تفكر.

قالت أخيرًا: "لا أستطيع أن آخذ مالًا ببساطة فأنا لم أشترِ الأشياء. كانوا بقايا" وأطبقت شفتيها بغضبٍ.



"كان عليكِ أن تري اللحم الذي كان عندهم. ولكنّ شخصًا آخر حصل عليه. وقطع الحلوة الصغيرة في الأطباق الورقية. تأخرت على كل شيء. والآن..."
نظرت هي وإلينور إلى الفوضى على الرصيف وقالت السيدة العجوز القصيرة "لذا فكما ترين لا أستطيع أن آخذ المال. لا المال ببساطة من يدك ولا مقابل الطعام."

"هل يمكن أن أشتري لك شيئًا كتعويض إذًا؟ أنا مستعجلة جدًا، ولكن إن وجدنا مكانًا مفتوحًا..."

ابتسمت السيدة العجوز القصيرة بشرٍ وقالت: "لا يزال لدي هذا على كل حال" واحتضنت لفافة بشدة "يمكنك أن تدفعي لي أجرة سيارة تاكسي حتى المنزل حيث لا يُتوقع أن يدفعني شخص آخر إلى الأرض."

"بكل سرور" قالت إلينور واستدارت نحو سائق تاكسي كان ينتظر باهتمام وسألته: "هل يمكنك أن تأخذ هذه السيدة حتى منزلها؟"

قالت السيدة العجوز القصيرة: "يكفي دولاران. وهذا لا يتضمن بقشيشًا لهذا السيد بالطبع. كَوني ضئيلة الحجم إلى هذه الدرجة يشكّل خطرًا، خطرًا بالفعل، أن يدفعك الناس فتقع. ومع ذلك فمن الدواعي الحقيقية للسرور أن أجد شخصًا مثلك مستعدًا لتعويضي. أحيانًا لا يستدير من يوقعوني لينظروا إليّ ولو نظرة واحدة"
ثم تسلقت إلى داخل التاكسي بمساعدة إلينور مع



لفافاتها وأخذت إلينور دولارين وخمسين سنتًا من محفظتها وسلمتهم للسيدة العجوز القصيرة التي أقفلت عليهم يدها الضئيلة.

قال سائق التاكسي: "حسنًا يا حبيبتي، إلى أين سنذهب؟"

ضحكت السيدة العجوز القصيرة وقالت: "سأقول لك بعد أن نبدأ في التحرك". ثم قالت لإلينور: "حظًا سعيدًا يا عزيزتي. انتبهي بعد الآن ألا توقعي الناس."

قالت إلينور: "مع السلامة. أنا حقًا آسفة جدًا."

قالت السيدة العجوز "لا بأس إذًا". ولوحت بيدها بينما التاكسي يتحرك من جوار الرصيف "سأصلي من أجلك يا عزيزتي."

فكرت إلينور وهي تراقب التاكسي يبتعد: *ها هو شخص واحد على الأقل سيصلي من أجلي. شخص واحد على كل حال.*

***

كان أول يوم مشمس حقًا في السنة. يوم يعيد إلينور دائمًا إلى ذكريات مؤلمة عن طفولتها المبكرة حين كان يبدو أن الصيف مستمر دائمًا؛ فهي لم تتذكر وجود شتاء قبل وفاة والدها في يوم ممتلئ بالبرد والبلل. اعتادت مؤخرًا خلال هذه السنين التي جرت سريعًا على التأمل فيما قد يكون حدث لكل أيام



الصيف المهدرة، كيف ضيعتهم بكل تلك العشوائية؟ في بداية كل صيف كانت تقول لنفسها: أنا حمقاء، شديدة الحماقة. لقد كبرت الآن وعرفت قيمة الأشياء. كانت تصدق أن لا شيء يذهب سدى حقًا حتى طفولة المرء، ثم بعد ذلك وفي كل عام، في نهار صيفي ما، كانت الرياح الدافئة تهب بينما تتمشى إلينور في أحد شوارع المدينة وتلمسها الفكرة الباردة: *لقد تركت وقتًا أكثر يضيع*. ولكن في هذا الصبح وهي تقود السيارة الصغيرة التي تملكها هي وأختها معًا، متحفزة لاحتمالية اكتشافهم أنها أتت في النهاية وأخذتها ببساطة، ابتسمت نحو الشمس المائلة في الشارع وهي تقود السيارة بوداعة وتتبع خطوط المرور وتتوقف عندما يُطلب منها ذلك وتستديرعندما تستطيع قائلة: *أنا ذاهبة، أنا ذاهبة، لقد أخذت خطوة أخيرًا*. دائمًا في الماضي عندما كانت أختها تسمح لها بقيادة السيارة الصغيرة كانت تتصرف بحرص متحركة بأقصى عناية كي تتفادى أقل خدش أو شائبة قد تضايق أختها ولكن اليوم، مع صندوقها في المقعد الخلفي وحقيبة ملابسها على الأرض وقفازاتها ومحفظتها ومعطفها الخفيف على المقعد بجوارها فإنها تملك السيارة بالكامل. عالم صغير محتوٍ على ذاته، كانت تقول لنفسها أنا حقًا ذاهبة.



عند إشارة المرور الأخيرة في المدينة وقبل أن تستدير نحو الطريق السريع العظيم المتجه خارجها، توقفت وسحبت رسالة الدكتور مونتاجو من محفظتها. فكرت أنها لن تحتاج لخريطة، لا بُدَّ أنه رَجلٌ حريص جدًا.. قالت الرسالة "الطريق 39 إلى أشتون، ثم تستديرين إلى اليسار نحو الطريق 5 غربًا. اتبعي الطريق لأقل قليلًا من ثلاثين ميلًا وستصلين إلى قرية صغيرة اسمها هيلسديل. اعبري هيلسديل حتى الناصية التي تقع عندها محطة الوقود على اليسار وكنيسة على اليمين واستديري يسارًا نحو ما سيبدو أنه طريق ريفي ضيق. ستصعدين نحو الجبال والطريق الرديء. اتبعي هذا الطريق إلى نهايته – حوالي ستة أميال- وستصلين إلى بوابة هيل هاوس. أنا أكتب هذه التعليمات بشكل مفصّل؛ لأني لا أنصحك بالتوقف في هيلسديل كي تسألي عن الطريق. الناس هناك غير مهذبين مع الغرباء وعدوانيون بشكلٍ واضحٍ مع أي شخص يسأل عن هيل هاوس. أنا سعيد أنك ستنضمين لنا في هيل هاوس ويسرنا بشدة أن نتعرف إليكِ يوم الخميس الحادي عشر من يونيو..."

تغيّر ضوء إشارة المرور فاستدارت نحو الطريق السريع وتحررت من المدينة. فكرت في أن لا أحد يمكنه أن يلحق بها الآن. *إنهم لا يعرفون أين أذهب*.



لم تكن قد قادت السيارة كل تلك المسافة من قبل. وفكرة تقسيم رحلتها الرائعة إلى أميالٍ وساعاتٍ مجرَّدة كانت سخيفة، فقد رأت هذه الرحلة تنبسط أمامها، وهي تدفع بسيارتها بدقة بين خط الطريق وخط الأشجار الموازية للطريق، كانبساط لحظات ساحرة طازجة تحملها معها عبر مسار مدهش إلى مكانٍ جديدٍ. كانت الرحلة في حدّ ذاتها تصرّفًا إيجابيًا، الهدف مبهم، غير متخيل، ربما ليس له وجود. تعمدت أن تتلذذ بكل انحناءة في سفرها، تحب الطريق والأشجار والبيوت والمدن الصغيرة القبيحة، تمازح نفسها بفكرة أنها تتوقف في أي مكانٍ ولا ترحل أبدًا مرة أخرى. قد توقف سيارتها في جانب الطريق السريع – مع أن ذلك ممنوع كما قالت لنفسها، وقد تعاقب إن فعلت ذلك- وتتركها هناك بينما تتجول بين الأشجار نحو الريف الناعم المرحب خلفها.

قد تتجول حتى تنهك وتلاحق الفراشات أو تتبع جدولًا ثم تصادف كوخَ حطّابٍ فقيرٍ عندما يأتي الليل ويعرض عليها مأوى، قد تصنع لنفسها بيتًا في شرق بارنجتون أو دزموند أو قرية برك المحكومة ذاتيًا. قد لا تترك الطريق أبدًا ولكن تسرع عليه باستمرار حتى تبلى عجلات سيارتها وتتلاشى وتصل إلى نهاية العالم.

وفكرت *أو يمكن ببساطة أن أذهب إلى هيل هاوس*



حيث ينتظر مجيئي وحيث أمنح مأوى وغرفة وإقامة ومرتب رمزي تقديرًا لهجري التزاماتي ومشاغلي في المدينة والانطلاق كي أرى العالم. أتساءل عن الدكتور مونتاجو. أتأمل فيما قد يكون عليه هيل هاوس. أفكر فيمن سيكون هناك أيضًا.

كانت بعيدة عن المدينة الآن. تترقب الاستدارة نحو الطريق 39. تلك الجزئية المسحورة من الطريق التي اختارها لها الدكتور مونتاجو بين كل الطرق في العالم كي تُحضِرها بأمانٍ إليه وإلى هيل هاوس. لا يمكن لأيّ طريق آخر أن يقودها من حيث هي إلى حيث تريد أن تكون. تأكد كلام الدكتور مونتاجو وأصبح منزهًا عن الخطأ. قبعت تحت اليافطة التي تشير إلى الطريق 39 يافطة أخرى تقول: أشتون، 121 ميل.

انحنى الطريق وانخفض، أصبح صديقها الحميم الآن، ملتفًا حول المفارق حيث تنتظر المفاجآت – بقرة في إحدى المرات تنظر إليها من فوق سياج، ومرة أخرى كلب غير مبالٍ- إلى الأسفل حيث تقع البلدات الصغيرات متجاوزة الحقول والبساتين. في الشارع الرئيسي لإحدى القرى عبرت بمنزل شاسع الأطراف بعواميد وأسوار وشيش يغطي الشبابيك وزوج من الأسود الحجرية تحرس الدرج وفكرت أنها قد تعيش هناك، تزيل التراب عن الأسود كل صباح وتربت على



رأسهم متمنية لهم ليلة سعيدة. طمأنت نفسها بأن الزمن يبدأ في هذا الصباح في يونيو، ولكنه يوم جديد يميل إلى الغرابة والتوحد. *في تلك الثواني القليلة عشت عمرًا في بيتٍ بأسدين أمامه. في كل صباح كنت اكنس الشرفة الأمامية وأزيل التراب من على الأسود وفي كل مساء أربت على رأسيهما قائلة تصبحون على خير وأغسل وجهيهما وعرفهما ومخالبهما بالماء الدافئ والصودا وأغسل بين أسنانهما برقعة. داخل المنزل كانت الغرف عالية بأرضيات صافية ولامعة ونوافذ ملمّعة. تعتني بي سيدة عجوز دقيقة الملامح تتحرك حركة منشاه بطاقم شاي فضي على صينية وتأتي لي بكوب من نبيذ ثمرة التيليو كل مساء لأجل صحتي. اتناول عشائي وحدي في غرفة الطعام الواسعة الهادئة على طاولة لامعة بين شبابيك عالية والتجليد الأبيض للحوائط ينير في ضوء الشموع. أتعشى على طير وفجل من الحديقة ومربى البرقوق المصنوعة في المنزل. عندما أنام يكون ذلك تحت ناموسية من الشاش القطني الأبيض ويحرسني ضوءٌ لَيليٌّ يأتي من البهو. ينحني لي الناس في شوارع البلد لأن الجميع فخورون جدًا بأسودي. عندما أموت...*

عند هذا الوقت كانت قد تركت البلدة خلفها على مسافة طويلة ومرت بأكشاك قذرة مغلقة ويافطات



ممزقة. أقيم في مكانٍ قريبٍ من تلك الأرجاء كرنفال منذ زمن طويل مع سباقات للدراجات البخارية. حملت اليافطات أجزاءً من الكلمات. سرعة، قالت واحدة وأخرى قالت شر، ضحكت مع نفسها مدركة كيف أنها تستقبل النذائر في كل مكان، الكلمة كانت في الأغلب شروطًا يا إلينور، شروط المسابقة بينما أبطأت لأنها كانت تقود السيارة بسرعة شديدة وقد تصل إلى هيل هاوس أبكر من اللازم.

توقفت عند إحدى النقاط بجوار الطريق وحدقت بعدم تصديق وتساؤل. بطول الطريق ولمسافة حوالي ربع ميل كانت تمر بصف رائع من زهور الدلفي المعتنى بها والتي تزهر باللونين الزهري والأبيض في صف مستقيم. وصلت الآن إلى البوابة التي يحرسونها وتمتد بعدها الأشجار. كانت البوابة عبارة عن زوج من العواميد الحجرية المحطمة بطريق يمتد بعيدًا بين حقول خاوية. استطاعت أن ترى أشجار الدلفي تبتعد عن الطريق وتمتد بجوار كل ضلع من أضلاع المربع الضخم وكانت تستطيع أن ترى الجانب البعيد من المربع وهو عبارة عن صفٍّ من أشجار الدلفي تبدو وكأنها تمتد بجوار نهر صغير. لم يكن هناك شيء داخل مربع الدلفي. لا بيت ولا مبنى ولا شيء ما عدا طريقًا مستقيمًا يمتد وينتهي عند النهر.

تساءلت ما الذي يوجد هنا؟ ما الذي كان هنا ولم يعد أو ما الذي كان سيصبح هنا ولكنه لم يأتِ قَطّ؟ هل دُفعوا إلى الرحيل للأبد أم سيعودون؟ تذكرت أن الدلفي سام، هل يمكن أن تكون هنا لحراسة شيءٍ ما؟

هل، فكرت، هل أخرج من سيارتي وأمشي بين البوابة المحطمة، وعندما أكون في مربع الدلفي المسحور اكتشف أني أتجول في بلاد العجائب المحروسة بالسم من عيون المارة؟ عندما أخطو بين عواميد المدخل المسحور هل سأجد نفسي قد مررت عبر حاجز للحماية وأكسر التعويذة؟ سأدخل إلى حديقة جميلة بنوافير ومقاعد منخفضة وورود تتسلق تعريشات وأجد ممرًا - مرصعًا بالمجوهرات ربما الياقوت والمرجان، ناعمًا بما يكفي كي تمشي عليه ابنة الملك بقدميها الصغيرتين في الصندل- وسيقودني مباشرة إلى القصر الذي يقع تحت تأثير التعويذة. سأصعد سلمًا بدرجات حجرية قليلة الارتفاع متجاوزة أُسودًا حجرية تقف للحراسة وأدلف إلى باحة تلعب فيها نافورة وتنتظر الملكة عودة الأميرة منتحبة. ستسقط القطعة التي تطرزها عندما تراني وتصيح بخدم القصر - الذي يفيقون أخيرًا من سباتهم الطويل - كي يحضروا وليمة عظيمة لأن تأثير السحر قد انتهى والقصر عاد إلى أصله مرة أخرى. وسنعيش في سعادة إلى الأبد.



لا بالطبع، فكرت وهي تدير السيارة، عندما يصبح القصر مرئيًا وتزول التعويذة، ستزول بأكملها وسيعود هذا الريف الواقع خلف الدلفي إلى شكله الأصلي لتتلاشى البلدات والياقطات والأبقار متحولة إلى صورة من قصة خيالية. ثم يأتي، هابطًا من الجبال، فارس يركب حصانه في زيٍّ أخضر وفضيٍّ لامع معه مئات من الرماة يركبون خلفه تهتز سلاسلهم وتتقافز أحصنتهم بينما المجوهرات تلمع...

ضحكت واستدارت لتبتسم مودعة الدلفي المسحورة. في يومٍ آخر، قالت لنفسها، في يومٍ آخر *سآتي وأُبطِل تعويذتك*. توقفت لتناول الغداء بعد أن قادت السيارة لمئة وواحد ميل. وجدت مطعمًا ريفيًّا أعلن عن نفسه كطاحونة قديمة ووجدت نفسها جالسة، ويالروعة، في شرفة تطل على جدول تنظر إلى الصخور المبتلة والخرير المخدر للماء المتحرك وأمامها طبق زجاجي به جبن قريش وأصابع من خبز الذرة في منديل. ولأنه زمانٌ وأرضٌ يحدث فيهما الافتتان بسرعة ويزول بسرعة، أرادت أن تتمهل في غدائها؛ لأنها تعرف أن هيل هاوس سينتظرها دائمًا في نهاية اليوم. الأشخاص الآخرون الوحيدون في غرفة الطعام كانوا عائلة من أم وأب وولد وبنت صغار وكانوا يتحدثون مع بعضهم البعض بنعومة ورِقّة، وفي مرة

استدارت الفتاة وتأملت إلينور بفضول صريح ثم بعد دقيقة، ابتسمت. لمست الأنوار الآتية من الجدول بالأسفل السقف والطاولات المصقولة ولمعت عبر ضفائر البنت الصغيرة وقالت والدة البنت: "تريد كوب النجوم الخاص بها."

نظرت إلينور إلى الأعلى بدهشة. كانت البنت الصغيرة تنزلق في كرسيها بتذمر رافضة الحليب بينما يعبس الأب ويقهقه أخوها وتقول الأم بهدوء: "إنها تريد كوب النجوم الخاص بها."

نعم بالفعل، فكرت إلينور. وأنا كذلك بالفعل. كوب نجوم *طبعًا*.

كانت الأم تشرح مبتسمة في اعتذار للنادلة التي أذهلها أن حليب الطاحونة الريفي الجيد لم يكن دسمًا بما يكفي للبنت الصغيرة "كوبها الصغير. به نجوم في قاعه وهي دائمًا ما تشرب الحليب منه في المنزل. تسميه كوب النجوم لأنها تستطيع أن ترى النجوم وهي تشرب الحليب" هزت النادلة رأسها دون اقتناع وقالت الأم للبنت الصغيرة: "ستتناولين حليبك من كوب النجوم الخاص بك الليلة عندما نعود إلى المنزل ولكن الآن فقط كي تكوني فتاة صغيرة صالحة، هل ستشربين القليل من الحليب من هذا الكوب؟"

لا تفعلي، قالت إلينور للبنت الصغيرة. *أصري على*



كوب نجومك. فور أن يوقعوكِ في فخ أن تصبحي مثل كل شخص آخر لن تري كوب نجومك مرة أخرى. لا تفعلي. نظرت البنت الصغيرة إليها وابتسمت ابتسامة أريبة. ابتسامة مؤثرة ومتفهمة بالكامل وهزت رأسها بعنادٍ رافضة الكوب. قالت إلينور لنفسها، فتاة شجاعة؛ فتاة حكيمة وشجاعة. قال الأب: "أنتِ تفسدينها. يجب ألا يُسمح لها بنزواتها تلك."

قالت الأم: "هذه فقط" وهي تعيد كوب الحليب على الطاولة وتلمس البنت الصغيرة بنعومة على يدها قائلة "كلي الآيس كريم."

عندما غادروا لوحت البنت بيدها مودعة إلينور؛ فلوحت لها إلينور بدورها وهي تجلس وحدها مبتهجة تكمل قهوتها بينما يتدفق الجدول المرح تحتها.

لم يعد لدي مسافة طويلة لأقطعها، قالت إلينور لنفسها. *أنا تجاوزت نصف المسافة.* فكرت في نهاية الرحلة وفي موقع بعيد في ذهنها لمعت كما الجدول الصغير النهاية المميزة لنغمة تتراقص عبر رأسها جالبة معها كلمة أو أخرى بعيدة "في التأني لا توجد خسارة" فكرت "*في التأني لا توجد خسارة*".

كادت أن تتوقف إلى الأبد على أعتاب أشتون؛ لأنها وصلت إلى كوخ مدفون داخل حديقة. قالت لنفسها *استطيع أن أحيى هنا وحدي،* وقللت سرعة السيارة كي



تنظر إلى الممر الذي يتلوى في الحديقة حتى يصل إلى باب أمامي أزرق تجلس على السلمة أمامه في اكتمال قطة بيضاء. لا يمكن أن يعثر عليّ أحد هنا أيضًا خلف كل تلك الورود، وكي أتأكد سأزرع زهور الدلفي بجوار الطريق. سأشعل نارًا في الأمسيات الباردة وأشوي التفاح في مدفئتي. سأربي قططًا بيضاء وأخيط ستائر بيضاء للشبابيك وأحيانًا سأخرج من بابي لأذهب إلى المتجر وأشتري القرفة والشاي والخيوط. سيأتي لي الناس كي أقرأ لهم الطالع وسأغلي ترياق المحبة للعذباوات الحزينات، سيكون لدي طائر أبو الحناء..

ولكن الكوخ كان خلفها بمسافة وقد حان الوقت كي تبحث عن الطريق الجديد الذي خط الدكتور مونتاجو مكانه بحرص.

قال في خطابه "استديري يسارًا نحو الطريق خمسة جهة الغرب". وحدث ذلك بالفعل بكفاءة وتوقيت مثاليٍّ كأنه يقودها من نقطة بعيدة محركًا سيارتها بعصا التحكم عن بُعدٍ. انتهى الأمر. كانت على الطريق 5 تسير غربًا ورحلتها تكاد تنتهي. ومع ذلك وبالرغم مما قاله فكرت سأتوقف في هيلسديل لدقيقة، فقط كي أتناول فنجان من القهوة لأني لا أستطيع تحمل أن تنتهي رحلتي الطويلة بسرعة هكذا. لن يمثل الأمر عدم طاعة؛ فقد قال الخطاب إنه لا ينصح بالتوقف في



هيلسديل وأنا في الطريق ولم يقل من الممنوع التوقف لتناول القهوة، وربما لو لم أذكر هيل هاوس لن أكون تصرفت تصرفًا خاطئًا. قالت لنفسها *على كل حال هذه فرصتي الأخيرة*.

باغتتها هيلسديل قبل أن تدرك وكانت فوضى متشابكة من البيوت القذرة والشوارع الملتوية. كانت صغيرة وفور أن وصلت للشارع الرئيسي أمكنها أن ترى المفرق حيث توجد محطة الوقود والكنيسة. بدا أن هناك مكانًا واحدًا يصلح كي تتوقف لتشرب القهوة وكان ذلك مطعمًا غير جذاب، ولكن إلينور كانت مصممة على التوقف في هيلسديل؛ فقادت سيارتها حتى الرصيف المهشم أمام المطعم وغادرت السيارة. بعد لحظة من التفكير وبإيماءة صامتة تجاه هيلسديل أغلقت السيارة بالمفتاح وهي تفكر في حقيبة ملابسها على الأرض والصندوق في المقعد الخلفي. فكرت *لن ابقى طويلًا في هيلسديل* وهي تنظر بطول الشارع والذي نجح حتى في ضوء الشمس أن يبدو مظلمًا وقبيحًا. بجوار الحائط كان هناك كلب ينام نومًا قلقًا وفي مدخل على الجانب المقابل من الشارع وقفت سيدة تنظر إلى إلينور بينما يتسكع ولدان بجوار سياج في صمتٍ ثقيلٍ. دخلت إلينور التي تخاف من الكلاب الغريبة والنساء المحدقات والمتشردين الصغار إلى



المطعم بسرعة قابضة على محفظتها ومفاتيح سيارتها. في الداخل وجدت خلف الكاونتر فتاة مُرهَقة بذقن غائرة ورجل يأكل في الزاوية. عندما نظرت إلى الكاونتر الرمادي والوعاء الزجاجي الملطخ فوق طبق من الدوناتس تساءلت كم كان جائعًا كي يأتي إلى هنا.

قالت للفتاة خلف الكاونتر "قهوة" فاستدارت الفتاة بنفاد صبر ودحرجت كوبًا من كومة على الرفوف. قالتْ إلينور لنفسها بصرامة يجب أن أشرب القهوة لأني قلت أني سأفعل ذلك، ولكني سأسمع كلام الدكتور مونتاجو في المرة القادمة. كان هناك مزحة معقدة بينها وبين الرجل الذي يأكل والفتاة الواقفة خلف البار. عندما وضعت القهوة على البار ابتسمت نصف ابتسامة فهزَّ هو كتفيه ثم ضحكت الفتاة. رفعت إلينور بصرها ولكن الفتاة كانت تتفحص أظافرها وكان الرجل يمسح طبقه بقطعة خبزٍ. ربما كانت قهوة إلينور مسمومة، لقد بدت كذلك بالفعل. قالت إلينور للفتاة وهي مصممة على الوصول إلى أعمق نقطة في شأن قرية هيلسديل "سآخذ قطعة من هذه الدونتس أيضًا من فضلك" أزاحت الفتاة قطعة دونتس على طبق ووضعته أمام إلينور وهي تمنح الرجل نظرة جانبية ثم ضحكت عندما لاحظت نظرة الرجل لها.

قالت إلينور "هذه قريبة صغيرة جميلة. ما اسمها؟"



حدقت فيها الفتاة. ربما لم يملك أيُّ شخص من قبل وقاحة أن يطلق على هيلسديل بلدة صغيرة جميلة. للحظة نظرت الفتاة إلى الرجل مرة أخرى كأنها تناشده أن يؤكد وقالت "هيلسديل".

سألت إلينور "هل عشتِ هنا منذ وقت طويل؟" أكدت للدكتور مونتاجو عن بعد *لن أذكر هيل هاوس، اريد فقط أن أضيع بعض الوقت*.

قالت الفتاة "نعم".

"لا بُدّ أنه من اللطيف أن يعيش الشخص في بلدة صغيرة مثل هذه. أنا أتيت من المدينة."

"ها؟"

"هل يعجبك المكان هنا؟"

قالت الفتاة وهي تنظر مرة أخرى نحو الرجل الذي بدأ يسمع بحرص: "لا بأس. لا يوجد أشياء كثيرة أفعلها."

"ما حجم البلدة؟"

"صغيرة إلى حدٍّ كبيرٍ. هل تريد المزيد من القهوة؟" كان السؤال موجهًا إلى الرجل الذي كان يخبط فنجانه في الطبق. تناولت إلينور رشفة أولى مرتجفة من قهوتها وتساءلت كيف يمكنه أن يرغب في المزيد.

سألت بعد أن ملأت الفتاة كوب القهوة وعادة للتسكع بجوار الأرفف "هل يزوركم الكثير من الناس هنا؟ أعني

السواح؟"

"من أجل ماذا؟" للحظة لوحت الفتاة لإلينور من داخل فراغ أكبر من أي شيء عرفته إلينور من قبل: "لماذا يأتي أيُّ شخصٍ إلى هنا؟" ونظرت متذمرة إلى الرجل وأضافت: "لا يوجد حتى قاعة سينما."

"ولكن الجبال جميلة جدًّا. عادة في حالة البلدات الصغيرة المنعزلة مثل هذه ستجدين أن سكان المدينة يأتون ليبنوا لأنفسهم بيوتًا في الجبال من أجل الخصوصية."

ضحكت الفتاة ضحكة قصيرة وقالت: "ليس هنا، لا يفعلون ذلك هنا."

"أو يجددون بيوتًا قديمة..."

"خصوصية".. ضحكت الفتاة مرة أخرى.

قالت إلينور وهي تشعر بنظرات الرجل عليها: "يبدو الأمر مدهشًا."

قالت الفتاة: "نعم. لو أنهم فقط ينشئون سينما حتى."

قالت إلينور بحرصٍ: "لقد ظننت أني قد أستطيع تفقد المكان. البيوت القديمة عادة رخيصة كما تعرفين ومن المسلي أن أجددها."

قالت الفتاة "ليس هنا."

قالت إلينور: "إذًا هل هناك أي بيوت قديمة حول

هنا؟ في الجبال؟"

"لا.."

نهض الرجل مخرجًا بعض المال من جيبه وتكلم لأول مرة قائلاً: "الناس لا يأتون إلى هذا البلدة إنهم يتركونها."

عندما أغلق الباب خلفها استدارت الفتاة بعين خالية من التعبير إلى إلينور بما يكاد يكون ازدراءً وكأن ثرثرة إلينور قد دفعت الرجل للرحيل وأخيرًا قالت: "كان على حق. إنهم يرحلون. المحظوظون منهم."

سألتها إلينور: "لماذا لا تهربين؟" فهزت الفتاة كتفيها وسألت: "هل سيحسن هذا من وضعي؟"

أخذت المال من إلينور بدون اهتمام كبير وأعادت الباقي. ثم وبلمحة أخرى من لمحاتها المباغتة نظرت إلى الأطباق على طرف الكاونتر وكادت تبتسم وقالت: "إنه يأتي كل يوم."

بادلتها إلينور الإبتسامة وبدأت تتكلم. استدارت الفتاة وشغلت نفسها بالأكواب على الرف. شعرت إلينور أنها قد طُردت فنهضت ممتنة مبتعدة عن القهوة وحملت محفظتها ومفاتيحها وقالت: "مع السلامة" فقالت الفتاة وهي لا تزال تدير ظهرها "حظٌّ سعيدٌ. أتمنى أن تجدي بيتك."

***



كان الطريق الممتد بعيدًا عن محطة الوقود والكنيسة رديء فعلًا بنقره العميقة وصخوره. تعثرت سيارة إلينور الصغيرة وقفزت تقاوم التقدم عبر هذه الجبال المنفرة، حيث بدا أن اليوم ينتهي سريعًا تحت كثافة الأشجار الجاثمة على جانبي الطريق. فكرت إلينور في أنه لا يبدو هناك مرورٌ كثيفٌ على هذا الطريق وهي تدير المقود سريعًا كي تتفادى صخرة مؤذية بشكل خاص أمامها. لن ترى السيارة خيرًا كثيرًا مع ستة أميال أخرى من هذا الوضع ولأول مرة منذ ساعات فكرت في أختها وضحكت. لا بُدّ أنهم قد علموا الآن أنها أخذت السيارة، ورحلت ولكنهم لم يعرفوا إلى أين. سيحكون لبعضهم البعض باستنكار أنهم لم يشكوا للحظة في أن تفعل إلينور ذلك. فكرت وهي لا تزال تضحك *لم أكن أتصور ذلك عن نفسي. كل شيء مختلف، أنا شخص جديد بعيدًا جدًّا عن المنزل.* "لا تأتي الوفرة من التأخير.. للفرح الحاضر ضحك حاضر.." ثم شهقت عندما احتكت السيارة بصخرة ولفت للخلف عبر الطريق مصدرة صوت من مكان ما بالأسفل ينذر بخدوش، ولكنها استجمعت نفسها بجرأة واستمرت في تسلقها المتخبط. حكت الأشجار الزجاج الأمامي وازداد الظلام بانتظام. فكرت في أن هيل هاوس يحب أن يظهر بأداء مسرحي. *أتساءل إن كانت*



الشمس تشرق هنا أخيرًا، وبآخر جهدٍ مبذول أزاحت السيارة تشابك أوراق شجر ميتة وأفرع صغيرة بعرض الطريق ووصلت إلى مساحة فارغة بجوار بوابة هيل هاوس.

فكرت بقلة حيلة مفاجئة *لماذا أنا هنا؟* كانت البوابة مرتفعة ومشؤومة وثقيلة، مثبتة بقوة في حائط حجري يعبر وسط الأشجار. حتى وهي داخل السيارة كانت تستطيع رؤية القفل والسلاسل الملتوية حول الأسوار. وراء البوابة لم تكن ترى إلا أن الطريق يستمر ويلتوي ويظلله من الجانبين أشجار ثابتة وقاتمة. تساءلت لأن البوابة موصدة بوضوح – موصدة ثم موصدة مرة أخرى ثم مسلسلة ثم مدعمة بقضبان، فتساءلت من يريد أن يدخل إلى هذا الحد؟- لم تحاول النزول من السيارة ولكنها ضغطت على بوق التنبيه فاهتزت الأشجار والبوابة وتراجعوا قليلًا على أثر الصوت. بعد دقيقة أطلقت بوق التنبيه مرة أخرى ثم رأت رجلًا يأتي من داخل البوابة. كان أسمر وغير مرحب مثل القفل وقبل أن يتحرك نحو البوابة نظر بين الأسوار نحوها وعبس.

كان صوته عميقًا ولئيمًا: "ماذا تريدين؟"

"أريد أن أدخل من فضلك، افتح البوابة."

"مَن قال ذلك؟"



"لأن.." وترددت ثم قالت أخيرًا "من المفترض أن أدخل."

"لماذا؟"

"يُتوقع مجيئي" أم ماذا؟ تساءلت فجأة، *هل هذا هو آخر المطاف بالنسبة لي؟*

"مَن يتوقع مجيئك؟"

كانت تعرف بالطبع أنه يتلذذ بتجاوُز سُلطاته وكأنه سيفقد التفوق القليل المؤقت الذي يظن أنه يملكه فور أن يتحرك ليفتح البوابة- وتساءلت *أي تفوق أملكه أنا؟ أنا في النهاية خارج البوابة*. كانت ترى أنها بدأت تفقد صبرها بالفعل وهو شيء نادر الحدوث لها لأنها كانت تخشى أن يجعلها ذلك غير مؤثرة، وهذا لن ينتج عنه سوى ابتعاده تاركًا إياها خارج البوابة تستشيط غضبًا بلا طائل. كانت تستطيع حتى أن تتوقع ادعاءه البراءة إذا تم لومه لاحقًا على تعاليه – الابتسامة الشريرة الفارغة والعيون الواسعة المنطفئة والصوت اللحوح يعترض على أنه كان بإمكانه إدخالها وكان ينوي أن يدخلها ولكن كيف كان سيتأكد؟ كان لديه تعليمات أليس كذلك؟ وألم يكن عليه أن ينفِّذ ما قيل له؟ ألم يكن هو من سيقع في متاعب إن سمحَ لشخصٍ لا يحق له الدخول إلى المنزل بالدخول؟ كانت تستطيع أن تتوقع هزة كتفيه وضحكت وهي تتصوره وهو ما قد



يكون أسوأ شيء فعلته.

تحرك بعيدًا عن البوابة وهو ينظر إليها وقال: "عليكِ أن تعودي في وقتٍ آخر".. وأدار ظهره وعليه سمات الانتصار الشريف..

نادته: "اسمع" وهي تحاول ألا يبدو صوتها غاضبًا: "أنا واحدة من ضيوف الدكتور مونتاجو. إنه ينتظرني في المنزل- من فضلك اسمعني!"

استدار وابتسم: "لا يمكن أن يكونوا في انتظارك حقًّا لأنك الوحيدة التي أتت حتى الآن."

"هل تعني أن لا أحد بالمنزل؟"

"لا أعلم أن هناك أحدًا بالمنزل. ربما كانت زوجتي فقط تقوم ببعض الإصلاحات؛ لذا فلا يمكن أن يكون هناك أحد بانتظارك شخصيًا، أليس كذلك؟"

أراحت ظهرها على الكرسي وأغمضت عينيها. قالت لنفسها يا هيل هاوس، أنت بصعوبة دخول الجنة.

"أتصور أنك تعرفين ما الذي تجلبينه على نفسك بالمجيء إلى هنا؟ أتصور أنهم قالوا لك في المدينة؟ هل سمعتِ أي شيء عن هذا المكان؟"

"سمعت أني مدعوة هنا كضيفة للدكتور مونتاجو. عندما تفتح البوابة سأمر إلى الداخل."

"سأفتحها، سأقوم بفتحها. أردت فقط التأكد أنك تعرفين ما الذي ينتظرك هنا. هل أتيت إلى هنا من



قبل؟ هل أنت واحدة من العائلة ربما؟" نظر إليها عبر الأسوار مكونًا بوجهه المستهزئ سورًا آخر بعد القفل والسلاسل. "لا أستطيع أن أدخلك حتى أتأكد أليس كذلك؟ قولي لي اسمك مرة أخرى؟"

تنهدت: "إلينور فانس".

"لست من العائلة على ما أظن. هل سمعتِ شيئًا عن هذا المكان؟"

قالت لنفسها *أتصور أن هذه هي فرصتي. أنا أمنح فرصة أخيرة. أستطيع أن أستدير بسيارتي هنا والآن أمام هذه البوابة وأرحل بعيدًا ولا يمكن لأحد أن يلومني؟ على كل حال. من حق أي شخص أن يهرب.*

أخرجت رأسها من شباك السيارة وقالت بغضب: "اسمي إلينور فانس. متوقع حضوري إلى هيل هاوس. افتح هذه البوابة فورًا."

"حسنًا، حسنًا".. قال وهو يبالغ في إظهار محاولته وضع المفتاح في القفل وإدارته. فتح القفل وحل السلاسل ودفع البوابة باتساع يكفي بالكاد كي تدخل السيارة. حركت إلينور السيارة ببطءٍ، ولكن لهفته في القفز إلى جانب الطريق جعلتها تفكر للحظة أنه قد استشف الخاطرة التي عبرت للحظة بذهنها. ضحكت ثم أوقفت السيارة لأنه كان يأتي باتجاهها.. بأمان من الجنب.



قال: "لن يعجبك المكان هنا. ستندمين أني فتحت البوابة."

قالت: "ابتعد عن الطريق من فضلك. لقد عطلتني لوقت طويل بالفعل."

"هل تظنين أنهم يستطيعون جعل أي شخص آخر يفتح هذه البوابة؟ هل تظنين أن أي شخص آخر يمكن أن يبقى هنا كل هذا الوقت سواي أنا وزوجتي؟ أتظنين أننا لا يمكن أن نحتفظ بكل شيءٍ كما نريده بالضبط طالما بقينا هنا وحافظنا على صيانة المكان وفتحنا البوابة لكم يا أهل المدينة الذين تظنون أنكم تعرفون كل شيء؟"

"من فضلك ابتعد عن سيارتي".. تجرأت على ألا تعترف لنفسها أنه أخافها حتى لا يلاحظ هو ذلك. قربه وهو مستند على جانب السيارة وسخطه الرهيب حيرها. كانت قد دفعته قطعًا لفتح البوابة لها ولكن هل يرى أن المنزل والحديقة المحيطة به يخصونه؟ قفزَ إلى ذهنها اسمٌ وردَ في خطاب الدكتور مونتاجو فسألت بفضولٍ: "هل أنت دادلي الحارس؟"

قلدها بسخرية: "نعم أنا دادلي الحارس. من غيريَ كنت تظنين أنه سيكون هنا؟"

أدركت أنه العامل المخلص الذي تحتفظ به العائلة، فخور ومخلص وسيء الطبع جدًا. "أنت وزوجتك



تعتنون بالمنزل وحدكم؟"

"ومن غيرنا يمكنه ذلك؟" كان ذلك مصدر فخره ولعنته وملجأه.

تحركت بقلقٍ خائفة من أن يكون ابتعادها عنه ملحوظًا، ومع ذلك رغبت في جعله يقف جانبًا عن طريق تشغيل السيارة وتحريكها قليلًا. قالت: "أنا واثقة أنك قادر على جعلنا جميعًا مرتاحون جدًّا، أنتَ وزوجتك".. مضيفة نبرة حاسمة لصوتها "في الوقت الحالي أنا متحمسة جدًّا أن أصل إلى المنزل بأسرع وقت."

قرقر بشكل كريه قائلًا: "أنا، الآن، أنا لا أبقى هنا بعد حلول الظلام."

ابتسم راضيًا عن نفسه ووقف بعيدًا عن السيارة. كانت إلينور ممتنة ولكنها شعرت بارتباك وهي تدير السيارة تحت نظره. ربما بقي *يتقافز بجواري عبر ممر السيارات مثل القط في قصة أليس في بلاد العجائب صائحًا بي أني يجب أن أكون سعيدة لوجود شخص مستعدًا للبقاء في هذا المكان حتى حلول الظلام على كل حال*. بدأت في الصفير لتظهر أن فكرة ظهور وجه دادلي الحارس بين الأشجار لا تؤثر فيها، منزعجة قليلًا من أن نفس النغمة لا تزال عالقة بذهنها "للفرح الحاضر ضحك حاضر" قالت لنفسها بغضبٍ أنَّ عليها بذل



مجهود للتفكير في شيءٍ آخر. كانت متأكدة أن بقية الكلمات غير مناسبة بالمرة كي تختفي هكذا من ذاكرتها بعناد ومن المشين غالبًا أن يكتشف أحدٌ أنها تغنيها عند وصولها لهيل هاوس.

لمحت أحيانًا فوق الأشجار وبينها وبين الجبال ما لا بُدّ أنها أسطح ربما لبرج في هيل هاوس. قالت لنفسها *كانوا يبنون البيوت بشكل غريب في وقت بناء هيل هاوس. يضيفون أبراجًا ودعائم وزخارف خشبية وأحيانًا حتى قمم مدببة ومزاريب على هيئة وجوه غريبة. لا يترك أي شيء بدون زينة. ربما كان لهيل هاوس برج أو غرف سرية أو حتى ممر يقود إلى الجبال وفي الأغلب يستخدمه المهربون - ولكن ما الذي سيجده المهرِّبون هنا كي يهرِّبوه عبر الجبال المتوحدة؟ ربما أصادف مهربًا وسيمًا وشيطانيًا..*

أدارت السيارة نحو الجزء الأخير المستقيم من الممر ليقودها مباشرة لمواجهة هيل هاوس وبدون أن تفكر حرّكَت قدمها على المكبح كي توقف السيارة وجلست في مكانها تحدق.

كان البيت كريهًا. ارتعشت وفكرت بينما الكلمات تحضر إلى ذهنها بحرية، هيل هاوس كريه. إنه موبوء. ابتعدي عن هنا فورًا.

(2)

لا يمكن للعين البشرية أن تتجاهل الصدفة التعيسة للخطوط والموقع التي تتسبب في الإيحاء بالشر في واجهة منزل، ولكنَّ هناك نوعًا من التلازم الهيستيري، زاوية أديرت بشكل سيء أو نوع من اللقاء العرضي بين السقف والسماء حول هيل هاوس إلى مكانٍ لليأس، يزداد رعبًا؛ لأن وجه هيل هاوس يبدو صاحيًا بترقب مصدره النوافذ الفارغة ولمسة من السرور في حواجب الإفريز. يكاد أي منزل يُرى فجأة أو يقع على زاوية غريبة أن يفاجئ المشاهد بنظرة هزلية، حتى عامود مدفئة شقية صغيرة أو علية تبدو كغمازة تتبع الناظر وتمنحه إحساسًا بالرفقة. ولكن بيتًا متكبرًا وكارهًا ولا يسهو أبدًا لا يمكن إلا أن يكون شريرًا. هذا المنزل الذي بدا أنه كون نفسه بنفسه بشكلٍ ما، بتطاير أجزائه تحت يد بُناته لتكون نمطًا طاغيًا خاصًا ويتألف ليصيغ بناءه الخاص من الخطوط والزوايا رافعًا رأسه العظيمة أمام السماء بلا أي تنازلات يقدمها للبشرية. كان منزلاً خاليًا من الإحسان، لم يكن من المفترض أن يعيش فيه أيُّ شخصٍ، ليس مكانًا صالحًا للناس أو للحب أو للأمل. لا يمكن للرُقية أن تغيِّر طلة بيت، سيظل هيل هاوس كما هو حتى يهدم.



قالت إلينور لنفسها *كان يجب أن أستدير وأرحل عند البوابة*. أصابها البيت بغثيان أتى من أعماق التاريخ إلى معدتها ونظرت إلى خطوط الأسقف بلا جدوى محاولة أن تحدد مكمن الشر أو أي كان ما يستقر هنا. بردت يداها فجأة من التوتر حتى صارت تعبث بهما محاولة أن تخرج سيجارة ومن خلف كل شيء آخر كانت خائفة تستمع إلى الصوت المريض داخلها يهمس بها، *ارحلي عن هنا، ارحلي عن هنا*.

قالت لنفسها *ولكن هذا ما قطعت كل تلك المسافة بحثًا عنه. لا أستطيع أن أعود. كما أنه سيسخر مني إن حاولت العودة وعبور البوابة*.

أدارت السيارة مرة أخرى وهي تحاول ألا تنظر إلى البيت – ولم تكن حتى قادرة على تمييز لونه أو طرازه أو حجمه ما عدا أنه كان ضخما وقاتما وينظر إليها من أعلى - وقادتها حتى آخر جزءٍ من الممر حيث يفضي السلم مباشرة وبلا مهرب إلى الشرفة ويصوب نحو الباب الأمامي. انقسم الممر إلى جهتين ليستدير حول المنزل وفي الأغلب ستتبع السيارة لاحقًا هذا المسار الدائري وستجد مبنى من نوعٍ ما لتضعها فيه. في الوقت الحالي كانت مرتاحة لقطع كل سبل مغادرتها بشكلٍ كامل. أدارت السيارة بما يكفي بالكاد لتحريكها لأحد الجوانب بعيدًا عن طريق الذين سيأتوا متأخرين.



فكرت بكدر كم سيكون من المؤسف أن يلقي أي شخص نظرة أولى على هذا البيت ويكون بها أي شيء مريح مثل سيارة أشخاص متوقفة أمامه- وترجلت منها حاملة حقيبة ملابسها ومعطفها. كل ما خطر ببالها هو *ها أنا ذا*.

كان رفع قدمها ووضعها على السلمة الأولى فعلاً يتطلب قوة معنوية وفكرت في أن رفضها العميق للمس هيل هاوس لأول مرة يأتي مباشرة من الشعور شديد الوضوح أنه ينتظرها، شرير، ولكن صبور. قالت لنفسها *الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة* متذكرة أغنيتها أخيرًا، وضحكت وهي تقف على سلالم هيل هاوس: تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة وأنزلت قدمها بحسم وصعدت إلى الشرفة والباب. التف حولها هيل هاوس مهرولاً. غلفتها الظلال وكان صوت قدميها على خشب الشرفة انتهاكًا للصمت المطبق كما لو كان قد مر وقت طويل جدًّا منذ أن دقت أقدام على الألواح الخشبية لهيل هاوس. رفعت يدها إلى المطرقة الحديدية التي تحمل شكل وجه طفل والمصممة لإثارة المزيد من الضوضاء، ثم المزيد حتى يتأكد هيل هاوس أنها هنا ثم فتح الباب بدون إنذار ووجدت نفسها تنظر إلى امرأة لو كان الود يفسر الشبه؛ فلن تكون إلا زوجة الرجل الذي قابلته عند البوابة.



قالت وهي تلتقط أنفاسها: "السيدة دادلي؟" أنا إلينور فانس. وصولي متوقع هنا."

وقفت السيدة جانبا صامتة. كانت مريلتها نظيفة وشعرها مصفف ومع ذلك يشع منها إحساس بالقذارة غير محدد كما هو الأمر مع زوجها وكان التجهم المتشكك على وجهها معادلاً لمزاجه النكد اللئيم. لا قالت إلينور لنفسها يرجع الأمر جزئيًا *لأن كل شيء هنا يبدو قاتما جدًا وجزئيًا لأني توقعت أن تكون زوجة الرجل قبيحة . إن لم أكن قد رأيت هيل هاوس هل كنت سأكون غير منصفة نحو هؤلاء الناس إلى هذا القدر؟ في نهاية الأمر إنهم لا يفعلون شيئًا سوى العناية به .*

كان البهو الذي يقفون فيه محملاً فوق طاقته بالخشب الداكن المفرط في نقوشه، مظلمًا تحت السلالم الثقيلة والتي تتمدد إلى الخلف من طرفها الأقصى. في الأعلى بدا أن هناك بهوًا آخر بعرض المنزل. كنت تستطيع أن ترى مدخلاً واسعًا للسلم ثم وعبر بئر السلم كانت هناك أبواب مغلقة بطول البهو العلوي. على الجانب الآخر منها كان هناك أبواب مزدوجة ضخمة نقش عليها فواكه وحبوب وكائنات حية. جميع الأبواب التي يمكن رؤيتها داخل البيت كانت مغلقة.

عندما حاولت أن تتحدث غرقَ صوتُها في السكون المظلم وكان عليها أن تحاول إصدار صوت مرة أخرى. سألت أخيرًا: "هل يمكن أن تصحبيني إلى غرفتي؟" مشيرة إلى حقيبة ملابسها على الأرض وهي تشاهد الانعكاس المرتعش ليدها وهو يهبط أكثر وأكثر في الظلال العميقة للأرض المصقولة "فهمت أني أول واحدة هنا. أنت – أنت قلت أنك السيدة دادلي؟" قالت لنفسها *أظن أني على وشك البكاء مثل طفلة تجهش بالبكاء وتنتحب، أنا لا أحب المكان هنا...*

استدارت السيدة دادلي وبدأت في تسلق السلالم فأخذت إلينور حقيبتها وتبعتها مسرعة خلف أي شيء حي في البيت. قالت لنفسها *لا أنا لا أحب المكان هنا*. وصلت السيدة دادلي إلى قمة السلم واستدارت إلى اليمين ورأت إلينور أنه بقدرٍ نادرٍ من البصيرة يَئِس بناةُ المنزل من أي محاولة لإضافة طراز– غالبًا بعد أن أدركوا ما سيكون عليه المنزل سواء اختاروا ذلك أم لا – وقاموا في هذا الطابق الثاني بإنشاء بهوٍ طويلٍ مستقيم ليستوعب أبواب غرف النوم. تكون لديها انطباع سريع عن البنائين وهم ينهون الطابق الثاني والثالث من المنزل بنوع مبتذل من الاستعجال، متلهفين على إنهاء عملهم بدون تنميق ليخرجوا من هناك ناقشين أبسط زخارف ممكنة في الغرف.



يقع السلم الثاني في أقصى الطرف الأيسر وهو في الأغلب يصل إلى غرف الخدم في الطابق الثالث ويعبر بالطابق الثاني هابطًا نحو غرف الخدمة بالأسفل. في الطرف الأيمن من البهو توجد غرفة أخرى ربما حدِّد موقعها في الطرف، كي تنال أكبر قدرٍ من الشمس والضوء. فيما عدا استمرارية الأعمال الخشبية الداكنة وما بدا أنه سلسلة من الحفر المنفَّذ برداءة، والمنمق بتحديد غير بديع بطول البهو، لم يكسر أي شيء استقامة البهو ما عدا سلسلة الأبواب المغلقة جميعها.

عبرت السيدة دادلي البهو وفتحت بابًا، ربما بشكل عشوائي وقالت: "هذه هي الغرفة الزقاء".

من انحناءة السلم ظنت إلينور أن الغرفة ستكون في واجهة المنزل. دعت بينها وبين نفسها *يا أخت آن يا اخت آن* ومضت بامتنان نحو الضوء الآتي من الغرفة وقالت: "كم هي جميلة" وهي تقف عند الباب ولكن فقط لشعورها أنها يجب أن تقول شيئًا. لم تكن جميلة إطلاقًا وبالكاد محتمَلَة. كانت تحمل داخلها عدم التجانس المتضارب نفسه الذي يميز أنحاء هيل هاوس؟

استدارت السيدة دادلي جانبًا لتسمح لإلينور بالدخول وبدا أنها توجه حديثها إلى الحائط حين قالت "أحضر العشاء على الرف الجانبي في غرفة الطعام في

السادسة تمامًا. يمكنكم أن تخدموا أنفسكم. أنا أرتب في الصباح. ويكون الإفطار محضرًا لكم في التاسعة. هذا هو ما وافقت على فعله. لا أستطيع أن أحافظ على الغرف كما تحبونها، ولكن لا تستطيعون جلب شخص لمساعدتي. أنا لا أخدم الأشخاص. ما وافقت عليه لا يعني أن علي خدمة الأشخاص."

هزت إلينور رأسها وهي تقف مترددة عند الباب.

أكملت السيدة دادلي: "لا أبقى بعد أن أحضر العشاء. ليس بعد حلول الظلام. أنا أغادر قبل أن يأتي الظلام."

قالت إلينور: "أعرف."

"نحن نعيش في البلدة على بعد ستة أميال."

"نعم".. قالت إلينور وهي تتذكر هيلسديل.

"لذا فلن يكون هناك أي شخص هنا إن أردت مساعدة."

"فهمت."

"لا نستطيع حتى أن نسمعك في الليل."

"لا أظن أن..."

"لا أحد يستطيع. لا أحد يعيش أقرب من البلدة. لا يقترب أيٌّ شخصٍ أكثر من ذلك."

"أعرف.." قالت إلينور بوهنٍ.

"في الليل".. قالت السيدة لإلينور وهي تبتسم مباشرة "في الظلام" وأغلقت الباب خلفها.



كادت إلينور أن تضحك وهي تصيح بينها وبين نفسها: "يا سيدة دادلي، أنا أحتاج مساعدتك في الظلام". ثم ارتعشت.

***

وقفت وحيدة بجوار حقيبة ملابسها ومعطفها لا يزال معلقًا على ذراعها بائسة تمامًا وتقول لنفسها بقلة حيلة، *الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة* وتتمنى لو كان بإمكانها العودة إلى المنزل. خلفها يتمدد السلم الداكن والبهو اللامع والباب الأمامي العظيم والسيدة دادلي ودادلي يضحك عند البوابة والأقفال وهيلسديل وكوخ الزهور والعائلة في الفندق وحديقة الدلفي والبيت بالأسود الحجرية أمامه وقد أتوا بها إلى الغرفة الزرقاء في هيل هاوس تحت عيني الدكتور مونتاجو التي لا تخطئ. قالت لنفسها *هذا* فظيع وهي غير مستعدة للحركة حيث أن الحركة قد توحي بالقبول، حركة توحي بالسكن، هذا فظيع *وأنا لا أريد أن أبقى، ولكن ليس هناك مكان لأذهب إليه*. لقد أتى بها خطاب الدكتور مونتاجو حتى هنا ولا يمكن أن يأخذها أبعد من ذلك. بعد دقيقة تنهدت وهزت رأسها ثم عبرت الغرفة كي تضع حقيبة ملابسها على السرير.

قالت بصوت مسموع *ها أنا ذا في الغرفة الزرقاء في هيل هاوس* مع أنه كان حقيقيًا بالفعل، ولم يكن هناك



أيُّ شك في أنها غرفة زرقاء. كانت هناك ستارة من القطن الأزرق على النافذتين اللتان تطلان من فوق سطح الشرفة على الحديقة وسجادة على الأرض بها أشكال زرقاء وغطاء سرير أزرق على السرير وقماشة مطرزة بالأزرق على طرف السرير. الحوائط المبطنة بالخشب الداكن حتى مستوى الكتف كانت مغطاة بورق حائط به نقوش زرقاء بارزة في الأعلى صممت على شكل زهور زرقاء صغيرة منسقة في أكاليل ومضمومة ورقيقة. ربما كان شخص ما يأمُل في أحد الأيام أن يخفف من جو الغرفة الزرقاء في هيل هاوس بورق الحائط الرقيق دون أن يرى كيف يتبخر هذا الأمل في هيل هاوس تاركًا لمحة ضئيلة من وجوده كصدى يسمع بالكاد لنحيبٍ بعيدٍ.. هزت إلينور نفسها واستدارت لترى الغرفة كاملة. كان لها تصميمٌ معطوبٌ بشكلٍ لا يصدق تاركًا إياها خاطئة بشكل مخيف في جميع أبعادها فبدت الحوائط دائمًا من جهة واحدة أطول بقليل مما تتحمله العين ومن جهة أخرى أقل بقليل من أقل طول محتمل. فكرت إلينور بتشكك هل *هذا هو المكان الذي يريدونني أنا أنام فيه. أي كوابيس تنتظر في هذه الزوايا – أي نسمة من الخوف الذي يذهب العقل ستسري عبر فمي!..* ثم هزت نفسها مرة أخرى. *حقًا،* قالت لنفسها، *حقًا يا إلينور.*



فتحت حقيبة ملابسها على السرير العالي ونزعت عنها حذاء المدينة المتيبس بارتياح ممتن، وبدأت في إفراغ الحقيبة وفي خلفية ذهنها الاقتناع الأنثوي التام بأن أفضل طريقة لإراحة العقل المضطرب هي ارتداء حذاء مريح. أمس وهي تحضر حقيبتها في المدينة اختارت ملابس تصورت أنها مناسبة للارتداء في منزل ريفي معزول. بل إنها أيضًا خرجت سريعًا وفي آخر لحظة واشترت - متحمسة لجرأتها - زوجًا من السراويل وهو شيء لم ترتدِه منذ السنوات أكثر من أن تتذكرها. فكرت *ستستشيط ماما غضبًا* وهي تطوي السراويل في قاع الحقيبة كي لا تضطر إلى إخراجهم ولا تحتاج أن تُعلم أي شخص أنها تملكهم في حالة فقدت شجاعتها. والآن في هيل هاوس لم يعودوا يبدوان جديدين جدًا. أفرغت حقيبتها بإهمال واضعة الفساتين مائلة على الشماعات ورامية بالسراويل في الدرج السفلي من الخزانة الضخمة. كانت قد سئمت بالفعل من الكتب التي جلبتها معها وفكرت في *الأغلب لن أبقى* وأغلقت حقيبتها واضعة إياها في طرف الخزانة. *لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق كي أعيد ترتيب الحقيبة*. اكتشفت أنها تحاول أن تخفض حقيبتها من دون أن تصدر صوتًا، ثم أدركت أنها بينما كانت تفرغ الحقيبة كانت تحاول أن تتحرك وقدماها

في الجوارب بأكبر قدر ممكن من الصمت وكأن السكون لازمٌ في هيل هاوس. تذكرت أن السيدة دادلي تمشي بلا صوت. عندما وقفت جامدة في منتصف الغرفة عاد صمت هيل هاوس المطبق ليحيط بها من جميع الجوانب. قالت لنفسها *أنا مثل كائن صغير ابتلعه وحش بالكامل والوحش يشعر بحركاتي الضئيلة داخله*. "لا" قالتها بصوت عالٍ. ارتدّ صدى هذه الكلمة الوحيدة. هرعت عبر الغرفة وأزاحت الستائر القطنية الزرقاء ولكن الشمس لم تأتِ إلا باهتة عبر الزجاج السميك للنوافذ ولم تستطع أن ترى إلا سقف الشرفة ومن ورائه مسافة من الحديقة. في مكان ما هناك بالأسفل كانت سيارتها الصغيرة التي تستطيع أن تحملها بعيدًا مرة أخرى. قالت لنفسها *الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة*، لقد كان المجيء إلى هنا اختيارها هي. ثم أدركت أنها خائفة من العودة وعبور الغرفة. كانت تقف بظهرها في مواجهة النافذة تنظر من الباب إلى الخزانة إلى طاولة الزينة إلى السرير قائلة لنفسها إنها ليست خائفة بالمرة عندما سمعت في مكان بعيد صوت باب سيارة يُغلَق ثم خطوات سريعة تكاد تكون راقصة تصعد السلالم وتعبر الشرفة ثم وبشكل مفاجئ، ارتطام المطرقة الحديدة الضخمة. فكرت *إذا جاء آخرون، لن أبقى هنا وحدي*. ركضت عبر الغرفة وهي تكاد تضحك



لتنظر من فوق السلم نحو البهو بالأسفل.

قالت وهي تدقق عبر الضوء الخافت "أشكر السماء أن هناك شخصًا هنا" وأدركت دون أن تتفاجأ أنها تتحدث كما لو كانت السيدة دادلي لا تستطيع أن تسمعها مع أن السيدة دادلي كانت تقف منتصبة وشاحبة في البهو. قالت إلينور "اصعدي. سيكون عليكِ أن تحملي حقيبتك بنفسك." كانت لاهثة وبدَت غير قادرة على التوقف عن الكلام وقد أذاب الارتياح خجلها. "اسمي إلينور فانس وأنا مسرورة أنك هنا."

"أنا ثيودورا. ثيودورا فقط. هذا المنزل اللعين..."

"الأمر بنفس السوء هنا بالأعلى. اصعدي إلى الأعلى. اجعليها تعطيكِ الغرفة المجاورة لغرفتي."

صعدت ثيودورا السلالم المتينة تلحق بالسيدة دادلي وتنظر بشك نحو النافذة المصنوعة من الزجاج الملوّن عند قمة السلم والوعاء الرخامي في مشكاة والسجادة ذات الرسوم المتكررة. كانت حقيبة ملابسها أكبر من حقيبة إلينور بشكل ملحوظ وأكثر فخامة بكثير. تقدمت إلينور كي تساعدها مسرورة أن أشياءها هي كانت في أمان بعيدًا عن العيون. قالت إلينور "انتظري حتى تري غرف النوم. غرفتي كانت غرفة تحنيط على ما أظن."

قالت ثيودورا "هذا هو المنزل الذي طالما حلمت به.



مخبأ صغير حيث يمكن أن أبقى وحدي مع أفكاري. خاصة إذا تصادف أن تكون أفكاري حول القتل أو الانتحار أو..."

قالت السيدة دادلي ببرودٍ: "الغرفة الخضراء" وشعرت إلينور في لحظة تغيُّرًا مفاجئًا في استيعابها أن الحديث عن المنزل بتطاول أو انتقاد يزعج السيدة دادلي بشكلٍ ما. فكرت إلينور *ربما كانت تعتقد أن بإمكانه أن يسمعنا،* ثم شعرت بالأسف لهذا التفكير. ربما ارتعشت لأن ثيودورا التفت بابتسامة سريعة ولمست كتفها برفق لتطمئنها.

قالت إلينور لنفسها *إنها ساحرة، ليست من نوع الأشخاص الذين ينتمون إلى هذا المكان الموحش القاتم ولكن ربما لا أنتمي أنا أيضًا له. لست من نوع الأشخاص الذين يصلحون لهيل هاوس ولكني لا استطيع التفكر في من يمكن أن يصلح له.* عندها ضحكت وهي تشاهد تعبير ثيودورا التي تقف عند باب الغرفة الخضراء.

"يا إلهي" قالت ثيودورا وهي تنظر جانبًا نحو إلينور "كم هي ساحرة بامتياز. مخدع جميل لسيدة بالتأكيد."

قالت السيدة دادلي "أحضِر العشاء على رفٍّ في غرفة الطعام في السادسة تمامًا تستطيعون أن تخدموا أنفسكم. أنا أرتب في الصباح. أحضر الإفطار لكم في



التاسعة. هذا ما وافقت على فعله."

قالت ثيودورا وهي تراقب إلينور: "أنت خائفة."

"لا أستطيع أن أحافظ على الغرف كما تحبونها، ولكن لا تستطيعون جلب شخصٍ لمساعدتي. أنا لا أخدم الأشخاص. ما وافقت عليه لا يعني أن عليّ خدمة الأشخاص."

قالت إلينور: "فقط عندما فكرت في أني وحدي تمامًا."

"لا أبقى بعد السادسة. ليس بعد حلول الظلام."

قالت ثيودورا: "أنا هنا الآن. فكل شيء على ما يرام."

قالت إلينور بعبثية: "لدينا حمّام متصل. الغرف متشابهة بالضبط."

علقت على الشبابيك في غرفة ثيودورا ستائر قطنية خضراء وكان ورق الحائط مزينًا بأكاليل الزهور الخضراء وكان غطاء السرير والقماش المطرز باللون الأخضر كما هو حال السطح الرخامي للتسريحة والخزانة الضخمة.

قالت إلينور وصوتها يرتفع: "لم أرَ أبدًا مثل تلك الأماكن الفظيعة في حياتي."

قالت ثيودورا: "مثل أفضل الفنادق أو أي معسكر جيد للفتيات."



أكملت السيدة دادلي: "أغادر قبل حلول الظلام."

قالت إلينور لثيودورا: "لا يمكن لأي أحد أن يسمعك إن صرختِ ليلاً."

أدركت أنها تقبض على مقبض الباب فأفلتت أصابعها تحت نظرة تيودورا المتسائلة ومشت بثبات عبر الغرفة.

قالت: "سيكون علينا أن نجد طريقة لفتح تلك النوافذ."

قالت السيدة دادلي: "لذا فلن يكون هناك أي شخص هنا إن أردت مساعدة لا نستطيع حتى أن نسمعك في الليل. لا أحد يستطيع."

"هل كل شيء على ما يرام الآن؟" سألت تيودورا وهزت إلينور رأسها.

"لا أحد يعيش على مسافة أقرب من البلدة. لا يقبل أي شخص بأن يقترب أكثر من ذلك."

قالت تيودورا: "لا بُدّ أنك جائعة. أنا عن نفسي أتضور جوعًا."

وضعت حقيبة ملابسها على السرير ونزعت حذاءها وقالت: "لا شيء يزعجني أكثر من أن أجوع. أدمدم وأنفجر وأبكي" رفعت زوجًا من السراويل الانسيابية من حقيبة الملابس.

"في الليل" قالت السيدة دادلي وهي تبتسم "في



الظلام" وأغلقت الباب خلفها.

بعد دقيقة قالت إلينور: "إنها أيضًا تمشي بدون أن تصدر صوتًا."

قالت ثيودورا: "جثة عجوز مبهجة" واستدارت تتأمل غرفتها "أراجع ما قلته عن أفضل الفنادق. إنه يشبه بعض الشيء مدرسة داخلية دخلتها لوقتٍ قليلٍ."

قالت إلينور: "تعالي لتري غرفتي" وفتحت باب الحمّام وقادت الطريق إلى الغرفة الزرقاء. "كنت قد أفرغت حقائبي وأفكر في تحضيرها مرة أخرى عندما أتيتِ."

"يا صغيرتي المسكينة. أنت تتضورين جوعًا بالتأكيد. كل ما استطعت أنا أن أفكر فيه عندما ألقيت نظرة على المكان من الخارج هو أنه سيكون ممتعًا أن أقف هناك وأتفرج عليه وهو يحترق. ربما قبل أن نرحل..."

"البقاء وحيدة هنا كان فظيعًا."

"كان يجب أن تري مدرستي الداخلية تلك خلال العطلات."

عادت ثيودورا إلى غرفتها ومع الإحساس بالحركة والصوت في الغرفتين أصبحت إلينور أكثر مرحًا. ساوت ملابسها على الشماعات في الخزانة ووضعت كتبها مرتبة على الطاولة المجاورة للسرير.



نادتها تيودورا من الغرفة الأخرى قائلة: "هل تعرفين؟ إنها يشبه اليوم الأول في المدرسة نوعًا ما. كل شيء قبيح وغريب وأنت لا تعرفين أي شخص وخائفة من أن الجميع سيسخرون من ملابسك."

كانت إلينور قد فتحت أدراج طاولة الزينة لتخرج سروالاً وتوقفت ثم ضحكت ورمت السروال على السرير.

أكملت تيودورا: "هل ما فهمته صحيح. لن تأتي السيدة دادلي إذا صرخنا في الليل؟"

"هذا ليس ما وافقت على فعله. هل قابلتِ العجوز الحبوب المسؤول عن المكان عند البوابة؟"

"أجرينا حوارًا جميلًا. قال لي إني لا أستطيع الدخول وأنا قلت إني أستطيع ثم حاولت أن أدوسه بسيارتي ولكنه قفز بعيدًا. اسمعي، هل تظنين أن علينا الجلوس في غرفنا والانتظار؟ أود أن أستبدل ملابسي بشيءٍ أكثر راحة - إلا لو كان علينا أن نرتدي ملابس رسمية للعشاء، ما قولك؟"

"لن أفعل إن لم تفعلي أنتِ."

"لن أفعل أنا إن لم تفعلي أنتِ. لن يستطيعوا التشاجر مع كلينا. على كل حال فلنخرج من هنا ونستكشف. سأحب كثيرًا أن أنزع هذا السقف من فوق رأسي."



"تظلم الدنيا مبكرا جدًا في تلك الجبال ومع كل الأشجار..." ذهبت إلينور إلى النافذة مرة أخرى ولكن كان هناك ضوء لا يزال ينحدر على حشيش الحديقة.

"لن تظلم قبل ساعة تقريبًا. أريد أن أخرج وأتدحرج على العشب."

اختارت إلينور كنزة حمراء وهي تفكر في أنه في هذا الغرفة في هذا المنزل ستكون حمرة الكنزة على تضاد تام مع حمرة الصندل الذي اشترته بالأمس ليليق عليها مع أنه كان قريبًا منها أمس في المدينة. *أنا استحق هذا لأني رغبت في ارتداء مثل تلك الأشياء. لم أفعل ذلك من قبل أبدًا*. ولكنها مظهرها كان جيدًا بشكلٍ غريبٍ كما بدا لها وهي تقف أمام المرآة الطويلة على باب الخزانة تكاد تكون مرتاحة.

سألت: "هل لديك أي فكرة مَن سيأتي أيضًا أو متى؟"

قالت ثيودورا: "الدكتور مونتاجو. ظننت أنه سيكون هنا قبل أي شخص آخر."

"هل تعرفين الدكتور مونتاجو من فترة طويلة؟"

"لم ألتقِه أبدًا. هل التقيت به أنت؟"

"أبدًا. هل أوشكتِ على الاستعداد؟"

"أنا مستعدة" عبرت ثيودورا باب الحمَّام إلى غرفة إلينور. فكرت ألينور *أنها رائعة الجمال* وهي تستدير



تنظر *كنت أتمنى أن أكون رائعة الجمال*. كانت ثيودورا ترتدي قميصًا أصفر فاقع اللون فضحكت إلينور وقالت: "أنت تجلبين ضوء إلى هذه الغرفة أكثر من النافذة."

أتت ثيودورا ونظرت إلى نفسها نظرة راضية في مرآة إلينور. قالت: "أشعر أن من واجبنا في هذا المكان الموحش أن نبدو مشرقين بقدر المستطاع. أنا أوافق على كنزتك الحمراء. ستكون كلٌّ منا ظاهرة من طرف هيل هاوس حتى طرفه الآخر" ثم سألت وهي لا تزال تنظر في المرآة "أتصور أن الدكتور مونتاجو أرسل لك خطابًا؟"

"نعم" كانت إلينور خجلة "لم أكن أعرف في البداية ما إن كانت تلك مزحة أم لا. ولكن زوج أختي فحص الأمر."

قالت ثيودورا ببطء: "هل تعرفين، حتى اللحظة الأخيرة – عندما وصلت إلى البوابة، على ما أظن– لم أفكر أبدًا أنه هناك هيل هاوس فعلاً. أنت لا تتوقعين عادة أن تحدث أشياء مثل هذه."

قالت إلينور: "ولكن البعض منا يحتفظ بأمل."

ضحكت ثيودورا واستدارت سريعًا أمام المرآة والتقطت يد إلينور: "يا زميلتي الصغيرة في الغابة، هيًا نذهب لنستكشف."

"لا نستطيع أن نبعد عن المنزل..."



"أعدك ألا أخطو خطوة واحدة أبعَد مما تقولين أنت. هل تظنين أن علينا أن نخبر السيدة دادلي بخروجنا ودخولنا؟"

"إنها على الأرجح تراقب كل حركة نقوم بها. هذا في الأغلب جزءٌ مما اتفقت عليه."

"أتساءل مع من اتفقت عليه. الكونت دراكيولا؟"

"هل تظنين أنه هو نفسه يعيش في هيل هاوس؟"

"أظن أنه يقضي كل عطلات نهاية الأسبوع هنا. أقسم إني شاهدت خفافيش في الأخشاب بالأسفل. اتبعيني، اتبعيني."

ركضتا إلى الطابق الأسفل متحركتين باالألوان والحياة مقابل الخشب القاتم والضوء المغبش للسلم بأقدامهما تطقطق والسيدة دادلي واقفة في الأسفل تنظر إليهما صامتة.

قالت تيودورا بخفة: "نحن ذاهبتان لنستكشف يا سيدة دادلي. سنكون في مكان ما في الخارج."

أضافت إلينور: "ولكننا سنعود سريعًا."

شرحت السيدة دادلي: "أضع العشاء على الرف في السادسة."

فتحت إلينور الباب الأمامي المهول وهي تستمر في الشد، كان ثقيلاً كما يبدو عليه وقالت لنفسها: *هل سنجد حقًا طريقة أكثر سهولة لنعود إلى الداخل*. قالت



لثيودورا من خلفها: "اتركيه مفتوحًا. إنه ثقيلٌ للغاية. هاتي إحدى الفازات الثقيلة لتبقيه مفتوحًا".

دحرجت ثيودورا إحدى الفازات الحجرية الكبيرة من ركن البهو وأوقفوها في عند الباب ثم أراحوا الباب عليها. كان الضوء الذي يخفت في الخارج براقًا مقارنةً بظلام المنزل وكان الهواء طازجًا وحلوًا. حركت السيدة دادلي الفازة خلفهم مرة أخرى فأغلق الباب الكبير بصوت عالٍ.

وجهت ثيودورا حديثها للباب المغلق قائلة: "عجوز حبوبة". للحظة كان وجهها نحيلاً من الغضب وقالت إلينور لنفسها أدعي *ألا تنظر إليّ بهذه الطريقة*، متذكرة أنها كانت دائمًا خجولة في حضور الأغراب، محرجة وتشعر بحياء، ومع ذلك فقد شعرت في خلال نصف ساعة أن ثيودورا قريبة منها وأساسية، شخص سيكون غضبه مخيفًا.

قالت إلينور بتردد ولكن بتخفف لأنها عندما تحدثت استدارت ثيودورا وابتسمت مرة أخرى: "أظن أني سأوجد لنفسي انشغالاً ما يستغرقني بعيدًا بعيدًا عن البيت خلال ساعات النهار عندما تكون السيدة دادلي موجودة. أمهد أرض ملعب التنس ربما أو أعتني بالعنب في الصوبة".

"ربما يمكنك أن تساعدي دادلي عند البوابة."



"أو أبحث عن قبور بلا أسماء في حوض الأعشاب الشائكة."

كانتا تقفان بجوار سور الشرفة ومن هناك أمكنهما رؤية مدى ممر السيارات حتى النقطة التي يلتف فيها مرة أخرى بين الأشجار ويهبط فوق الانحناء المنساب للجبال إلى الخط البعيد الصغير الذي ربما كان الطريق السريع الرئيسي، الطريق العائد إلى المدن التي أتيتا منها. لم يكن هناك أي دليل على أن هيل هاوس ينتمي إلى بقية العالم سوى الأسلاك التي تمتد إلى المنزل من نقطة ما بين الأشجار. استدارت إلينور وتبعت الشرفة التي يبدو أنها تلتف حول المنزل بالكامل. "أوه، انظري".. قالتها وهي تستدير حول الزاوية. خلف المنزل كانت الجبال مكومة في كتل ضخمة مضغوطة تفيض الآن بالأخضر الصيفي، غنية وساكنة. قالت إلينور دون أن تضيف شيئًا: "لهاذا سمي هيل هاوس".

قالت ثيودورا: "إنه من العصر الفيكتوري في مجمله. كانوا ببساطة يتمرغون في هذا النوع من الأشياء العظيمة المنتفخة المبالغ فيها ويدفنون أنفسهم في طيات المخمل والشرابات والمخمل البنفسجي. أي شخص قبلهم أو بعدهم كان سيضع هذا المنزل في الأعلى هناك على قمة تلك الجبال حيث ينتمي، بدلاً من حشره هنا في الأسفل."



"إن كان على قمة الجبل لأمكن للجميع رؤيته. أنا أصوت لإبقائه مخبئًا بعناية حيث هو."

قالت ثيودورا: "سأبقى مرعوبة طوال الوقت الذي سأقضيه هنا وأنا أفكر في وقوع أحد هذه الجبال فوقنا."

"إنهم لا يقعون بل ينزلقون بصمتٍ وسِريّة متدحرجين فوقك بينما تحاولين الهرب بعيدًا."

قالت ثيودورا بصوت ضعيف: "شكراً، لقد أتممتِ بشكل لطيف ما بدأته السيدة دادلي. سأحضر أغراضي وأعود إلى المنزل فورًا."

استدارت إلينور وحدقت وقد صدقتها لدقيقة ثم رأت التسلية بادية على وجهها وقالت لنفسها *إنها اشجع كثيرًا منّي*. فجأة - مع أن ذلك سيصبح لاحقًا نغمة مألوفة، سمة معروفة لما تعنيه "ثيودورا" في ذهن إلينور- التقطت ثيودورا أفكار إلينور وجاوبتها قائلة: "لا تخافي طوال الوقت" ومدت يدها لتلمس خد إلينور بإصبع واحد: "نحن لا نعرف من أين تأتي شجاعتنا" ثم وسريعًا ركضت على الدرج نحو الحديقة بين الأشجار المتكتلة الطويلة. صاحت: "هيييه. أريد أن أرى إن كان هناك جدول ماء في أي مكان هنا."

قالت إلينور وهي تتبعها: "لا نستطيع أن نبتعد كثيرًا". ركضتا كطفلتين عبر العشب ترحب كل منهما



بالانفتاح المفاجئ للمساحات الصافية بعد وقت ولو قليل في هيل هاوس وأقدامهما ممتنة للعشب بعد الأرض الصلبة. بفطرة تكاد تكون حيوانية تتبعتا صوت ورائحة الماء. قالت تيودورا: "هناك، طريق صغير"

قادهما مغريًا إياهما بالاقتراب من صوت الماء منتقلاً جيئًا وذهابًا عبر الأشجار مانحًا إياهما لمحة من الجبل كل برهة باتجاه ممر السيارات ساحبًا إياهما بعيدًا عن مرأى البيت عبر حقل صغير، ودائمًا هابطتين إلى الأسفل. بينما تبتعدان عن المنزل وتخرجان من بين الأشجار إلى أماكن لا تزال الشمس فيها قادرة على العثور عليهما أصبحت إلينور أكثر ارتياحًا مع أنها تستطيع أن ترى أن الشمس تنخفض وتقترب بشكل مزعج نحو الجبال المكومة. نادت تيودورا ولكن تيودورا لم تفعل شيئًا سوى أن ترد النداء "اتبعي، اتبعي" وركضت عبر الممر. فجأة توقفت منقطعة الأنفاس ومترنحة على حافة الجدول الذي قفز أمامها بلا إنذار تقريبًا. أخذت إلينور التي كانت آتية ببطءٍ من ورائها بيدها وشدتها للوراء ثم وقعتا معًا وهما تضحكان على الشط الذي انحنى بحدة نحو الجدول.

قالت تيودورا وهي تشهق: "يحبون أن يفاجئوكِ هنا."

قالت إلينور: "تستحقين أن تسقطي داخل الماء



بركضك هذا."

"المكان جميل، أليس كذلك؟" تحركت مياه الجدول سريعًا في موجات صغيرة مضئية وعلى الجانب الآخر نما عشب بطول حافة الماء وأمالت زهور صفراء وزرقاء رأسها. كان هناك جبل مستدير بنعومة ربما حقل بعده، وبعيدًا كانت الجبال العظيمة لا تزال تلتقط ضوء الشمس. قالت تيودورا بحسم: "إنه جميل."

قالت إلينور: "أنا واثقة أني كنت هنا في السابق. ربما في كتاب القصص الخرافية."

"أنا واثقة من ذلك. هل تستطيعين القفز فوق الصخور؟"

"هنا تأتي الأميرة لتقابل السمكة الذهبية السحرية التي هي في الحقيقة أمير متنكر..."

"سمكتك تلك لم تستطع جلب الكثير من المياه. لا يمكن أن يكون المكان هنا أكثر عمقًا من ثلاث بوصات."

"هناك صخور لنخطو عليها ونعبر والسمكة الصغيرة تسبح، سمك بالغة الصغر- بسارية؟"

"جميعهم أمراء متنكرون".. تمددت تيودورا في الشمس على الشط وتثاءبت ثم اقترحت "شرغوف"

"بسارية. الوقت متأخر بالنسبة للشراغيف يا بلهاء، ولكني أراهن أننا نستطيع أن نجد بيض الضفادع. كنت



معتادة على الإمساك بسمك البسارية في يدي ثم إفلاته."

"كنت ستصبحين زوجة فلاح مميزة."

"هذا مكان يصلح للنزهة مع الغداء بجوار الجدول والبيض المسلوق."

ضحكت تيودورا: "سلطة الدجاج وكعكة الشوكلاتة."

"عصير ليمون في زمزمية وملح مسكوب."

تدحرجت تيودورا بترف: "هل تعرفين أنهم مخطئون بشأن النمل. يكاد لا يوجد نمل إطلاقًا. الأبقار ربما ولكن لا أظن أني رأيت نملاً على طعام في نزهة."

"هل كان هناك دائمًا ثور في الحقل؟ هل قال شخص ما دائمًا "ولكننا لا نستطيع المشي عبر هذا الحقل، هذا هو مكان الثور؟"

فتحت تيودورا عينًا واحدة: "هل كان لديكي عم مضحك؟ الجميع يضحكون أيا كان ما يقوله؟ وكان يقول لك ألا تخافي من الثور- إن لاحقك الثور كل ما عليكِ فعله هو الإمساك بالحلقة المعلقة في أنفه وتطوحيه حول رأسك؟"

ألقت إلينور بحصى إلى الجدول وراقبتها وهي تغرق بوضوح حتى القاع: "هل كان لديكِ الكثير من الأعمام؟"

"آلاف. وأنت؟"

بعد دقيقة قالت إلينور: "أوه نعم. أعمام كبار وأعمام صغار وأعمام بدينين وأعمام نحيفون.."

"هل لديكِ عمة تدعى أدنا؟"

"العمة موريل"

"نحيفة نوعًا ما وترتدي نظارات بلا إطار؟"

قالت إلينور: "بدبوس عليه حجر المقيق."

"هل ترتدين نوعًا من الفساتين الحمراء الداكنة في حفلات العائلة؟"

"بثنية كم من الدانتيلا..."

قالت ثيودورا: "إذًا أعتقد أننا أقارب. هل كان لديكِ جهاز تقويم على أسنانك؟"

"لا. نمش."

"ذهبت إلى المدرسة الخاصة حيث علموني أن أقدِّم التحية بينما أحني ركبتي."

"كنت دائمًا مُصابة بالبرد طوال الشتاء. أجبرتني أمي على ارتداء جوارب صوفية."

"أجبرتني أمي أنا أن آخذ معي أخي إلى الحفلات الراقصة، وكنت أقوم بالتحية منحنية بجنون. لا يزال أخي يكرهني."

"أنا وقعت خلال موكب التخرج."

"أنا نسيت المقطع الخاص بي في الأوبيريت."



"أنا كنت أكتب شعرًا."

قالت تيودورا: "نعم أنا واثقة أننا بنات عم."

استقامت تيودورا في جلستها ضاحكة وقالت: "اهدئي. هناك شيء ما يتحرك هناك" حدقتا متجمدتين وأكتافهما ملتصقة ببعضها البعض وهما تشاهدان بقعة بالقرب من جانب الجبل على الجانب الآخر من الجدول حيث يتحرك العشب، يراقبون شيئًا غير مرئي يتحرك ببطء عبر الجبل فاقع الخضرة مبردًا ضوء الشمس والجدول الصغير الراقص. قالت إلينور همسًا: "ما هذا؟" وأمسكت تيودورا معصمها بقوة.

قالت تيودورا بوضوح: "لقد رحل" وعادت الشمس وكانت دافئة مرة أخرى. قالت تيودورا "كان أرنبًا."

قاللت إلينور: "لم أستطِع رؤيته."

قالت تيودورا بحسمٍ: "رأيته لحظة أن تحدثتي. كان أرنبًا. هبط من الجبل ثم غاب عن البصر."

قالت إلينور: "لقد غبنا طويلاً" ونظرت إلى الأعلى بقلق نحو الشمس وهي تلمس قمة الجبال. نهضت سريعًا فوجدت أن قدميها متخشبتان من الانحناء على العشب المبتل.

قالت تيودورا: "تخيلي، فتاتان رائعتان معتادتان على النزهات الخلوية تخافان من أرنب."

انحنت إلينور ومدت يدها لتساعدها وقالت: "علينا



فعلاً أن نسرع بالعودة" لأنها لم تكن هي نفسها تفهم توترها الملِحّ ثم أضافت: "سيكون الآخرون قد وصلوا الآن."

قالت ثيودورا: "علينا أن نعود إلى هنا لنزهة خلوية قريبًا" وتبعت بحرص طريقًا صاعدًا في الجبل. "علينا فعلاً أن نقوم بنزهة خلوية جيدة على الطراز القديم بجوار الجدول."

"يمكننا أن نطلب من السيدة دادلي أن تسلق بعض البيض". توقفت إلينور على الطريق دون أن تستدير وقالت: "ثيودورا، أتعرفين أني لا أظن أني أستطيع؟ أنا لا أظن أني سأقدر على فعل ذلك."

وضعت ثيودورا ذراعًا حول كتفيها وقالت: "هل ستسمحين لهم بالتفريق بيننا الآن؟ الآن بعد أن اكتشفنا أننا بنات عم؟"

(3)

غابت الشمس بنعومة خلف الجبال لتنزلق بلهفة أخيرًا نحو الكتل الناعمة. كانت هناك بالفعل ظلال طويلة على العشب بينما إلينور وثيودورا تمشيان في الطريق نحو الشرفة الجانبية لهيل هاوس الذي أخفى وجهه المجنون في الظلام المتنامي لحسن الحظ. قالت إلينور وهي تسرع في المشي "ينتظرنا شخص ما هناك" وهكذا رأت لوك لأول مرة. قالت لنفسها *الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة* ولم تستطع سوى أن تقول قولًا قاصرًا "هل تبحث عنا؟".

اقترب من سور الشرفة ونظر نحوهما بالأسفل في الغسق وأحنى رأسه في إشارة مرحِّبة بعمق. قال "إن كنتما ميتتين فلا بُدّ أني أيضًا ميت. يا سيداتي إن كنتما أنتم الأشباح المقيمة في هيل هاوس فأنا باقٍ هنا للأبد."

قالت إلينور لنفسها بصرامة *إنه سخيف نوعًا ما* وقالت ثيودورا "نعتذر عن أننا لم نكن هنا في استقبالك. لقد كنا نستكشف."

قال "حسناء عجوز نكدة بوجه متخثر رحبت بنا. شكرًا. قالت "كيفكم.. أتمنى أن أراكم على قيد الحياة عندما أعود في الصباح وعشاؤكم على الرف" قالتها



وغادرت في سيارة قديمة مكشوفة السقف مع القتلة الأول والثاني."

قالت ثيودورا: "السيدة دادلي. لا بُدّ أن القاتل الأولى هو "دادلي عند البوابة" وأتصور أن الآخر هو الكاونت دراكيولا. إنها عائلة رصينة."

قال "بما أننا نرصد قائمة الشخصيات فاسمي لوك ساندرسون."

ذهلت إلينور مما دفعها للكلام: "أنت واحدٌ من العائلة إذًا؟ الأشخاص الذين يملكون هيل هاوس؟ لست أحد ضيوف الدكتور مونتاجو؟"

"أنا واحدٌ من العائلة. في يومٍ ما ستكون هذه الكومة المهيبة ملكي. ولكن حتى ذلك الحين فأنا هنا كأحد ضيوف الدكتور مونتاجو."

ضحكت ثيودورا وقالت: "نحن إلينور وثيودورا، فتاتان صغيرتان كنا نخطط لنزهة خلوية عند الجدول وأخفنا أرنبًا فعدنا إلى المنزل."

وافقها لوك بأدبٍ: "أنا أصاب بهلع قاتل من الأرانب. هل يمكن أن آتي إذا حملت سلة الطعام؟"

"يمكنك أن تجلب آلة الأكلال الخاصة بك وتعزف لنا بينما نأكل ساندويتشات الدجاج. هل الدكتور مونتاجو هنا؟"

قال لوك: "إنه بالداخل يمتع نظره بمنزله المسكون."



صمتوا للحظة راغبين في الاقتراب من بعضهم البعض ثم قالت ثيودورا بصوت ضعيف: "لا يبدو الأمر مضحكًا الآن مع حلول الظلام، أليس كذلك؟"

"مرحبًا بكم يا سيدات" وفتح الباب الأمامي الضخم "تعالوا إلى الداخل. أنا الدكتور مونتاجو."

***

وقف أربعتهم لأول مرة في المدخل الواسع المظلم لهيل هاوس. من حولهم تفحصهم المنزل وحدد مواقعهم وفوقهم نامت الجبال مترقبة وتقلبت دوامات من الهواء والصوت والحركة وانتظرت وهمست، وكانت المساحة الصغيرة التي يقف أربعتهم فيها ينظرون باطمئنان إلى بعضهم البعض هي مركز الوعي بشكل ما.

قال الدكتور مونتاجو "أنا سعيد جدًا أن الجميع وصلوا بأمان في الوقت المحدد. أرحب بكم جميعًا، مرحبًا بكم في هيل هاوس – مع أنه ربما يجب أن يأتي هذا الشعور منك أنت يا ولدي؟ على كل حال، أهلًا أهلًا. لوك يا ولدي هل يمكن أن تصنع المارتيني؟"

***

رفع الدكتور مونتاجو كأسه وارتشف منه بأمل وتنهد وقال: "جيد. هو جيد فقط يا ولدي. ولكن لنشرب نخب نجاحنا في هيل هاوس."

تساءل لوك بفضول: "كيف يمكن للشخص أن يقدر



النجاح بالضبط في موضوع مثل هذا؟"

ضحك الدكتور وقال: "فلتقل إذًا أن لدي أملاً أن نقضي جميعًا زيارة مثيرة وأن يهز كتابي عالم زملائي. أنا لا أستطيع أن أسمي زيارتك عطلة مع أنها قد تبدو كذلك للبعض لأن لدي أملاً في عملك – مع أن العمل بالطبع يعتمد إلى حدٍّ بعيدٍ على ما سيتم فعله، أليس كذلك؟ الملاحظات". قالها بارتياح كما لو كان يعتمد عليها كتابتٍ وحيدًا وسط عالم من الضباب "الملحوظات. سنأخذ ملحوظات- بالنسبة للبعض هي ليست مهمة غير محتملة."

قالت ثيودورا وهي تمد يدها بكأسها للوك كي يملأه: "طالما لا يُلقي إحدى الدعابات عن الأرواح والمشروبات الروحية."

حدق بها الدكتور وقال: "أرواح؟ أروح؟ نعم بالفعل. لا أحد منا بالطبع..." وتردد وهو يقطب حاجبيه :"لا بالطبع".. قالها وتناول ثلاث رشفات سريعة متوترة من مشروبه.

قالت إلينور: "كل شيء غريب جدًا. أعني أني كنت أتساءل هذا الصباح عما يبدو عليه هيل هاوس والآن لا أصدق أننا هنا وأن هذا حقيقي."

كانوا جالسين في غرفة صغيرة اختارها لهم الدكتور الذي قادهم إليها عبر ممر ضيق وهو يتخبط قليلًا في



البداية ثم عرف طريقه. بالتأكيد لم تكن غرفة دافئة. كان لها سقف عالٍ بشكل غير مريح ومدفأة مبلطة ضيقة تبدو باردة بالرغم من النار التي أشعلها لوك فورًا. كانت الكراسي التي جلسوا عليها مستديرة وزلقة وأتى الضوء عبر أغطية المصابيح الملونة والمزينة بالخرز والتي تبعث بظلال إلى الأركان. الإحساس الطاغي في الغرفة كان أنها بنفسجية اللون. أضاءت السجادة تحت أقدامهم في أشكال مظلمة ملتوية والحوائط يغطيها ورق حائط وطلاء الذهبي، ومنحهم كيوبيد رخامي ابتسامة حمقاء من فوق رف المدفأة. عندما سكتوا للحظة ضغط عليهم ثقل المنزل من كل مكان حولهم. نظرت إلينور ببطء وحرص إلى أنحاء الغرفة وهي تتساءل إن كانت هنا بالفعل وليست في بقعة آمنة ما على بُعد مستحيل تحلم بهيل هاوس وتقول لنفسها إن هذه الأشياء حقيقية من البلاطات حول المدفأة إلى كيوبيد الرخامي، وأن هؤلاء الأشخاص سيصبحون أصدقاءها. كان الدكتور مستديرًا وزهري اللون بلحية وبدا كأنه يليق أكثر أمام نار في غرفة معيشة صغيرة ولطيفة بقطة على ركبتيه وزوجة صغيرة الحجم وزهرية تأتيه بالكعك والمربى، ولكنه كان بلا شك الدكتور مونتاجو الذي أرشد إلينور إلى هنا، رجل ضئيل البنية واسع المعرفة وعنيد. أمام



الدكتور وعلى الجانب الآخر من النار كانت ثيودورا التي اتجهت إلى الكرسي الذي يكاد يكون الأكثر راحة وتلوّت داخله بساقيها فوق ذراعه ورأسها غارقة في ظهره. فكرت إلينور أنها كانت مثل قطة وبوضوح قطة تنتظر عشائها. لوك لم يبقَ ساكنًا لدقيقة ولكنه تحرك جيئة وذهابًا فوق الظلال يملأ الكؤوس ويقلب النار ويلمس كيوبيد الرخامي. كان لامعًا في ضوءِ النار وقلقًا. كان جميعهم صامتين ينظرون إلى النار كسولين بعد رحلاتهم المتعددة، وقالت إلينور لنفسها أنا الشخص الرابع في هذه الغرفة. أنا واحدة منهم. أنا أنتمي.

قال لوك فجأة كأن الحديث لم يتوقف: "بما أننا جميعًا هنا ألا يجدر أن نتعرف؟ حتى الآن لا نعرف إلا الأسماء. أنا أعرف أن هذه هنا هي إلينور التي ترتدي الكنزة الحمراء وبالتالي لا بُدّ أن ثيودورا هي التي ترتدي الأصفر..."

قالت ثيودورا: "دكتور مونتاجو لديه لحية؛ لذا فلا بُدّ أنك أنت لوك."

قالت إلينور: "وأنت ثيودورا لأني أنا إلينور". قالت لنفسها بشعور بالانتصار إلينور ما، تنتمي وتتحدث بأريحية وتجلس بجوار النار مع أصدقائها.

شرحت لها ثيودورا بجدية: "لذا فأنت ترتدين الكنزة



الحمراء".

قال لوك: "ليس لدي لحية؛ لذا فلا بُدّ أنه هو الدكتور مونتاجو."

قال الدكتور مونتاجو وهو ينظر إليهم بابتسامة واسعة سعيدة: "أنا لدي لحية وزوجتي تحب أن يكون للرجل لحية. على الجانب الآخر ترى سيدات كثيرات أن اللحية مستهجنة. تقول لي زوجتي إن الرجل الحليق – لا تؤاخذني يا ولدي- ليس مرتديًا لملابسه بالكامل".. ورفع كأسه نحو لوك.

قال لوك: "الآن بعد أن عرفنا أي منا هو أنا فدعوني أعرف نفسي أكثر. أنا في حياتي الخاصة – إن فرضنا أن هذه هي الحياة العامة وأن بقية العالم حياة خاصة - دعوني أفكر أنا مصارع ثيران. نعم. مصارع ثيران."

قالت إلينور دون أن تستطيع كبح نفسها: "أحب حبي بحرف ل."

"لأن لديه لحية."

هز لوك رأسه قائلًا "حقيقي جدًا. وهذا يجعلني أنا الدكتور مونتاجو. أنا أعيش في بانكوك وهوايتي هي مضايقة السيدات."

اعترض الدكتور مونتاجو متسليًا: "لا أبدًا أنا أعيش في بلمونت."

ضحكت تيودورا ومنحت لوك تلك النظرة المتفهمة



التي كانت قد منحتها سابقًا لإلينور. فكرت إلينور التي كانت تراقب بامتعاض أن البقاء لوقت طويل في حضرة شخص قادر على التوافق الفوري بهذا القدر، وفطن مثل تيودورا قد يكون ضاغطًا أحيانًا. قالت إلينور بسرعة كي تخرس أفكارها: "مهنتي موديل للفنانين، وأعيش حياة مهملة مغطاة بشال ومتنقلة من علية إلى أخرى>"

سأل لوك: "هل أنت بلا قلب ومستهترة أم إنك واحدة من الكائنات الهشة التي ستقع في حب ابن اللورد وتذبلين؟!" فأضافت تيودورا: "وتفقدين جمالك وتسعلين كثيرًا؟"

قالت إلينور متأملة: "أفضّل أن أفكر في أن لدي قلبًا من ذهب وعلى كل حالٍ فإن شؤوني هي حديث المقاهي". وقالت لنفسها *يا إلهي، يا إلهي*. قالت تيودورا "للأسف أنا ابنة اللورد. في المعتاد أرتدي الحرير والدانتيلا والأقمشة الذهبية ولكني استعرت زينة خادمتي كي أبدو واحدة من بينهن. بالطبع قد أعجب بحياة العامة فلا أعود أبدًا وسيكون على الفتاة المسكينة أن تأتي لنفسها بملابس جديدة. وأنت يا دكتور مونتاجو؟"

ابتسم في ضوء النار: "أنا حاج، متسكع."

قال لوك موافقًا "مجموعة صغيرة متوافقة حقًا، بل



إنه مُقدّر لنا أن نكون أصدقاء لا نفترق. عضوة في البلاط وحاج وأميرة ومصارع ثيران. لم يرَ هيل هاوس مثلنا من قبل أبدًا."

قالت ثيودورا: "سأعطي الشرف لهيل هاوس. لم أرَ مثله أبدًا." وقفت ورفعت كأسها ثم ذهبت لتتفحص وعاء من الزهور الزجاجية "ماذا يطلقون على هذه الغرفة في رأيكم؟"

قال الدكتور مونتاجو: "ربما صالة الاستقبال. ربما المخدع. تصورت أننا سنكون مرتاحين هنا أكثر من الغرف الأخرى. بل أظن أننا يجب اعتبار هذه الغرفة مركز عملياتنا، غرفة مشتركة نوعًا ما. قد لا تكون مبهجة -" قالت ثيودورا بحدة "بالطبع هي مبهجة. لا يوجد شيء أكثر إثارة من قماش التنجيد البني وتغليف الحوائط بخشب البلوط، وما هذا هناك في الزاوية؟ هودج؟"

قال لها الدكتور: "غدًا سترين الغرف الأخرى."

قال لوك: "إن كنتم ستحددون هذه الغرفة كغرفة للهو فأنا أقترح أن ننقل إليها شيئًا نجلس عليه. لا أستطيع أن أجثم فوق أي شيء هنا لوقت طويل". ثم قال همسًا لإلينور: "أنا أنزلق".

قال الدكتور: "غدًا. غدًا بالفعل سنستكشف المنزل بأكمله ونرتب الأشياء كما يروق لنا. والآن إن كنتم قد



انتهيتم جميعًا، أقترح أن نحدد ما فعلته السيدة دادلي بشأن عشائنا."

تحركت تيودورا فورًا ثم توقفت حائرة وقالت: "يجب أن يقودنا شخص ما. أنا لا أقدر على تحديد مكان غرفة الطعام" ثم أشارت "هذا الباب يقود إلى ممرٍ طويلٍ ثم إلى البهو الأمامي."

ضحك الدكتور: "خطأ يا عزيزتي. يقود هذا الباب إلى الغرفة الزجاجية". ثم نهض وقاد المجموعة ثم قال باعتداد: "أنا درست خريطة المنزل وأعتقد كل ما علينا فعله هو الخروج من هذا الباب والمضي في الممر إلى البهو الأمامي ثم نعبر البهو وغرفة البلياردو لنجد غرفة الطعام. الأمر ليس صعبًا لو تعودنا عليه."

قالت تيودورا: "لماذا خلطوا الأمور على نفسهم هكذا؟ لماذا يوجد هذا العدد الكبير من الغرف الغريبة؟"

قال لوك: "ربما كانوا يحبون أن يختبئوا من بعضهم البعض."

قالت تيودورا: "لا أستطيع أن افهم لما يريدون أن يكون كل شيء قاتمًا."

كانت هي وإلينور تتبعان الدكتور مونتاجو عبر الممر ويأتي لوك خلفهم متسكعًا كي يلقي نظرة داخل أدراج طاولة ضيقة ويسأل نفسه بصوت عالٍ عن الستارة القصيرة ورؤوس كيوبيد المطبوعة عليها وباقات



الأشرطة الموضوعة فوق تجليد الحوائط في البهو الداكن.

قال الدكتور من مكان ما أمامهم: "بعض هذه الغرف تقع بالكامل داخل غرف. لا نوافذ ولا منفذ للخارج أبدًا. ومع ذلك فإن سلسلة من الغرف المحتواه ليست مفاجأة في منزل من تلك الفترة الزمنية، خاصة إذا تذكرتم أن النوافذ التي كانت بها مغطاة بتعاليق كثيفة وستائر من الداخل وبمزروعات من الخارج، أها". فتح باب الممر وقادهم إلى البهو الأمامي وقال وهو يتأمل المدخلين المقابلين، بابان صغيران يحيطان بالباب المركزي المزدوج الضخم "للبيت فعلًا غرائبه الصغيرة" وأكمل وهو يمسك الباب كي يمروا عبره إلى الغرفة المظلمة التي تقع خلفه "تعالى يا لوك وأبقي هذا مفتوحًا حتى أستطيع أن أجد غرفة الطعام". تحرك بحرص عابرًا الغرفة المظلمة وفتح بابًا. تبعوه إلى أكثر غرفة مبهجة رأوها حتى الآن. كانت بالتأكيد أكثر بهجة بسبب أضوائها ومنظر ورائحة الطعام. قال وهو يدعك يديه في بعضهما البعض "أنا أهنئ نفسي. لقد قدتكما إلى الحضارة عبر خرائب هيل هاوس المجهولة."

نظرت ثيودورا خلفها بتوتر وقالت: "يجدر بنا أن نعتاد على ترك كل الأبواب مفتوحة على اتساعها. أنا أكره التجول هكذا في الظلام".



قالت إلينور: "علينا إذًا أن نثبتهم ليبقوا مفتوحين بشيء ما. كل باب في هذا المنزل يرتد مغلقًا إذا أُفلت."

قال دكتور مونتاجو: "غدًا. سأدوّن ملحوظة. صدادات للباب". وتحرك سعيدًا نحو الرف الجانبي حيث أحضرت السيدة دادلي فرنًا للتدفئة وصفًا مبهرًا من الأطباق المغطاة. كانت الطاولة معدة لأربعة أشخاص مع عرض باذخ للشموع والحرير الدمشقي والفضة الثقيلة.

قال لوك وهو يرفع شوكة بإيماءة كانت ستؤكد أسوأ شكوك عمته "لم يبخلوا علينا بشيء كما أرى. لقد حصلنا على فضة الضيوف."

قالت إلينور: "أظن أن السيدة دادلي فخورة بالمنزل."

قال الدكتور وهو يسترق النظر إلى فرن التدفئة: "هي لا تنوي منحنا مائدة فقيرة على أي حال. هذا تحضير عظيم على ما أظن. إنه يبعد السيدة دادلي كثيرًا عن هنا قبل حلول الظلام ويمكننا من تناوُل عشاءنا بدون صحبتها غير المرحبة."

قال لوك وهو يتأمل الطبق الذي كان يملأه بوفرة: "ربما لم أعط السيدة دادلي الصالحة – لمَ يجب عليّ أن أستمر في التفكير فيها على أنها السيدة دادلي



الصالحة؟ - ربما لم أعطها حقها. لقد قالت إنها تأمُل أن تجدني على قيد الحياة في الصباح وأن عشاءنا في الفرن. أشك الآن أنها تنوي أن أموت من الشره."

سألت إلينور الدكتور مونتاجو: "ما الذي يُبقيها هنا. لماذا تبقى هي وزوجها وحدهما في هذا المنزل؟"

قهقهت ثيودورا: "على حسب فهمي فقد اعتنى آل دادلي بهيل هاوس دائمًا حسبما يتذكر الجميع. أنا أعتقد أنها تنتظر حتى يموت جميع ورثة ساندرسون – هذا يعني أنت يا لوك- بطرق شنيعة متفرقة ثم تحصل على المنزل والمجوهرات المدفونة في القبو. أو ربما تكتنز هي ودادلي ذهبهما في الغرفة السرية أو أنه هناك نفطٌ تحت المنزل."

قال الدكتور بحسم: "لا توجد غرف سرية في هيل هاوس. بالطبع تم التلميح لهذا الاحتمال من قبل وأظن أني أستطيع أن أقول بتأكيد إن مثل تلك الأدوات الرومانسية لا توجد هنا. ولكن في الغد.."

قال لوك لثيودورا "على كل حال فالنفط بالتأكيد مزحة قديمة. لا يوجد شيء على الإطلاق لنكتشفه في الممتلكات في هذه الأيام. إن أقل ما يمكن للسيدة دادلي أن تقتلني من أجله بدم بارد هو اليورانيوم."

قالت ثيودورا: "أو لمجرد التسلية."

قالت إلينور: "نعم. ولكن لماذا نحن هنا؟"



نظر ثلاثتهم لها للحظة ممتدة، تيودورا ولوك بفضول والدكتور بجدية ثم قالت تيودورا: "هذا هو ما كنت أنا أوشك أن أسأله. لماذا نحن هنا؟ ما خطب هيل هاوس؟ ما الذي سيحدث؟"

"غدًا.."

"لا" قالت تيودورا بطريقة تكاد تكون وقحة "نحن ثلاثة بالغون عاقلون. لقد قطعنا كل تلك المسافة كي نقابلك هنا في هيل هاوس يا دكتور مونتاجو. إلينور ترغب في معرفة السبب وكذلك أنا."

قال لوك: "وأنا أيضًا."

"لماذا أتيت بنا إلى هنا يا دكتور؟ لماذا أنت نفسك هنا؟ كيف سمعت بهيل هاوس؟ ولماذا له مثل تلك السمعة وما الذي يحدث حقًا هنا؟ ما الذي سيحدث؟"

عبس الدكتور بتعاسة وقال: "لا أعرف".. ثم وفور أن قامت تيودورا بإيماءة سريعة منزعجة أكمل "لا أعرف أكثر منكم عن البيت إلا القليل جدًا، وبطبيعة الحال كنت أنوي أن أقول لكم كل شيءٍ أعرفه. أما عن ما الذي سيحدث فسأعرف ذلك عندما تعرفونه أنتم. ولكن الغد سيأتي سريعًا فيمكننا الحديث عنه. أظن أن ضوء النهار..."

قالت تيودورا: "ليس لي."

قال الدكتور: "أؤكد لك أن هيل هاوس سيكون هادئًا



الليلة. هناك نمط معين لهذه الأشياء، وكأن الظواهر الروحانية خاضعة لقوانين من نوع شديد التحديد."

قال لوك: "أعتقد أننا يجب بالفعل أن نتكلم عن الأمر الليلة."

أضافت إلينور: "لسنا خائفين"

تنهد الدكتور مرة أخرى وقال ببطءٍ: "وإن سمعتم قصة هيل هاوس وقررتوا عدم البقاء. كيف ستغادرون الليلة؟" نظر إليهم من حوله مرة أخرى بسرعة "البوابة موصدة. سمعت أن هيل هاوس يصمم على الاستضافة. يبدو أنه لا يحب أن يهرب ضيوفه. آخر شخص حاول مغادرة هيل هاوس في الظلام – أؤكد لكم أن ذلك كان منذ ثمانية عشر عام – قُتل عند انحناءة ممر السيارات حيث اندفع حصانه وضربه في شجرة كبيرة. افترضوا أني حكيت لكم عن هيل هاوس وأراد أحدكم أن يغادر؟ على الأقل غدًا نستطيع أن نرى أنكم وصلتم سالمين إلى القرية."

قالت ثيودورا: "ولكننا لن نهرب. لن أفعلها أنا ولن تفعلها إلينور ولن يفعلها لوك."

وافق لوك: "فلنأخذ أماكننا بشجاعة عند التحصينات."

"إنكم مجموعة متمردة من المساعدين. بعد العشاء إذًا. سننتقل إلى مخدعنا الصغير لتناول القهوة والقليل



من البراندي الجيد الذي يملكه لوك في حقيبة سفره، وسأقول لكم كل ما أعرفه عن هيل هاوس. ولكن الآن دعونا نتكلم عن الموسيقى أو الرسم أو حتى السياسة".

***

قال الدكتور وهو يستدير حاملًا كأس البراندي في يده: "لم أكن قد قررت كيف أحضر ثلاثتكم لهيل هاوس. لم أكن بالتأكيد أستطيع أن أكتب لكم عنه، وأنا غير مستعد بالمرة الآن أن أؤثر على ذهنكم بتاريخه الكامل قبل أن تحصلوا على فرصة رؤيته بأنفسكم".

كانوا قد عادوا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة دافئين ويكاد يغلب عليهم النوم. كانت ثيودورا قد هجرت أي محاولة للجلوس على كرسي ووضعت نفسها على السجادة التي تقرب المدفأة مربّعة ساقيها وناعسة. إلينور التي كانت ترغب في الجلوس على سجادة المدفأة بجوارها لم تفكر في ذلك في الوقت المناسب وقد حكمت على نفسها بأحد الكراسي الزلقة غير راغبة في لفت النظر بالتحرك ووضع نفسها بشكلٍ مُحرِجٍ على الأرض. بخر عشاء السيدة دادلي الجيد وساعة من الحديث الهادئ الشعورَ الخافت بالتوهم والتحفظ. كانوا قد بدأوا في معرفة بعضهم البعض والتعرف على أصوات وأداءات ووجوه وضحك كل منهم. فكرت



إلينور بشيء من الصدمة والدهشة أنها لم تمكث في هيل هاوس سوى لأربع أو خمس ساعات وابتسمت قليلاً نحو النار. كانت تشعر بساق الكأس الرفيع بين أصابعها والضغط الصلب للكرسي على ظهرها والحركة الخافتة للهواء عبر الغرفة والتي تكاد لا تكون مرئية في الحركة الخفيفة لحبال الستائر والخرز. استقر الظلام في الأركان وابتسم كيوبيد الرخامي نحوهم ممتلئًا بالطرافة.

قالت تيودورا: "يا لَهُ من وقتٍ مناسب لقصة عن الأشباح".

كان الدكتور متخشبًا: "من فضلكم. لسنا أطفالًا نحاول إخافة بعضنا البعض."

ابتسمت تيودورا له: "آسفة. أنا فقط أحاول أن أعوِّد نفسي على كل هذا."

قال الدكتور: "دعينا نمارس حرصًا كبيرًا في لغتنا. المفاهيم المسبقة حول الأشباح والأطياف.."

قال لوك في محاولة أن يكون مفيدًا: "اليد بلا جسد في صحن الحساء."

"يا ولدي العزيز. من فضلك. أنا كنت أحاول شرح أن الغرض من وجودنا هنا بما أن طبيعته علمية واستكشافية، لا يجب أن يتأثر أو أن يكون مغلفًا بالقصص المخيفة غير المتذكرة بالكامل والتي تنتمي

بالأكثر إلى – دعني أفكر – حفلات الشواء الليلية" نظر حوله راضيًا عن نفسه كي يتأكد أن الجميع مستمتعون "في الحقيقة إن أبحاثي على مدار السنوات القليلة الماضية أدت بي إلى بعض النظريات المحدَّدة بخصوص الظواهر الروحية والتي لدي الفرصة أن أختبرها الآن لأول مرة. المثالي بالطبع أن لا تكون لديكم معرفة مسبقة بأي شيءٍ حول هيل هاوس. يجب أن تكونوا جاهلين ومستعدين للتلقي."

همهمت تيودورا: "ونكتب ملاحظات"

"ملاحظات. نعم بالفعل. ملاحظات. ومع ذلك فأنا أدرك أن من غير العملي أن تُترَكوا بلا أي خلفية، لأنكم لستم أشخاصًا معتادين على مقابلة موقف ما بدون استعداد". ابتسم نحوهم بخجل وأضاف: "أنتم ثلاثة أطفال عنيدون مدللون ومستعدون للإلحاح عليَّ كي تنالوا حكاية قبل النوم الخاصة بكم."

ضحكت تيودورا وهز الدكتور رأسه نحوها بسعادة. نهض وتحرك ليقف بجوار النار في وضع لا يمكن إغفال أنه يشبه ما يحدث في الفصول الدراسية. بدا أنه يشعر بافتقاد السبورة من خلفه لأنه استدار مرة أو اثنتين نصف استدارة وذراعه مرفوع كما لو كان يبحث عن طباشير ليشرح نقطة ما بالرسم. قال: "الآن سنتناول تاريخ هيل هاوس". قالت إلينور لنفسها: أتمنى لو كان



معي قلم وكراسة فقط كي أشعر أني في مكاني. نظرت إلى تيودورا ولوك ووجدت أن وجهيهما قد استقرا بالفطرة على تعبيرٍ جزل خاصٍ بالفصول الدراسية. فكرت في أنه تعبير عن الجدية الشديدة. لقد انتقلنا إلى مرحلة جديدة في مغامرتنا.

بدأ الدكتور في الحديث: "ستتذكرون بيوتًا وصفت في سفر اللاويين بأنها "مجزومة" أو ما أسم "مستقر الموتى" الذي يطلقه وميروس على العالم السفلي أو بيت الإله هاديس. لا حاجة لي أن أذكركم على ما أظن أن هناك مفهومًا أن بعض البيوت غير نظيفة أو محرَّمة – ربما تكون مقدّسة- قديمة قِدَم العقل البشري. حتمًا هناك بقع تربط نفسها بجو القداسة والصلاح؛ لذا قد لا يكون مجرد خيال أن نقول إن بعض البيوت وُلِدَت شريرة. هيل هاوس، أيًا كان السبب، غير صالح لسكن الإنسان منذ أكثر من عشرين عامًا. ما كان عليه قبل ذلك وما إن كان الأشخاص الذين عاشوا هناك أو الأفعال التي قاموا بها هي ما شكّلَتْ شخصيته أم أنه كان شريرًا منذ البداية، هذه جميعًا أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها. بالطبع لدي أمل أننا جميعًا سنعرف الكثير عن هيل هاوس قبل أن نرحل. لا أحدَ يعرف حتى لماذا يقال على بعض البيوت أنها مسكونة."

طالب لوك: "ماذا خلاف ذلك يمكنك أن تسمي هيل



هاوس؟"

قال الدكتور بحزنٍ: "حسنًا.. ربما مضطرب. مجزوم. مريض. أيٌّ من الكنايات الشائعة عن الجنون. المنزل المختل مجاز وافٍ. هناك نظريات ذات شعبية ولكنها تختزل الغريب، الغامض. هناك أشخاص سيقولون لك إن الاضطرابات التي أسميها "روحانية" هي في الحقيقة نتيجة للمياه الجوفية أو التيارات الكهربائية أو الهلاوس التي يسببها الهواء الملوث أو الضغط الجوي أو البقع الشمسية أو ذبذبات الأرض وجميعها لها مساندون من بين المشككين. الناس دائمًا يتوقون إلى إخراج الأمور إلى المجال العام حيث يمكنهم أن يمنحوها اسمًا حتى وإن كان اسمًا بلا معنى طالما كان له جرس علمي" وتنهد مسترخيًا ومنحهم ابتسامة صغيرة متسائلة وقال: "أقول منزل مسكون فيضحك الجميع. لقد وجدت نفسي أقول لزملائي في الجامعة إني سأقيم في مخيم هذا الصيف."

ساعدت ثيودورا بقولها: "لقد قلت للناس إني سأشارك في تجربة علمية دون أن أقول لهم أين أو ما هي بالطبع."

"أفترض أن أصدقاءك لديهم موقف أقل قوة من التجارب العلمية عن أصدقائي. نعم" تنهد الدكتور مرة أخرى. "تخييم. في سني هذا. ولكنهم صدقوا هذا.



حسنًا" استقام مرة أخرى وعبث بجواره ربما بحثًا عن عصا قياس "سمعت عن هيل هاوس لأول مرة منذ عام من مستأجر سابق. بدأ بالتأكيد لي أنه ترك هيل هاوس لأن عائلته اعترضت على العيش عميقًا في قلب الريف وانتهى به الأمر وهو يقول لي أن في رأيه يجب إحراق المنزل وحرث الأرض بالملح. عرفت عن أشخاص آخرين استأجروا هيل هاوس ووجدت أن أي منهم لم يبق أكثر من بضعة أيام، وقطعًا ليس مدة عقد إيجارهم بالكامل، مقدمين مبررات تراوحت بين رطوبة الموقع – وهي غير صحيحة مطلقًا بالمناسبة فالمنزل جاف جدًا – إلى الاحتياج الملح للانتقال إلى مكان آخر لأغراض العمل. أي أن كل مستأجر ترك هيل هاوس بسرعة بذل جهدًا كي يقدم سببًا منطقيًا للرحيل ولكن كل فرد فيهم قد رحل. حاولت بالتأكيد أن أعرف أكثير من المستأجرين السابقين ولكني لم أستطع حثهم في أي حالة على مناقشة المنزل. بدا أنهم جميعًا غير مستعدين لإعطائي معلومات بل وكانوا عزوفين عن تذكر تفاصيل إقامتهم المتعددة. كانوا متحدين في رأي واحدٍ فقط. بلا استثناء كان كل شخص قضى أيَّ قدرٍ من الوقت في هذا المنزل يحثني على الابتعاد عنه قدر المستطاع. لم يكن أي شخص من المستأجرين السابقين قادرًا على حث نفسه على الاعتراف بأن هيل



هاوس مسكون، ولكني عندما زرت هيلسديل وطالعت سجلات الجرائد..."

"الجرائد؟" سألت تيودورا "هل كان هناك فضيحة؟"

قال الدكتور: "أوه، نعم. فضيحة مثالية رائعة بانتحار وجنون وقضايا. ثم عرفت أن السكان المحليين لم يكن لديهم شكوك حول المنزل. سمعت دستة من القصص المختلفة بالطبع - من الصعب حقًّا بشكلٍ لا يُصدَّق أن تحصل على معلومات دقيقة حول منزل مسكون. سيدهشك أن تعرف ما خضته كي أعرف القدر الذي أعرفه - وكنتيجة لذلك ذهبت إلى السيدة ساندرسون، عمة لوك ورتبت أمر استئجار هيل هاوس. كانت صريحة جدًّا في شأن كونه غير مرغوب فيه.."

قال لوك: "إحراق منزل أصعب مما تتصور."

"ولكنها وافقت على أن تمنحني عقد إيجار قصير كي أقوم بأبحاثي بشرط أن يكون أحد أفراد العائلة جزء من المجموعة."

قال لوك بجدية: "إنهم يأملون أن أقنعك بألا تنقب عن الفضائح الرائعة القديمة."

"ها قد شرحت كيف انتهى بي الحال هنا، ولماذا أتى لوك. أما عنكما أنتما السيدتان فجميعنا يعرف أنكما هنا لأني أرسلت لكما وأنتما قبلتما دعوتي. كنت أتمنى أن تكتشف كل واحدة منكما بطريقتها الطاقات التي تعمل



في هذا المنزل. ثيودورا أظهرت أنها تملك قدرات في التخاطر وإلينور كانت مشتبكة في الماضي بشكل حميم مع ظاهرة الأرواح الصاخبة.."

"أنا؟!"

"بالطبع" قال الدكتور وهو ينظر إليها بتساؤل: "منذ سنوات عديدة ماضية، عندما كنت طفلة. الأحجار..."

عبست إلينور وهزت رأسها قائلة: "كان هناك الجيران. أمي قالت إن الجيران هم من فعلوا ذلك. الناس دائمًا يشعرون بالغيرة."

"ربما" تحدث الدكتور بهدوء وابتسم لإلينور "لقد نسيت الحادثة منذ زمن وأنا أذكرها فقط لأن ذلك هو السبب أني أردت وجودك في هيل هاوس."

قالت ثيودورا بتكاسُل: "عندما كنت طفلة "منذ سنوات عديدة مضت – كما تعبر عن الموضوع بكياسة شديدة يا دكتور – تمّ جَلدي لإلقائي حجر عبر سقف صوبة زجاجية. أتذكر أني فكرت في الموضوع لوقتٍ طويلٍ متذكرة الجل،د ولكن متذكرة أيضا الاصطدام الرائع. وبعد التفكير في الموضوع بجدية شديدة خرجت وفعلتها مرة أخرى."

قالت إلينور للدكتور بتردُّد: "أنا لا أتذكر جيدًا"

سألت ثيودورا: "لماذا؟ أعني أنا أستطيع قبول افتراض أن هيل هاوس مسكونٌ وأنت يا دكتور



مونتاجو تريدنا هنا كي نساعد في تتبُّع ما يحدث – وأراهن أيضًا أنك لا تحب أبدًا أن تبقى هنا وحدك – ولكني لا أفهم. إنه منزل قديم بشع وإن استأجرته سأصرخ مطالبة باستعادة أموالي بعد نظرة واحدة سريعة على البهو الأمامي ولكن ما الذي يوجد هنا؟ ما الذي يخيف الناس إلى هذا القدر؟"

قال الدكتور: "لن أمنح اسمًا لما لا اسمَ له. أنا لا أعرف."

قالت إلينور بإلحاح للدكتور: "لم يقولوا لي أبدًا ما الذي يحدث. قالت أمي إنهم الجيران، كانوا دائمًا ضدنا لأنها لا تقبل الاختلاط بهم. أمي.."

قاطعها لوك، ببطء وتعمُّد وقال: "أظن أن ما نريده جميعنا هو الحقائق. شيء نستطيع أن نفهمه ونستوعبه."

قال الدكتور: "أولًا، سأسألكم جميعًا سؤالاً؛ هل تريدون أن ترحلوا. هل تنصحون بأن نحزم أمتعتنا ونترك هيل هاوس لشأنه، ولا يكون لنا صِلَةٌ به؟"

نظر لإلينور وأحكمت هي ضمّ يديها. كانت تفكر في أنها فرصة أخرى للهروب وقالت "لا" ثم نظرت بخجل إلى تيودورا وشرحَتْ: "كنت طفلة نوعًا ما بعد ظهر اليوم وسمحت لنفسي أن أخاف."

قالت تيودورا بإخلاص: "إنها لا تقول الحقيقة كاملة.



لم تكن خائفة أكثر مني. لقد ارتعبنا سويًا حتى الموت بسبب أرنب."

قال لوك: "الأرانب مخلوقات شنيعة."

ضحك الدكتور: "أتصور أننا جميعًا كنا متوترين بعد الظهيرة على كل حال. إن رؤية هيل هاوس بوضوح فجأة فور أن تستدير مع انحناءة الطريق صدمة مروعة."

قال لوك: "كنت أظن أنه سيصدم السيارة في شجرة."

قالت تيودورا: "أنا شُجاعة حقًا الآن في دفء الغرفة مع النار والصحبة."

"لا أظن أن باستطاعتنا الرحيل الآن إن أردنا". تحدثت إلينور قبل أن تدرك بوضوحٍ ما الذي ستقوله أو ما سيبدو عليه الكلام للآخرين ورأت أنهم يحدِّقُون بها فضحكت ثم أضافت بطريقة ركيكة: "السيدة دادلي لن تسامحنا أبدًا" وتساءلت بينها وبين نفسها إن كانوا يصدِّقون حقًّا أن هذا هو ما قصدت أن تقوله وقالت لنفسها *ربما يكون هذا المنزل قد تملَّك منا الآن بالفعل. ربما لن يدعنا نرحل أبدًا*.

قال الدكتور: "فلنتناول القليل من البراندي وأنا سأقول لكم قصة هيل هاوس" ثم عاد إلى وضع المعلم في الفصل أمام المدفأة وبدأ ببطءٍ كما يفعل شخص



يلقي بسيرة ملوك ماتوا منذ زمن طويل وحروب فرغوا منها قديمًا. كان صوته حريصًا على الخلو من المشاعر "بُني هيل هاوس منذ بضعة وثمانين عامًا. بناه رجلٌ اسمه هيو كراين كمنزل لعائلته، منزل ريفي حيث كان يتمنى أن يرى أبناءه وأحفاده يعيشون في رفاهية مريحة وحيث كان يتوقع تمامًا أن ينهي أيامه في هدوء. للأسف كان هيل هاوس منزلًا حزينًا منذ البداية تقريبًا. ماتت زوجة هيو كراين الشابة قبل دقائق من الوقت الذي كان مُقدّرًا أن تلقي فيه النظرة الأولى على المنزل عندما انقلبت العربة التي كانت تحملها في ممر السيارات وجُلبت السيدة – نعم أظن أن العبارة التي استخدموها كانت، فاقدة الحياة – إلى المنزل الذي بناه زوجها لها. هيو كراين كان رجلًا حزينًا ويشعر بالمرارة وقد تُركَ مع ابنتين صغيرتين ليربيهما ولكنه لم يترك هيل هاوس."

سألت إلينور بتشكك: "هناك أطفال كبروا هنا؟"

ابتسم الدكتور: "المنزل جاف كما قلت. لم يكن هناك مستنقعات لتصيبهم بالحمى، وكان يظن أن هواء الريف مناسبٌ لهم والمنزل نفسه كان يعتبر فاخرًا. ليس لدي شكٌّ في أن الطفلتين الصغيرتين كان بإمكانهما اللعب، وحيدتان ربما، ولكن بدون أن تكونا تعيستين."

قالت تيودورا: "أتمنى أن تكونا قد لعبتا في



الجدول". وحدقت طويلًا في النار "المساكين. أتمنى أن يكون شخصٌ ما قد سمحَ لهما بالركض في الحقل وقطف الزهور البرية."

استمر الدكتور في كلامه "تزوّج والدهما مرة أخرى. بل مرتين. بدا أنه كان – غير محظوظ من جهة زوجاته. السيدة كراين الثانية ماتت بسبب السقوط ولو أني لم أتمكن من التأكد من كيف وأين. بدا موتها غير متوقّع بشكل مأساوي كما كان الحال مع الزوجة السابقة. السيدة كراين الثالثة ماتت في مكانٍ ما بأوروبا بسبب ما كان يسمى داء الصدر. في مكانٍ ما في المكتبة هناك مجموعة من الكروت التي أرسلت للفتاتين الصغيرتين اللتين بقيتا في هيل هاوس من والدهما وزوجة والدهما بينما كانا يسافران من مصحة إلى الأخرى. بعد ذلك أعلن هيو كراين نيته في إغلاق هيل هاوس والبقاء في الخارج وذهبت الفتاتان لتعيشا مع أقارب أمهما وبقيتا هناك حتى كبرتا."

قالت تيودورا: "أتمنى أن يكون أقارب ماما أكثر مرحًا من هيو العجوز. ليس لطيفًا أن نفكر بأطفال يكبرون مثل الفطر في الظلام".

قال الدكتور: "لم يكن ذلك شعورهما. قضت الأختان باقي حياتهما تتشاجران حول هيل هاوس. مات هيو كراين في مكانٍ ما في أوروبا بعد كل أمله في سلالة



يكون مركزها هنا وبعد وقت قصير من وفاة زوجته وترك هيل هاوس للأختين بالمشاركة واللتين لا بُدَّ أنهما كانتا شابتين صغيرتين في ذلك الوقت. كانت الأخت الكبرى على أي حال قد قُدِّمَت إلى المجتمع."

"ورفعت شعرها وتعلمت أن تشرب الشمبانيا وتحمل مروحة..."

"كان هيل هاوس فارغًا لعدة سنوات، ولكنه بقى دائمًا مستعدًا لاستقبال العائلة، أولًا توقعًا لعودة هيو كراين ثم بعد موته لأيٍّ من الأختين تقرر أن تعيش هنا. في وقتٍ ما خلال تلك الفترة بدا أنه تم الاتفاق بين الأختين على أن هيل هاوس يجب أن يكون ملكًا للكبرى. كانت الصغرى قد تزوجت.."

"اها!" قالت ثيودورا "الأخت الصغرى تزوجت. خطفت حبيب أختها بلا شك."

وافق الدكتور: "يُقَال إن الأخت الكبرى خُدِعَت في الحب، ولو إن ذلك يقال على أي سيدة تفضِّل لأي سبب أن تعيش وحدها. على كل حالٍ كانت الأخت الكبرى هي من عادت لتعيش هنا. بدا أنها تشبه أباها بقوة. عاشت هنا وحدها لعددٍ من السنين في عزلة تقريبًا مع أن قرية هيلسديل كانت تعرفها. ومع أن ذلك قد يبدو لكم مذهلًا إلا أنها أحبت هيل هاوس بصدقٍ وكانت تنظر إليه كبَيْتِ عائلتها. أخيرًا أخذت فتاة من القرية



كي تعيش معها. مرافقة نوعًا ما. وعلى حسب ما استطعت أن أعرف يبدو أنه لم يكن هناك أي مشاعر بين سكان القرية حول البيت في ذلك الوقت، إذ أن الآنسة كراين العجوز – كما كان حتميًا أن تعرف- وظفت خدمها من القرية وكان يعتقد أنه شيء جيد أن تختار فتاة من القرية كمرافقة. كانت الآنسة كراين في خلاف دائمًا مع أختها حول المنزل مع إصرار الأخت الصغرى أنها تخلت عن أحقيتها في المنزل مقابل بعض الموروثات العائلية التي رفضت أختها منحهم لها. كان هناك بعض المجوهرات وعدة قطع من الأثاث الأثري وطقم من الأطباق ذات الأطراف الذهبية التي بدا أنها تُسبِّب ضِيقًا للأخت الصغرى أكثر من أي شيء آخر. سمحت لي السيدة ساندرسون أن أفتش في صندوق من الأوراق العائلية؛ لذا رأيت بعضًا من الخطابات التي تلقتها الآنسة كراين من أختها، وفي جميعهم تبرز تلك الأطباق على أنها الموضوع المتكرر المؤلم. على أي حال ماتت الأخت الكبرى بالالتهاب الرئوي هنا في المنزل بدون عونٍ من أحدٍ سوى المساعدة الصغيرة – كان هناك قصص بعد ذلك عن طبيب تم استدعاؤه بعد ضياع الوقت وعن سيدة عجوز ترقد مهملة في الأعلى، بينما السيدة الصغيرة تعبث في الحديقة مع شخصٍ فظ من القرية ولكني أشك أن تلك مجرد خيالات



فضائحية. أنا بالتأكيد لا أستطيع أن أجزم بتصديق شيء مثل هذا على نطاق واسع في وقتها، بل الحقيقة بدا أن بعض تلك القصص أتت مباشرة من الانتقام المسموم للأخت الصغرى التي لم يهدأ غضبها أبدًا".

قالت تيودورا: "أنا لا أحب الأخت الصغرى. أولًا سرقت حبيبَ أختها ثم حاولت أن تسرق أطباق أختها. لا أنا لا أحبها."

"يملك هيل هاوس قائمة مثيرة من المآسي المرتبطة به ولكن أغلب البيوت القديمة هكذا. لا بُدّ أن يعيش الناس ويموتون في مكانٍ ما، ولا يمكن لمنزل أن يظل قائمًا لثمانين عامًا دون أن يرى سكانه يموتون داخل جدرانه. بعد وفاة الأخت الكبرى كان هناك دعوة قضائية حول المنزل. أصرت المرافقة أن المنزل تُرك لها، ولكنّ الأخت الصغرى وزوجها تمسكا بعنفٍ بأن المنزل -قانونًا- مِلكٌ لهما وادعيا أن المرافقة خدعت الأخت الكبرى وجعلتها توقع على التخلي عن الممتلكات التي كانت تنوي دائمًا أن تتركها لأختها. كان شأنًا مؤسفًا مثل جميع المشاجرات العائلية وكما في جميع المشاجرات العائلية قيلت أشياء حادة وقاسية بشكل مريع من كلا الطرفين. أقسمت المرافقة في المحكمة - وأظن أن تلك هي أول إشارة إلى هيل هاوس بشخصيته الحقيقية - أن الأخت الصغرى أتت



إلى المنزل ليلًا وسرقت أشياء. عندما ضغط عليها كي تتوسع في توضيح الاتهام أصبحت متوترة جدًّا وكلامها غير مترابط، وأخيرًا أجبرت على إعطاء بعض الأدلة على اتهامها، فقالت إن طاقم التقديم الفضي غير موجود، وكذلك طاقم ثمين من المينا بالإضافة إلى الأطباق الشهيرة ذات الحواف الذهبية والتي كانت بالفعل شيئًا تصعب سرقته بشدة إذا فكرت في الأمر. من جانبها تمادت الأخت الصغرى إلى درجة أنها ذكرت القتل وطالبت بتحقيق في موت الآنسة كراين العجوز، مثيرة أول تلميحات إلى قصص الإهمال وسوء الإدارة. أنا لا أستطيع أن أكتشف ما إن كانت تلك الاتهامات أخذت بجدية. لا يوجد سجل على الإطلاق بأيٍّ منها سوى إعلان رسمي عن موت الأخت الكبرى وحتمًا كان أهالي القرية سيكونون أول من يتساءل إن كان هناك أي شيء غريب في الوفاة. ربحت المرافقة القضية أخيرًا وكانت تستطيع من وجهة نظري أن تربح قضية تشهير أيضًا وأصبح المنزل ملكها قانونًا، مع أن الأخت الصغرى لم تتوقف عن محاولة الحصول عليه. لاحقت المرافقة التعيسة بالخطابات والتهديدات وألقت أكثر الاتهامات غرابة ضدها في كل مكان وفي سجلات الشرطة المحلية. هناك على الأقل مناسبة واحدة أجبرت فيها المرافقة على طلب حماية من الشرطة



لمنع عدوتها من مهاجمتها بمقشة. ذهبت المرافقة مرعوبة على ما يبدو. لقد سرق منزلها ليلًا – لم تتوقف أبدًا عن الإصرار على أنهم أتوا وسرقوا أشياء – وقد قرأت خطابًا واحدًا بائسًا اشتكت فيه أنها لم تقض ليلة هادئة في المنزل منذ وفاة المحسنة إليها. الغريب أن تعاطف القرية كان مع الأخت الصغرى ربما لأن المرافقة والتي كانت في وقتٍ من الأوقات فتاةً قروية أصبحت الآن سيدة الإقطاعية. اعتقد القرويون -وأظن أنهم لا زالوا يعتقدون- أن سيدة شابة متآمرة قد خدعت الأخت الصغرى مستولية على ميراثها. كما ترين هم لم يصدقوا أنها قتلت صديقتها ولكنهم كانوا مستمتعين بتصديق أنها مخادعة بالتأكيد لأنهم هم بأنفسهم كانوا قادرين على الخداع إذا أتيحت الفرصة. حسنًا فإن النميمة دائمًا عدوٌّ سيء. عندما قتلت المخلوقة المسكينة نفسها..."

"قتلت نفسها؟" أجبرت الصدمة إلينور على التحدث، وهمت بالوقوف: "كان عليها أن تقتل نفسها؟"

"هل تعنين أنه كان هناك طريقة أخرى لتفادي المعاناة؟ بالتأكيد لم تكن تعتقد ذلك. كان من المتوافق عليه محليًا أنها اختارت الانتحار لأن إحساسها بالذنب دفعها إلى ذلك. أنا أميل إلى الاعتقاد أنها إحدى هؤلاء الفتيات العنيدات ناقصات الذكاء اللواتي يمكنهن



التشبث بيأس بما يؤمنّ بأنه مِلكٌ لهن، ولكن دون القدرة الذهنية على تحمُّل الاضطهاد اللحوح الدائم. بالتأكيد لم تملك أسلحة تحارب بها ضد حملة الكراهية من الأخت الصغرى أو أصدقائها هي نفسها في القرية الذين انقلبوا عليها وبدا أنها جنت من الاعتقاد أن الأقفال والمزاليج ليست كافية لتمنع العدو من التسلل إلى منزلها وسرقتها."

قالت إلينور: "كان يجب عليها أن تبتعد. تترك المنزل وتركض بعيدًا قدر استطاعتها."

"لقد فعلت ذلك فعلًا. أنا أعتقد حقًّا أن الفتاة المسكينة كُرهت حتى الموت. على فكرة لقد شنقت نفسها من علية البرج، ولكن عندما يكون لديك منزل له برج وعلية مثل هيل هاوس لن تسمح لك النميمة أن تشنق نفسك في أي مكانٍ آخر. بعد موتها انتقل المنزل قانونًا إلى عائلة ساندرسون الذين كانوا أبناء عمومتها وليسوا مستضعفين أمام اضطهاد الأخت الصغرى التي بدا وكأن بعضَ الخرف قد أصابها هي نفسها بحلول ذلك الوقت. سمعت من السيدة ساندرسون أنه عندما أتت العائلة – كانت عائلة والدي زوجها – لترى المنزل لأول مرة، أتت الأخت الصغرى كي تسيء لهم ووقفت في الطريق تصيح بينما هم يمرون فوجدت نفسها تُشحَن إلى قسم الشرطة المحلي. وبدا أن ذلك هو



نهاية الجزء من القصة الخاص بالأخت الصغرى. منذ أول يوم أبعدها فيه أول فرد في عائلة ساندرسون إلى الإعلان المختصر عن وفاتها بعد سنواتٍ قليلة، بدا أنها قضت وقتها تفكر في أخطائها في صمتٍ ولكن بعيدًا عن عائلة ساندرسون. الغريب أنها صممت في كل ثرثرتها على نقطة واحدة- لم تأتِ، لم تأتِ إلى المنزل ليلًا لتسرق أو لأي سبب آخر."

سأل لوك: "هل حقًا سُرقَ أي شيء؟"

"كما قلت لك ضُغط على المرافقة حتى قالت أخيرًا إنه قد يكون هناك شيء أو اثنان مفقودان ولكنها غير قادرة على التأكد. كما قد تتصور فإن قصة المتسلل الليلي ساهمت في تعزيز سمعة هيل هاوس. مع ذلك فلم تعش عائلة ساندرسون هناك أبدًا. قضوا بضعة أيام في المنزل قائلين لأهالي القرية إنهم يحضرونه لإقامتهم فيه فورًا ثم أخلوه فجأة مغلقين المنزل كما هو. قالوا في القرية إن شئون عاجلة حملتهم على المغادرة إلى المدينة ولكن القرويين ظنوا أنهم يعرفون الحقيقة. لم يعش أي شخص في المنزل لأكثر من بضعة أيام في أي وقت. لقد طُرح للبيع أو الإيجار من وقتها. حسنًا هذه قصة طويلة. أنا أحتاج بعض البراندي"

قالت إلينور وهي تنظر إلى النار "هاتان الفتاتان



الصغيرتان المسكينتان. أنا لا أستطيع أن أنساهما وهما تمشيان عبر الغرف المظلمة تحاولان أن تلعبا بالعرائس ربما هنا أو في غرف النوم بالأعلى."

مدّ لوك إصبعًا مترددًا ولمس كيوبيد الرخامي بحرص "لم يُلمس شيء، لم يُستخدم شيء، لم يعد هناك شيء هنا يريده أي شخص، فقط يجلس هنا ويفكر."

"وينتظر".. قالت إلينور

"وينتظر" أكد الدكتور "أساسًا" ثم أكمل ببطء: "الشر هو المنزل نفسه على ما أظن. لقد قيد ودمر ناسه وحياتهم. إنه مكان يحتوي على إرادة مريضة. حسنًا، غدًا ستشاهدون كل شيء. لقد أدخلت عائلة ساندرسون الكهرباء والسباكة والهاتف عندما فكّروا لأول مرة في أن يعيشوا هنا ولم يتغيّر أي شيء غير ذلك."

"حسنًا" قال لوك بعد فترة صمتٍ قصيرة: "أنا واثقٌ أننا سنكون مرتاحين جدًّا هنا."

***

وجدت إلينور نفسها فجأةً تتأمل قدميها. حلمت تيودورا أمام النار التي تقع بعد أطراف أصابع قدميها مباشرة، وفكرت إلينور برضا تام أن قدميها وسيمانن في الصندل الأحمر. كم *أنا* شيء متكامل ومنفصل من



اصابع القدم الحمراء وحتى قمة رأسي، بشكل فردي أنا املك صفات تنتمي لي فقط. لدي حذاء أحمر - يليق بكوني إلينور، أنا لا أحب الكركند وأنام على جانبي الأيسر وأطقطق أصابعي عندما أكون مرتبكة وأجمع الأزرار. أنا أمسك كأس من البراندي يخصني لأني هنا وأنا أستخدمه ولدي مكان في هذه الغرفة. أنا لدي حذاء أحمر وغدًا سأصحو وسأكون لا أزال هنا.

"كنت أنوي -" قال الدكتور وهو ينظر إليهم من حوله بتفاؤل مشرق وقلق: "كنت أنوي أن أسأل إن كنتم جميعًا تلعبون البريدج؟"

قالت إلينور: "بالطبع" ولنفسها قالت ألعب البريدج، كان لدي قطة اسمها دانسر، أستطيع أن أسبح.

قالت ثيودورا: "لا للأسف" واستدار الثلاثة الآخرون لينظروا إليها باستياء صريح.

سأل الدكتور: "إطلاقًا؟"

قالت إلينور: "أنا ألعب البريدج مرتين أسبوعيًا منذ إحدى عشرة سنة مع أمي ومحاميها وزوجته - أنا متأكدة أنك تلعبين على الأقل بنفس الجودة."

سألت ثيودورا: "ربما تستطيعين أن تعلميني؟ أنا أتعلم الألعاب بسرعة."

قال الدكتور: "يا إلهي" وضحك لوك وإلينور.

قالت إلينور: "سنفعل شيئًا غير ذلك بدلًا منه"



ولنفسها أنا أستطيع أن ألعب البريدج، أنا أحب فطيرة التفاح بالكريمة الحمضية وقد قدت السيارة إلى هنا بنفسي. قال الدكتور بمرارة "الطاولة".

"أنا أجيد لعب الشطرنج".. قال لوك للدكتور الذي انفرجت أساريره فورًا. زمت ثيودورا فمها بعنادٍ "لم أتصور أننا أتينا إلى هنا لنلعب".

قال الدكتور بدون وضوح "راحة" واستدارت ثيودورا نحو النار مرة أخرى مع هزة كئيبة لكتفيها.

قال لوك: "سآتي بقطع الشطرنج إن قلت لي من أين" وابتسم الدكتور.

قال: "الأفضل أن تدعني أنا أذهب. تذكر أني قد درست خريطة المنزل. إن سمحنا لك أن تتجول وحدك فمن المرجح جدًا أن لا نجدك بعد ذلك" وبينما نغلق الباب خلفه منح لوك ثيودورا نظرة سريعة فضولية ثم ذهب للوقوف مع إلينور: "أنت لست متوترة أليس كذلك؟ هل أخافتك القصة؟"

هزت إلينور رأسها بتأكيد وقال لوك: "تبدين شاحبة".

قالت إلينور: "في الأغلب يجب أن أكون في سريري. أنا غير معتادة على قيادة السيارة كل المسافة التي قطعتها اليوم."

قال لوك: "البراندي سيساعدك على النوم بشكل



أفضل" ثم قال لثيودورا التي كانت تدير ظهرها له "وأنت أيضًا".

"شكرًا" قالت ثيودورا ببرودٍ دون أن تستدير. "أنا نادرًا ما أجد النوم صعبًا."

ابتسم لوك ابتسامة العارف موجهًا إياها إلى إلينور ثم استدار بينما يفتح الدكتور الباب. قال الدكتور وهو يضع طاقم الشطرنج: "يالخيالي الجامح. أي بيت هذا!"

سألت إلينور: "هل حدث شيء ما؟"

هز الدكتور رأسه قائلًا: "ربما يجدر بكم أن توافقوا الآن على ألا تتجولوا في البيت وحدكم."

سالت إلينور: "ماذا حدث؟"

قال الدكتور بحسم: "إنه خيالي. هل هذه الطاولة مناسبة يا لوك؟"

قال لوك: "إنه طاقم شطرنج بديع وقديم. أسائل كيف تجاهلته الأخت الصغرى."

قال الدكتور: "أستطيع أن أقول لك شيئًا واحدًا. إن كانت بالفعل الأخت الصغرى تتجول خلسة في هذا المنزل ليلاً فسيكون لديها أعصاب من فولاذ" ثم أضاف فجأة "إنه يراقب. المنزل. يراقب كل حركة نقوم بها" ثم قال "إنه خيالي بالطبع."

في ضوء النار كان وجه ثيودورا جامدًا وعابسًا.

قالت إلينور لنفسها بحكمة إنها تحب الاهتمام ثم بلا



تفكير تحركت وجلست على الأرض بجوار ثيودورا. كانت تسمع الصوت الهادئ لترتيب قطع الشطرنج على اللوح من خلفها والحركات الصغيرة للوك والدكتور وهما يقيسان قدرة بعضهم البعض. في نار المدفأة كان للهب حواف وكان هناك تقلبات طفيفة. انتظرت دقيقة كي تتكلم ثيودورا ثم قالت بودٍّ: "لا زال من الصعب تصديق أنك هنا حقًّا؟"

قالت ثيودورا: "لم يكن لدي فكرة أن الأمر سيكون مملاً هكذا."

قالت إلينور: "ستجدين أشياء كثيرة تفعلينها في الصباح."

"يكون هناك أشخاص كثيرون في المنزل وحديث كثيرٌ وضحك وأضواء وحماس.."

قالت إلينور وهي تكاد تعتذر: "أتصور أني لا أحتاج إلى مثل تلك الأشياء. لا يكون هناك الكثير من الإثارة بالنسبة لي. كان عليّ أن أبقى مع أمي بالطبع. وعندما تنام اعتدت أن ألعب وحدي بالورق أو أستمع إلى الراديو. لم أكن أطيق أن أقرأ في المساء؛ لأن كان عليّ أن اقرأ لها بصوت عالٍ لساعتين كل مساء. قصص حب" إبتسمت قليلاً وهي تنظر إلى النار. وقالت لنفسها ولكن هذا ليس كل شيء مندهشة من نفسها، هذا لا يحكي ما كانت عليه الأمور حتى إن أردت أنا أن أقول.

لماذا أتحدث؟

تحركت تيودورا سريعًا ووضعت يدها فوق يد إلينور: "أنا شنيعة أليس كذلك؟ أجلس هنا وأتذمر لأنه لا يوجد شيء يسليني. أنا أنانية جدًا. قولي لي كم أنا بشعة" ولمعت عينها في ضوء النار ببهجة.

قالت إلينور بطاعة: "أنتِ شنيعة. أحرجتها يد تيودورا وهي فوق يدها. لم تكن تحب أن يلمسها أحد ومع ذلك فإن الإشارة الجسدية الصغيرة بدت وكأنه طريقة تيودورا المختارة في التعبير عن الأسى أو الاستمتاع أو التعاطف. قالت إلينور لنفسها هل أظافري نظيفة، وسحبت يدها بهدوء.

قالت تيودورا بخفة مرة أخرى: "أنا رهيبة، أنا رهيبة ووحشية ولا يستطيع أحد أن يطيقني. ها أنا ذا. والآن احكي لي عن نفسك."

"أنا رهيبة ووحشية ولا يستطيع أحد أن يطيقني."

ضحكت تيودورا: "لا تسخري مني. أنت لطيفة وودودة والجميع يحبك كثيرًا. لقد وقع لوك في حبك بجنون وأنا أشعر بالغيرة. والآن أريد أن أعرف أكثر عنك. هل أعتنيتِ بأمك فعلاً لسنوات؟"

"نعم" قالت إلينور. كانت أظافرها متسخة بالفعل ويدها سيئة الشكل والناس أحيانًا يطلقون نكات عن الحب؛ لأن ذلك يكون مضحكًا أحيانًا.

"إحدى عشرة سنة حتى ماتت قبل ثلاثة أشهر".

"هل شعرتِ بالأسف حين ماتت؟ هل يجب أن أقول كم أنا آسفة؟"

"لا. لم تكن سعيدة جدًا."

"ولا أنت أيضًا؟"

"ولا أنا أيضًا."

"ولكن ماذا عن الآن؟ ما الذي فعلتِه بعد ذلك، عندما أصبحتِ حرة أخيرًا؟"

قالت إلينور "بعت المنزل. أخذت أنا وأختي ما أردنا منه، أشياء صغيرة. لم يكن هناك الكثير في الحقيقة سوى أشياء صغيرة ادخرتها أمي - ساعة أمي وبعد المجوهرات القديمة. ليس مثل شقيقات هيل هاوس على الإطلاق."

"وبعتِ كل شيء آخر؟

"كل شيء. فور أن استطعت."

"ثم بالطبع بدأتِ في نزوة مرحة مجنونة أتت بك حتميًا إلى هيل هاوس؟"

ضحكت إلينور "ليس بالضبط."

"ولكن كل تلك السنوات المهدرة! هل ذهبتي في رحلة بحرية بحثا عن شبان مثيرين واشتريتِ ملابس جديدة...؟"

قالت إلينور بجفاف: "للأسف لم يكن هناك قدر كبير

من المال. وضعت أختي نصيبها في البنك من أجل تعليم الفتاة الصغيرة. اشتريت بعض الملابس الجديدة بالفعل، كي آتي إلى هيل هاوس" قالت لنفسها *يحب الناس أن يجاوبوا على أسئلة عن أنفسهم، يا لها من متعة غريبة. سأجاوب على أي شيء الآن.*

"ماذا ستفعلين عندما تعودين. هل لديكِ عمل؟"

"لا. لا عمل في الوقت الحالي. لا أعرف ما الذي سأفعله."

تمددت تيودورا بفخامة وقالت: "أنا أعرف ما الذي سأفعله. سأضيء كل ضوء في شقتي وأستمتع."

"ما شكل شقتك؟"

هزت تيودورا كتفيها: "جيدة. وجدنا مكانًا قديًما وأصلحناه بأنفسنا. غرفة واحدة كبيرة وغرفتان صغيرتان، مطبخ جميل – دهناه بالأحمر والأبيض وجددنا الكثير من الأثاث القديم الذي نقبنا عنه في محلات الأشياء القديمة – طاولة جميلة جدًّا بسطح من الرخام. نحب نحن الاثنان أن نجدد الأثاث القديم".

سألت إلينور: "هل أنت متزوجة؟"

كان هناك صمت قصير ثم ضحكت تيودورا بسرعة وقالت: "لا".

قالت إلينور: "آسفة" وهي تشعر بخجل رهيب "لم أقصد أن أتطفل"



"أنت مضحكة" قالتها ثيودورا ولمست خد إلينور بإصبعها. فكرت إلينور *هناك خطوط* بجانب عيني وأدارات وجهها بعيدًا عن النار. سألت: "قولي لي أين تسكنين".

فكرت إلينور وهي تنظر إلى يديها بشكلهما السيء. *كان يمكننا تحمل نفاقات استئجار* سيدة *لتقوم بالغسيل. هذا ليس* عدلًا. *يداي شنيعتان.* قالت ببطء "لدي مكان صغير خاص بي. شقة مثل شقتك ولكني أعيش وحدي. أنا متأكدة أنها أصغر من شقتك. لا زلت أفرشها – أشتري شيئًا كل فترة كما تعلمين كي أتأكد أن كل شيء صحيح تمامًا. ستائر بيضاء. كان عليّ أن أبحث لأسابيع قبل أن أجد الأسود الحجرية على كل ركنٍ من رف المدفأة ولدي قطة بيضاء وكتب وتسجيلات وصور. كل شيء يجب أن يكون كما أريده تمامًا؛ لأنه لا يوجد غيري يستخدمه. في مرة كان لدي فنجان أزرق رُسمت نجوم داخله. عندما أنظر إلى قاع فنجان الشاي يكون مليًا بالنجوم. أريد فنجانًا مثل هذا."

قالت ثيودورا "ربما سيظهر واحدٌ مثله في يومٍ ما في دكاني. عندها سأرسله لك. في يوم ما سيصلك طرد صغير مكتوب عليه "إلى إلينور مع حبي من صديقتك ثيودورا" وسيكون فنجانًا أزرق مليئًا

بالنجوم."

قالت إلينور ضاحكة: "كنت سأسرق تلك الصحون ذات الأطراف الذهبية."

قال لوك "كش ملك" فقال الدكتور "يا إلهي يا إلهي".

"حظ أعمى" قال لوك بمرح "هل سقطتم في النوم يا سيدات هناك بجوار النار؟"

"تقريبًا" قالت ثيودورا. أتى لوك عبر الغرفة ومدّ يداً لكل منهما ليساعدها على الوقوف وكادت إلينور التي كانت تتحرك بتخبط أن تقع. وقفت ثيودورا بحركة سريعة ومدت جسدها وتثاءبت وقالت: "ثيو نعسانة".

قال الدكتور: "عليّ أن أقودكم إلى الأعلى. غدًا يجب أن نبدأ حقًّا في تعلُّم الطريق. لوك هل تغطي النار؟"

سأل لوك: "أليس من الأفضل أن نتأكد أن الأبواب موصدة؟ أستطيع أن أتخيل أن السيدة دادلي أغلقت الباب الخلفي بالمفتاح عندما غادرت، ولكن ماذا عن الأبواب الأخرى؟"

قالت ثيودورا: "لا أظن أننا سنمسك بشخصٍ يحاول الاقتحام. على كل حالٍ؛ فإن المرافقة الصغيرة كانت توصد أبوابها وماذا استفادت من ذلك؟"

نظر الدكتور سريعًا إلى إلينور ثم أبعد بصره عنها وقال بهدوء: "لا أرى حاجة إلى إغلاق الأبواب بالمفتاح".



قال لوك: "لا يوجد خطر كبير من أن يأتي لصوص من القرية."

قال الدكتور: "على أي حال فلن أنام قبل ساعة أو أكثر. في عمري هذا القراءة لمدة ساعة قبل النوم أساسية وأنا جلبت معي بحكمة رواية باميلا. إن وجد أحدكم صعوبة في النوم فسأقرأها له بصوتٍ عالٍ. لم أعرف حتى الآن شخصًا لا يقع في النوم عندما تقرأ له كتابات ريتشيردسون بصوت عالٍ". قادهم وهو يتحدث بهدوءٍ عبر الممر الضيق وعبر البهو الأمامي الكبير وإلى السلم "كثيرًا ما نويت أن أجربها على أطفال صغار جدًا."

تبعت إلينور تيودورا وهي تصعد السلم. لم تدرك حتى الآن كم هي منهكة وكانت كل سلمة تتطلب مجهودًا. ذكّرت نفسها بإلحاح أنها في هيل هاوس، ولكن حتى الغرفة الزرقاء لم تعنِ في الوقت الحالي سوى سرير بغطاء أزرق ولحاف أزرق. استمر الدكتور في الحديث من خلفها "على الجانب الآخر فإن رواية لفيلدينج مقاربة لها في الطول ولكن ليس في الموضوع إطلاقًا لن تصلح للأطفال الصغار. أشك أن حتى ستيرن..."

اتجهت تيودورا إلى باب الغرفة الخضراء واستدارت وابتسمت وقالت لإلينور "إن شعرتِ بأي قدر من التوتر

فاركضي فورًا إلى غرفتي."

قالت إلينور بجدية: "سأفعل. شكرًا. تصبحين على خير."

".. بالتأكيد ليس سمولت. يا سيدات، أنا ولوك هنا في الجانب الآخر من السُلم..."

سألت إيلنور غير قادرة على المقاومة: "ما لون غرفتكم؟"

"زهري" قال لوك بإيماءة نفورٍ أنيقة.

قالت ثيودورا: "نحن هنا أزرق وأخضر."

قال الدكتور: "سأكون مستيقظًا أقرأ. سأترك بابي مفتوحًا؛ فبالتأكيد سأسمع أيَّ صوتٍ. تصبحون على خيرٍ. ناموا جيدًا."

"تصبح على خير".. قال لوك "تصبحون جميعًا على خير".

فكرت إلينور بسأم وهي تُغلِق باب الغرفة الزرقاء خلفها أن الظلام وثقل هيل هاوس قد يكونان ما يتعبها إلى هذه الدرجة ثم لم يعد ذلك مهمًا. كانت الغرفة الزرقاء ناعمة بشكل لا يصدق. فكرت وهي ناعسة أنه من الغريب أن يكون المنزل مخيفًا إلى هذه الدرجة ومع ذلك مريحًا جسديًا إلى هذه الدرجة على عدة مستويات – السرير الطري والحديقة اللطيفة والنار الجيدة وطبخ السيدة دادلي. فكرت أن الصبحة كذلك



أيضًا ثم فكرت؛ الآن أستطيع أن أفكر فيهم. أنا وحدي. لماذا يوجد لوك هنا؟ ولكن لمَ أنا نَفْسي هنا؟ الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة. لقد رأوا جميعًا أني خائفة. ارتعشت وانتصبت جالسة في السرير لتمد يدها إلى اللحاف عند قدميها. ثم انزلقت خارجة من السرير مستمتعة جزئيًا وشاعرة بالبرد جزئيًا وذهبت حافية وصامتة عبر الغرفة كي تدير المفتاح في مزلاجِ الباب. قالت لنفسها: لن يعرفوا أني أغلقته بالمفتاح وأسرعت عائدة إلى السرير. وجدت نفسها تنظر بترقب سريع إلى النافذة التي تلمع لمعة باهتة في الظلام ثم إلى الباب بينما اللحاف ممدودًا إلى أعلى. أتمنى لو كان معي أقراص منومة كي آخذها ومرة أخرى وجدَت نفسها مجبرة على النظر خلفها نحو النافذة ثم مرة أخرى نحو الباب وفكرة، هل يتحرك؟ قررت بصلابة، أنا أظن أني سأحب الأمر أكثر إن كان الغطاء ممتدًا فوق رأسي. ضحكت وهي مختبئة على عمقٍ تحت الأغطية وكانت سعيدة أن الآخرين لا يستطيعون أن يسمعوها. في المدينة لا تنام أبدًا برأسها تحت الأغطية. قالت لنفسها لقد اجتزت كل هذا اليوم. ثم نامت آمنة. في الغرفة المجاورة نامت تيودورا مبتسمة وضوؤها مضاء. على مسافة في نفس الممر رفع الدكتور رأسه كل فترة وهو يقرأ باميلا وأنصت، وفي إحدى المرات



ذهب إلى بابه ووقف هناك للحظة ينظر نحو الممر قبل أن يعود إلى كتابه.

لمع ضوءُ ليليٍّ عند قمة السلم فوق البهو الذي كان بركة من ظلام. نام لوك وعلى الطاولة المجاورة لسريره مصابح والقطعة الجالبة للحظ التي يحملها معه دائمًا. كان المنزل يغشي عليهم ويستقر ويتقلب بالحركة التي تكاد تكون رعشة.

على بُعد ستة أميال استيقظت السيدة دادلي وفكرت في هيل هاوس وهي تنظر إلى الساعة ثم أغلقت عينيها بسرعة. السيدة جلوريا ساندرسون التي تملك هيل هاوس وتعيش على بُعد ثلاثمائة ميل منه أغلقت روايتها البوليسية وتثاءبت ومدت يدها لتغلق الضوء متسائلة لبرهة إن كانت قد تذكرت أن تغلق الباب الأمامي بسلسلة. نام صديق تيودورا كما نامت زوجة الدكتور وأخت إلينور. بعيدًا بين الأشجار التي تعلو هيل هاوس صاحت بومة وقرب الصباح بدأ مطر خفيف وضبابي وقاتم.

(4)

استيقظت إلينور لتجد الغرفة الزرقاء رمادية وبلا لونٍ في مطر الصباح. وجدت أنها قد رمت اللحاف من عليها وأكملت يومها بالطريقة المعتادة ورأسها على المخدة. كانت مفاجأة أن تجد أنها قد نامت لما بعد الثامنة، وفكرت أنه من المثير للسخرية أن أول ليلة نوم جيدة تنالها منذ سنوات جاءتها في هيل هاوس، سألت نفسها وهي مستلقية على السرير الأزرق وتنظر إلى الأعلى نحو السقف المظلم بنقوشه البعيدة وهي لا تزال نصف نائمة *ما الذي أفعله هنا*. *هل جعلت من نفسي مثارًا للسخرية؟ هل كانوا يضحكون عليّ؟*

راجعت سريعًا الليلة الماضية ولم تتذكر سوى أنها -لا بُدّ أنها- بدت حمقاء وراضية بشكل طفولي وتقريبًا سعيدة. هل استمتع الآخرون بأنها على هذا القدر من البساطة؟ قالت لنفسها *قلت أشياء سخيفة وبالطبع قد لاحظوا. اليوم سأكون أكثر تحفظًا وأقل امتنانا بشكل منفتح لهم على قبولي بينهم.*

ثم هزت رأسها وتنهدت وقد أفاقت بشكلٍ كاملٍ. قالت لنفسها: *طفلة سخيفة جدًا يا إلينور*. كما تفعل كل نهار. استيقظت الغرفة بوضوح من حولها. كانت في الغرفة الزرقاء في هيل هاوس والستائر القطنية



تتحرك حركة طفيفة عند النافذة وضجيج الطرطشة الآتي من الحمّام لا بُدّ أنه ثيودورا وقد صحت للتأكد أنها أول من ترتدي ملابسها وبالتأكيد جائعة. نادت إلينور "صباح الخير" وأتى رد ثيودورا كشهيق "صباح الخير – سأنتهي بعد دقيقة- سأترك الحوض مليئًا بالماء من أجلك- هل تتضورين جوعًا؟ أنا كذلك". تساءلت إلينور *هل تظن أني لن أستحم إلا لو تركت الحوض ممتلئًا بالماء من أجلي؟* ثم شعرت بالخجل وقالت لنفسها بصرامة *أتيت إلى هنا للتوقف عن التفكير في أشياء مثل هذه*. نظرت إلى الشرفة في الخارج واستدارت خارجة من السرير وذهبت نحوا النافذة. نظرت من النافذة فوق سطح الشرفة إلى الحديقة الواسعة بالأسفل بشجيراتها والتجمعات الصغيرة للشجر المغطاة بالسديم. في الطرف البعيد من الحديقة كان هناك صف من الأشجار التي حددت الطريق إلى الجدول مع أن إمكانية القيام بنزهة مرحة على العشب لم تكن جذابة جدًا هذا الصباح. كان من الواضح أن البلل سيستمر طوال اليوم ولكنه كان مطر صيفي يزيد من خضرة العشب والأشجار ويجعل الهواء أكثر نظافة وله رائحة حلوة. تساءلت إن كانت أول شخص يجد هيل هاوس ساحرًا ثم قال لنفسها وهي أكثر هدوء *أم أنهم جميعًا يظنون ذلك في أول نهار؟*



ارتجفت ووجدت نفسها في نفس الوقت غير قادرة على تحديد سبب الإثارة التي تحس بها والتي جعلت من الصعب تذكُّر لماذا هو غريب أن تصحو شاعرًا بالسعادة في هيل هاوس.

"سأتضور جوعًا" طرقت تيودورا على باب الحمَّام فجذبت إلينور الروب وأسرعت. نادتها تيودورا من غرفتها: "حاولي أن تظهري مثل شعاع شمس شارد. إنه يوم مظلم فعلينا نحن أن نكون مشرقين أكثر قليلاً من المعتاد".

قالت إلينور لنفسها غني *قبل الإفطار* ستبكين بعد *الثامنة* لأنها كانت تغني برقة لنفسها "لا يوجد وفرة في التأخير..."

قالت تيودورا في تواطؤ عبر الباب: "كنت أظن أني أنا الشخص الكسول. ولكنك أسوأ كثيرًا جدًّا جدًّا. الكسل قاصر عن وصفك. لا بُدّ أنك نظيفة بما يكفي الآن كي تأتي لتتناولي الإفطار."

"السيدة دادلي تحضر الإفطار في التاسعة. ما الذي ستظنه عندما نظهر مشرقين ومبتسمين؟"

"ستجهش بالبكاء من الإحباط. في تصوُّرك هل صاح أحد مناديًا عليها في الليل؟"

ألقت إلينور نظرة ناقدة على ساق غارقة في الصابون وقالت: "نمت كالخشبة."



"وأنا كذلك. إن لم تجهزي في ثلاث دقائق فسآتي إلى الداخل وأغرقك. أريد فطوري."

فكرت إلينور في أن وقتًا طويلاً قد مضى منذ ارتدت ملابسها بغرض أن تبدو كشعاع شمس شارد أو كانت جائعة وقت الإفطار أو استيقظت بكل هذا الوعي بنفسها وبكل هذا التعمد والحنان في انتباهها. لقد غسلت أسنانها بقدرٍ من اللطف لا تتذكر أنها شعرت به من قبل. قالت لنفسها هذه *نتيجة النوم الجيد لليلة. لا بدّ أني نمت نومًا أكثر رداءة من ما ظننت منذ أن ماتت امي.*

"ألم تستعدي حتى الآن؟"

"أنا آتية" قالت إلينور وركضت نحو الباب ثم تذكرت أنه لا يزال موصدًا ففتحته بهدوء. كانت ثيودورا تنتظر في البهو واضحة وسط القتامة وهي ترتدي تنورة مبهرجة. لم يمكن ممكنًا لإلينور وهي تنظر إلى ثيودورا أن تعتقد أنها لا ترتدي ملابسها أو تستحم أو تتحرك أو تأكل أو تنام أو تتحدث بدون أن تستمتع بكل دقيقة مما تفعله. ربما لم تبالِ ثيودورا أبدًا برأي الناس فيها.

قالت ثيودورا: "هل تدركين أننا قد نقضي ساعة أخرى أو ما إلى ذلك لمجرد العثور على غرفة الطعام. ولكن ربما يكونون قد تركوا لنا خريطة – هل تعرفين



أن لوك والدكتور مستيقظان منذ ساعات؟ كنت أتحدث معهما من النافذة."

قالت إلينور لنفسها *لقد بدأوا بدوني. غدًا سأستيقظ مبكرًا أكثر وسأكون موجودة كي أتحدث معهم من النافذة أيضًا*. وصلوا إلى أسفل السلم وعبرت تيودورا البهو الضخم المظلم ووضعت يدها بثقة على الباب وقالت "ها هو" ولكن الباب فتح على غرفة مظلمة يتردد فيها صدى الصوت ولم تراها أيٌ منهما من قبل. "ها هي" قالت إلينور ولكن الباب الذي اخترته أدى إلى ممرٍّ جديدٍ نحو غرفة المعيشة التي جلسوا فيها أمام النار.

قالت تيودورا "إنها عبر البهو من هنا" ثم استدارت مشوشة وقالت: "اللعنة" ثم أدخلت رأسها مرة أخرى وصاحت "لوك؟ دكتور؟". سمعوا صيحة ترد من بعيد وتحركت تيودورا لتفتح بابًا آخر. قالت لإلينور التي تقف خلفها "إن كانوا يظنون أنهم سيبقوني هنا إلى الأبد في هذا البهو القذر أحاول مع باب تلو الآخر كي أحصل على فطوري."

قالت إلينور: "أظن أن هذا هو الباب الصحيح، باب الغرفة المظلمة التي نعبرها من ثم إلى غرفة الطعام من ورائها."

صاحت تيودورا مرة أخرى وهي تتعثر فوق قطعة

خفيفة من الأثاث وأطلقت لعنات وعندها فتح الباب البعيد وقال الدكتور: "صباح الخير".

قالت ثيودورا وهي تدعك ركبتيها: "بيت سيء وقذر. صباح الخير."

قال الدكتور: "لن تصدقوا ذلك أبدًا الآن بالطبع، ولكن كانت تلك الأبواب مفتوحة على مصراعيها منذ ثلاث دقائق. تركناهم مفتوحين كي تتعرفوا على الطريق. وجلسنا هنا وشاهدناهم وهم يغلقون قبل أن تنادوا. حسنًا. صباح الخير."

قال لوك من عند الطاولة: "سمك مدخن. صباح الخير. أتمنى أن تكونوا يا سيدات من النوع الذي يأكل السمك المدخَّن."

كانوا قد عبروا من ظلام ليلة، كانوا قد قابلوا النهار في هيل هاوس وكانوا عائلة تحيي بعضها البعض بأريحية ويتحركون نحو الكراسي التي استخدموها في العشاء الليلة الماضية، أماكنهم الخاصة على الطاولة.

قال لوك وهو يلوح بشوكة: "ما وافقت السيدة دادلي على تحضيره في التاسعة هو إفطار كبير جيد. كنا قد بدأنا نتساءل إن كنتم من النوع الذي يتناول القهوة ولفائف الخبز في السرير."

قالت ثيودورا: "كنا سنصل إلى هنا أسرع في أي

بيت آخر."

سألت إلينور: "هل تركتم كل الأبواب مفتوحة لنا فعلاً؟"

قال لها لوك: "هذا كان سبب معرفتنا بأنكم قادمون. رأينا الأبواب تتأرجح وتُغلَق."

قالت تيودورا: "اليوم سندق مسامير لتبقي الأبواب مفتوحة. سأتمشى في هذا المنزل حتى أستطيع أن أجد الطعام عشر مرات من عشر محاولات" وأسرت للدكتور "لقد نمت والضوء مضاء طوال الليل ولكن لم يحدث شيءٌ على الإطلاق."

قال الدكتور: "كل شيء كان هادئًا جدًا."

سألت إلينور: "هل حرستنا طوال الليل؟"

"حتى الثالثة تقريبًا عندما أنامتني باميلا أخيرًا. لم يكن هناك أي صوت حتى بدأ المطر في وقت ما بعد الثانية. واحدة منكن يا سيدات صاحت وهي نائمة مرة واحدة.."

قالت تيودورا بلا خجل: "لا بُدّ أن ذلك كان أنا وأنا أحلم بالأخت الشريرة عند بوابة هيل هاوس."

قالت إلينور: "أنا حلمت بها أيضًا" ونظرت إلى الدكتور وقالت فجأة "الأمر مخجل. أعني التفكير في الخوف."

قالت تيودورا: "نحن جميعًا في ذلك كما تعرفين."



قال الدكتور: "الأمر أسوأ إن حاولت إخفاءه."

قال لوك: "املأوا بطونكم بالسمك المدخَّن. عندها يصبح من المستحيل أن تشعروا بأي شيء آخر."

شعرت إلينور كما كانت قد شعرت في اليوم السابق، أن الحديث يدار بمهارة بعيدًا عن فكرة الخوف والتي تحضر بقوة في ذهنها. ربما كان يسمح لها بالتحدث أحيانًا نيابة عنهم جميعًا فبإسكاتها يُسكِتون أنفسهم ويمكنهم ترك الموضوع بعيدًا عنهم. ربما لأنها موصلة لكل أنواع الخوف فقد احتوت خوفهم جميعًا. قالت لنفسها بغضب *إنهم مثل الأطفال* يتحدون بعضهم *البعض من يبدأ أولًا ومستعدون لأن يستديروا ويطلقوا النعوت على من يأتي في الموقع الأخير*. دفعت صحنها بعيدًا وتنهدت.

قالت ثيودورا للدكتور: "قبل أن أذهب للنوم الليلة أريد أن أتأكد أني رأيت كل بوصة من هذا المنزل. لا أريد المزيد من الاستلقاء والتساؤل عمًّا هو فوق رأسي أو تحتي. ويجب علينا أن نفتح بعض الشبابيك ونبقي الأبواب مفتوحة ونتوقف عن تحسس طريقنا."

اقترح لوك "إشارات صغيرة. أسهم تشير مكتوب عليها الخروج من هنا."

قالت إلينور: "أو طريق مقطوع."

قالت ثيودورا: "أو انتبه، الأثاث يتساقط" ثم قالت



للوك "سنصنعهم نحن."

قالت إلينور: "أولاً سنستكشف المنزل" ربما ببعض الاستعجال لأن ثيودورا استدارات ونظرت إليها بفضول فأضافت إلينور بضيق: "لا أريد أن أجد نفسي متروكة في العلية أو شيئًا من هذا القبيل."

قالت ثيودورا: "لا يريد أحد أن يتركك وحدك في أي مكانٍ."

قال لوك: "إذًا أقترح أن ننهي القهوة التي في الغلاية ثم نذهب بتوتر من غرفة إلى الأخرى مبادرين باستكشاف بعض المنطق في تصميم هذا المنزل ونترك الأبواب مفتوحة ونحن نتنقل". ثم إضاف وهو يهز رأسه بحزن "لم أفكر أبدًا في أني سأرث منزلاً يجب تعليق علامات فيه كي أعرف طريقي."

قالت ثيودورا: "نحتاج أن نعرف ما الذي نطلقه على الغرف. تخيل يا لوك أني أقول لك سأقابلك في السر في ثاني أفضل غرفة جلوس: كيف ستعرف أين تجدني؟"

اقترح لوك: "يمكنك أن تصفري حتى أصل إلى هناك."

إرتجفت ثيودورا: "ستسمعني وأنا أصفر وأناديك بينما أنت تتجول من باب إلى آخر ولا تفتح الباب الصحيح أبدًا. وأنا سأكون في الداخل غير قادرة على



الخروج بأي طريقة.."

قالت إلينور بقسوة: "وبلا شيء لتأكليه."

نظرت إليها تيودورا مرة أخرى وقالت موافقة بعد دقيقة: "وبلا شيء لآكله" ثم أضافت: "إنه المنزل المجنون في الكرنفال. غرف تفتح من داخل بعضها البعض والأبواب التي تتحرك في كل مكان في نفس الوقت وتنطوح مغلقة عندما تقترب منها وأراهن أنه في مكان ما هناك مرايا من تلك التي لا تبدي صورتك إلا وكأنها من الجانب فقط وأنابيب الهواء التي ترفع تنورتك وشيء يخرج من الممر المظلم ليضحك في وجهك.." حل صمت مفاجئ والتقطت هي فنجانها بسرعة حتى إن قهوتها سالت.

قال الدكتور بتساهل "الأمر ليس بهذا السوء. في الحقيقة إن الدور الأرضي مصمم بما يمكن أن أطلق عليه تقريبًا الدوائر المتقاطعة للغرف. في المنتصف هناك غرفة المعيشة الصغيرة حيث جلسنا الليلة الماضية. حولها بالتقريب هناك سلسلة من الغرف – غرفة البلياردو على سبيل المثال ومخدع ضئيل مفروش بالأكمل بالستان الوردي.."

"حيث سنذهب أنا وإلينور كل صباح بأعمال التطريز الخاصة بنا."

"- وحولهم – أنا أسميهم غرفًا داخلية – لأن ليس



لهم مَخرج مباشر إلى الخارج. ليس لهم نوافذ كما تتذكرون.. ويحيط بهم حلقة من الغرف الخارجية مثل غرفة الجلوس والمكتبة والغرفة الزجاجية و..."

"لا" قالت ثيودورا وهي تهز رأسها "أنا لا أزال ضائعة في الغرفة ذات الستان الوردي."

"وتمر الشرفة حول المنزل بأكمله. هناك أبواب تفتح على الشرفة من غرفة الجلوس والغرفة الزجاجية وغرفة الجلوس. هناك أيضًا ممر.."

"توقف، توقف" كانت ثيودورا تضحك، ولكنها هزت رأسها "إنه منزل قذر وعفن."

انفتح الباب الدوار في طرف غرفة الطعام ووقفت السيدة دادلي تمسك الباب بيد واحدة كي تبقيه مفتوحًا وتنظر بلا تعبير نحو طاولة الإفطار وقالت: "سأنظف المكان في العاشرة".

قال لوك: "صباح الخير يا سيدة دادلي".

أدارت السيدة دادلي عينيها نحوه: "سأنظف المكان في العاشرة. يجب أن ترجع الأطباق إلى الرفوف. سأخرجهم مرة أخرى من أجل الغداء وسأحضر الغداء في الواحدة. ولكن أولاً يجب أن تعود الأطباق إلى الرفوف."

"بالطبع يا سيدة دادلي" نهض الدكتور ووضع منديله على الطاولة وسأل: "هل الجميع مستعدون؟"



رفعت تيودورا فنجانها بتعمد أمام عين السيدة دادلي أنهت آخر قهوتها ثم لمست فمها بمنديلها واسترخت في جلستها.

ترثرت قائلة: "إفطار رائع. هل الأطباق مكانها هنا في البيت؟"

قالت السيدة دادلي: "مكانها في الأرفف".

"وأطقم الأكواب الزجاجية والفضة والمفروشات؟ أشياء رائعة قديمة".

قالت السيدة دادلي: "المفروشات مكانها في أدراج المفروشات في غرفة الطعام. والأطقم الفضية مكانها في خزانة الفضة. الأكواب مكانها على الأرفف."

قالت تيودورا "لا بُدّ أننا نشكل إزعاجًا لك."

بقيت السيدة دادلي صامتة وأخيرًا قالت: "أنا أنظف في العاشرة. أخرج الغداء وأرصه في الواحدة".

ضحكت تيودورا ووقفت "هيّا، هيّا. هيّا. فلنذهب ونفتح الأبواب."

بدأوا منطقيًا بباب غرفة الطعام الذي ثبتوه بكرسي ثقيل كي يبقى مفتوحًا. كانت الغرفة التالية هي غرفة الألعاب. الطاولة التي تعثرت بها تيودورا في الليلة الماضية كانت طاولة شطرنج منخفضة ومنقوشة (قال الدكتور بانزعاج "لا يمكن أن أكون قد أغفلت هذه ليلة أمس") وفي أحد أطراف الغرفة كان هناك طاولة لعب



ورق وكراسٍ وخزانة طويلة حيث كانت قطع الشطرنج مع كور الكروكيه ولوحة كريباج[1].

قال لوك وهو يقف عند الباب يراقب الغرفة القاتمة "مكان لطيف لقضاء ساعة فراغ". كان الأخضر البارد لسطح الطاولات منعكسًا بتعاسة على البلاطات السوداء حول المدفأة. التجليد الخشبي الحتمي كان هنا أيضًا ولا تضفي عليه أي حيوية أعداد المطبوعات الرياضية التي بدا أنها مكرسة بالكامل للطرق مختلفة لقتل الحيوانات البرية وينظر إليهم من فوق رف المدفأة رأس غزال تبتسم ابتسامة بخجل صريح.

قالت تيودورا: "كانوا يأتون إلى هنا للاستمتاع بوقتهم".. وتردد صدى صوتها مهزوزًا من السقف العالي. شرحت "لقد أتوا هنا كي يسترخوا من الجو الضاغط لباقي المنزل" نظرت رأس الغزال إليها في الأسفل بحزنٍ. أضافت "تلك الفتاتان الصغيرتان. ألا يمكن من فضلكم أن ننزل ذلك الوحش من مكانه بالأعلى؟"

قال لوك: "أظن أنك أعجبتيها. لم تحرك عينيها من عليكِ منذ أن دخلتِ. فلنخرج من هنا."

ثبتوا الباب وهم يخرجون كي يبقى مفتوحًا وخرجوا إلى البهو الذي كان يبرق بريقًا داكنًا في الضوء الآتي من الأبواب المفتوحة. علّق الدكتور



"عندما نجد غرفة بها نافذة سنفتحها. حتى ذلك الحين دعونا نكتفي بفتح الباب الأمامي."

قالت إلينور لثيودورا "أنتِ دائمًا تفكرين في الأطفال ولكني لا أستطيع نسيان المرافقة الصغيرة الوحيدة وهي تمشي في أرجاء تلك الغرف متسائلة مَن يوجد غيرها في المنزل."

شد لوك الباب الأمامي الضخم كي يفتحه وجر الفازة الكبيرة لتثبته. قال بامتنان "هواء منعش". اجتاحت رائحة المطر والعشب المبتل البهو ولدقيقة وقفوا في المدخل المفتوح يتنفسون الهواء الآتي من خارج هيل هاوس، ثم قال الدكتور "الآن ها هو شيء لم يتوقعه أي منكم" وفتح بابًا صغيرًا مختبئًا بجوار الباب الأمامي المرتفع ووقف جانبًا يبتسم وقال: "المكتبة في البرج".

قالت إلينور "لا يمكنني أن أدخل إلى هنا" لقد فاجئت نفسها ولكنها لم تستطيع. تراجعت مبتعدة وقد إكتنسحها الهواء البارد للعطن والأرض الذي أسرع نحوها. "أمي –" قالت ولم تعرف ما الذي تريد أن تحكيه لهم فضغطت نفسها نحو الحائط.

"حقًا؟" قال الدكتور "تيودورا؟" هزت تيودورا كتفيها وخطت إلى المكتبة. ارتعشت إلينور. "لوك؟" قال الدكتور. ولكن لوك كان بالداخل بالفعل. كانت

إلينور لا تستطيع أن ترى من موقعها سوى جزء من الحائط الدائري للمكتبة بسلم معدني ضيق يرتفع إلى الأعلى وربما، بما أن ذلك هو البرج، للأعلى ثم الأعلى والأعلى. أغمضت إلينور عينيها وسمعت صوت الدكتور من بعيدٍ، مفرغًا وهو يصل إلى أحجار حائط المكتبة. كان يسأل: "هل تستطيعين أن تري الباب المسحور هناك في الظلال؟ إنه يؤدي إلى شرفة صغيرة وبالطبع هذا هو المكان الذي يفترض عادة أنها شنقت نفسها فيه – الفتاة، كما تتذكرون. بالطبع بقعة مناسبة جدًا. مناسبة للانتحار أكثر منها للكتب. يفترض أنها ربطت الحبل في حديد الدرابزين ثم خطت.."

"شكرًا" قالت تيودورا من الداخل "أستطيع أن أتخيلها بالضبط، شكرًا لك. بالنسبة لي أنا نفسي ففي الأغلب كنت سأثبت الحبل على رأس الغزالة في غرفة الألعاب ولكن أتصور أنها كان لديها تعلق عاطفي بالبرج. يا لها من كلمة لطيفة في هذا السياق، "تعلُّق"، ألا تعتقد ذلك؟"

"لذيذ" كان ذلك صوت لوك يعلو، كانوا يخرجون من المكتبة عائدين إلى البهو حيث تنتظر إلينور. "أظن أني سأحوِّل هذه الغرفة إلى ملهى ليلي. سأضع أوركسترا هنا في الشرفة وفتيات راقصات سينزلون على هذا السلم المعدني الملتف، البار..."



قالت تيودورا: "إلينور، هل أنت بخير؟ إنها غرفة شنيعة بما يكفي وأنت كنت على حق في أن تبقى خارجها."

وقفت إلينور بعيدة عن الحائط. كانت يداها باردتين وكانت تريد أن تبكي ولكنها أدارت ظهرها لباب المكتبة والتي كان الدكتور قد ثبّتها بكومة من الكتب. قالت: "لا أظن أني سأقرأ كثيرًا وأنا هنا".. وحاولت أن تتحدث بخفة "بالذات لو كانت رائحة الكتب مثل رائحة المكتبة" قال الدكتور "لم ألاحظ الرائحة" ونظر بتساؤل نحو لوك الذي هزّ رأسه. أكمل الدكتور: "غريب، وهذا هو تحديدًا الشيء الذي نبحث عنه. سجلي الملحوظة يا عزيزتي وحاوِلي أن تصفيها بالتحديد".

كانت تيودورا محتارة. وقفت في البهو تتلفت وتنظر خلفها نحو السلم ثم حولها مرة أخرى إلى الباب الأمامي وسألت: "هل هناك بابان أماميان؟ هل يختلط الأمر عليّ فقط."

ابتسم الدكتور بسعادة. كان واضحًا أنه كان يأمل في سؤال مثل ذلك. قال "هذا هو الباب الأمامي الوحيد. إنه الذي دخلتِ عبره أمس."

عبست تيودورا: "إذًا لماذا لا أستطيع أنا وإلينور أن نرى البرج من نوافذ غرفة نومنا؟ غرفنا تطل على واجهة المنزل ومع ذلك..."



ضحك الدكتور وصفق بيديه وقال: "أخيرًا. ثيودورا الذكية. هذا هو السبب أني أردت أن تروا المنزل بالنهار. تعالوا وأجلسوا على سُلَّم بينما أحكي لكم."

استقروا على السلالم في طاعة ناظرين نحو الدكتور الذي اتخذَّ وضع المحاضر وبدأ بشكل رسميٍّ "إحدى الصفات الغريبة لهيل هاوس هو تصميمه."

"المنزل المجنون في الكرنفال."

"تحديدًا. ألم تتساءلوا عن الصعوبة القصوى التي تواجهكم في أن تجدوا طريقكم؟ البيت الطبيعي لم يكن سيسبب لنا نحن الأربعة كل هذه الحيرة لكل هذا الوقت ومع ذلك فقد اخترنا الأبواب الخطأ مرة تلو الأخرى وتراوغنا الغرف التي نريدها. حتى أنا عانيت من متاعب" تنهد وهز رأسه.

"أخشى أن هيو كراين توقَّع أن هيل هاوس قد يصبح مكانًا للعرض في يوم من الأيام مثل بيت وينشستر في كاليفورنيا أو المنازل العديدة ذات الثمانية أضلاع. لقد صمم هيل هاوس بنفسه، كما تتذكرون، وقد قلت لكم من قبل إنه كان رجلاً غريبًا. كل زاوية" – وأشار الدكتور نحو المدخل – "كل زاوية خاطئة بشكل طفيف. لا بُدَّ أن هيو كراين كان يكره الآخرين ومنازلهم العاقلة المربعة لأنه جعل منزله يناسب ذهنه. الزاوية التي تتصورون أنها الزاوية



القائمة التي تعتادون عليها، ولديكم كلُّ الحق في أن تتوقعوا أنها حقيقية، تميل إلى جانب أو آخر لجزءٍ من الدرجة. أنا متأكد على سبيل المثال أنكم تعتقدون أن الدرجة التي تجلسون عليها مستوية لأنكم غير مستعدين لأن تكون الدرجات غير مستوية.."

تحركوا بعدم ارتياح ومدت ثيودورا يدًا سريعًا كي تمسك بالدرابزين كما لو كانت تشعر أنها قد تقع.

"إنها في الحقيقة تميل بشكل طفيف نحو العامود الأوسط – الأبواب جميعها مائلة عن المركز قليلاً – وعلى فكرة قد يكون ذلك هو السبب في أنها تتأرجح منغلقة إن لم تثبت. تساءلت هذا الصباح ما إن كانت الخطوات المقتربة لكما يا سيدات قد أخلت بالتوازن الدقيق للأبواب. بالطبع فإن نتيجة كل تلك الانحرافات الضئيلة في المقاييس أن تضيف تشوُّشًا ضخمًا نوعًا ما في المنزل ككل. لا تستطيع ثيودورا أن ترى البرج من نافذة غرفتها لأن البرج في الحقيقة مقام عند ركن المنزل. إنه خفي تمامًا من نافذة غرفة ثيودورا مع أنه يبدو من هنا وكأنه أمام غرفتها مباشرة. أن نافذة غرفة ثيودورا تقع في الحقيقة على بعد خمس عشرة قدمًا يسار ما نحن عنده الآن."

فردّت ثيودورا ذراعيها بعجز وقالت: "جميل".

"فهمت" قالت إلينور "إن ما أضلنا هو سقف الشرفة.



أستطيع أن أنظر خارج نافذة غرفتي وأرى سقف الشرفة لأني أتيت مباشرة إلى داخل المنزل وصعدت السلم وتصورت أن الباب الأمامي تحتي مباشرة مع أنه في الحقيقة..."

قال الدكتور: "أنت لا ترين سوى سقف الشرفة. الباب الأمامي بعيد. هو والبرج مرئيان من غرفة الأطفال وهي الغرفة الكبيرة في نهاية البهو. سترونها لاحقًا اليوم. إنها..." وأصبح صوته حزينًا "تحفة في المعمار المضلل. السلم المزدوج في شامبورد.."

سألت ثيودورا بتشكك: "إذًا فكل شيء منحرف قليلاً؟"

"ألهذا يعطي كل شيء إحساسًا بأنه مفكك؟"

سألت إلينور: "ما الذي يحدث عندما تعود إلى منزل حقيقي؟ أعني – مثلاً – حسنًا – منزل حقيقي؟"

قال لوك "لا بُدّ أنه مثل النزول بعد قضاء وقت على سفينة. بعد أن تبقى هنا لفترة قد يصبح إحساسك بالاتزان مشوشًا حتى إنك تستغرق وقتًا قبل أن تتخلص من دوار البحر أو دوار هيل هاوس" سأل الدكتور "هل يمكن أن يكون ذلك ما اعتاد الناس على افتراض أنه ظواهر ما ورائية وهي في الحقيقة مجرد نتيجة فقدان الأشخاص الذين يعيشون هنا للتوازن بشكل طفيف؟ الأذن الوسطى" قالها بحكمة لثيودورا.



قال الدكتور: "إنه حتمًا يؤثر على الناس بشكلٍ ما. لقد أصبحنا نثق بلا تفكير في حواس التوازان والمنطق وأستطيع أن أرى كيف يمكن للذهن أن يُحارب بشراسة كي يحافظ على الأنماط الثابتة المألوفة ضدّ كل الأدلة التي تشير إلى أنها مائلة إلى أحد الجوانب" واستدار مبتعدًا "لا يزال أمامنا أعاجيب" قالها ثم هبطوا على السلم وتبعوه وهم يتمشون بحيوية مختبرين الأرض وهم يتحركون. مشوا في الممر الضيق نحو غرفة المعيشة الصغيرة حيث جلسوا الليلة السابقة ومنها تحركوا وهم يتركون الأبواب مفتوحة ومثبتة وراءهم، إلى دائرة الغرف الخارجية والتي تطل على الشرفة. شدوا الستائر الثقيلة بعيدًا عن النوافذ فأتى الضوء من الخارج إلى هيل هاوس. مروا من غرفة الموسيقى حيث تقف آلة الهارب بصرامة بعيدًا عنهم دون أن تهتز أوتارها لتعلن عن خطواتهم. وقف بيانو كبير مغلقًا بإحكام يعلوه حامل شموع لم يلمس اللهب أيًا من شموعه. حملت الطاولة ذات السطح الرخامي زهورًا شمعية تحت زجاج وكراسي رفيعة ومذهبة. بعد ذلك كانت الغرفة الزجاجية بأبوابها الطويلة التي تظهر المطر في الخارج ونباتات السرخس تنمو رطبة حول وفوق الأثاث المصنوع من القش. كان الجو هنا رطبًا بشكل غير مريح وغادروا سريعًا ليمروا من مدخل



مقوس إلى الغرفة الجلوس ويقفوا مشدوهين ومرتابين.

قالت ثيودورا بصوت ضعيف وهي تضحك: "إنه ليس هنا. أنا لا أصدق أنه هنا". وهزت رأسها "إلينور هل ترينه أنتِ أيضًا؟"

"كيف؟" قالت إلينور بقلة حيلة.

كان الدكتور متواطئًا "ظننت أن ذلك سيسعدكم" استحوذ جانب كامل من غرفة الجلوس على عمل نحتي من الرخام. كان ضخمًا وبشعًا وعاريًا بعض الشيء في بياضه مقابل الخطوط والزهور البنفسجية للسجادة. غطت إلينور عينيها بيديها وتشبثت ثيودورا بها. قال الدكتور: "كنت أعتقد أن المقصود به ربما يكون فينوس وهي تنهض من الأمواج."

"لا على الإطلاق" قال لوك محاولاً العثور على صوته "إنه القديس فرانسيس وهو يشفي الأجرب"

"لا لا." قالت إلينور "أحدهم تنين."

قالت ثيودورا بتأكيد حاسم: "ليس أي من ذلك. إنها لوحة للعائلة يا بلهاء. مركبة. يسهل على أي شخص أن يعرف ذلك فورًا. الشكل الذي في المنتصف، هذا الطويل غير المغطى -يا إلهي!- هذا هيو العجوز يربت على ظهره بنفسه لأنه بنى هيل هاوس والحواريات المرافقات له هم بناته. التي على اليمين تلك التي تبدو



كأنها تلوح بكوز ذُرة هي في الحقيقة تحكي عن قضيتها والأخرى الصغيرة عند الطرف هي المرافقة والأخرى على الجانب الآخر.."

قال لوك: "إنها السيدة دادلي، نحتت نقلا عن شكلها في الحياة الحقيقية."

"وهذا الشيء العشبي الذي يقفون عليه جميعًا من المفترض أن يكون في الحقيقة سجادة غرفة الطعام ولكنها كبرت قليلاً. هل لاحظ أي شخص آخر سجادة غرفة الطعام؟ إنها تشبه حقلاً من البرسيم ويمكنك أن تشعر به يدغدغ كاحلك. في الخلفية هناك شكل ما كشجرة تفاح ممتدة الفروع. هذا هو.."

قال دكتور مونتاجو "رمز لحماية المنزل بالتأكيد"

قالت إلينور: "أخشى أن تسقط علينا. بما أن المنزل غير متزن يا دكتور، أليس هناك بعض من الاحتمال أن يحدث ذلك؟"

"قرأت أن التمثال أقيم بحرصٍ شديدٍ وبتكلفة عالية كي يبرز عدم استواء الأرض التي يقف عليها. قد وضع في مكانه على كل حالٍ عندما بني البيت ولم يقع حتى الآن. من المحتمل أنه أعجب هيو كرين وربما حتى وجده بديعًا."

قالت تيودورا: "من المحتمل أنه استخدمها كي يخيف بناته بها. كم ستكون هذه الغرفة جميلة بدونه."



ثم بلفة سريعة: "غرفة رقص. هل تأخذ دورًا في الرقص معي يا هيو كراين؟" وانحنت أمام التمثال.

قالت إلينور آخذة خطوة لا إرادية للخلف: "أعتقد أنه سيوافق."

قال الدكتور: "لا تدعيه يدوس على أصابعك" وضحك.

"تذكري ما حدث لدون جوان."

لمست تيودورا التمثال بتحفظ واضعة إصبعها على اليد الممدودة لأحد الأشكال وقالت: "الرخام دائمًا صدمة. إحساسه لا يكون كما تتوقعه أبدًا. أتصور أن التمثال بالحجم الطبيعي يبدو مثل شخص حقيقي بما يكفي لأن تتوقع أن تشعر بجلد حقيقي عندما تلمسه" ثم استدارات مرة أخرى ورقصت الفالس وحدها وهي تبرق في الغرفة القاتمة واستدارت لتنحني للتمثال.

قال الدكتور لإلينور ولوك: "في نهاية الغرفة خلف تلك الستائر هناك أبواب تؤدي إلى الشرفة. عندما تشعر تيودورا بالحر بسبب الرقص قد تخطو إلى الهواء الأكثر برودة". مشى بطول الغرفة كي يزيح الستائر الثقيلة الزرقاء ويفتح الأبواب. دخلت رائحة الهواء الدافئ مرة أخرى مع دفقة من الريح فبدا أن بعض النسيم يتحرك حول التمثال ويلمس الحوائط الملونة برقة.



قالت إلينور: "لا شيء يتحرك في هذا المنزل حتى تنظر بعيدًا ثم تلقط شيئًا بالكاد من طرف عينك. انظر إلى تلك التماثيل الصغيرة على الأرفف. عندما استدرنا جميعًا بدأوا في الرقص مع تيودورا."

قالت تيودورا وهي تلف في دوائر متحركة نحوهم: "أنا أتحرك."

قال لوك: "زهور تحت زجاج، شراشيب، لقد بدأت أحب هذا المنزل."

شدت تيودورا شعر إلينور: "سأسابقك حول الشرفة" وانطلقت نحو الأبواب. تبعتها إلينور بلا وقت للتردد أو التفكير وركضتا نحو الشرفة.

وصلت إلينور راكضة وضاحكة إلى استدارة في الشرفة لتجد تيودورا تعبر بابًا أخرى إلى الداخل فتوقفت منقطعة الأنفاس. لقد أتوا إلى المطبخ وراقبتهم السيدة دادلي من أمام الحوض في صمت.

قالت تيودورا بأدب: "سيدة دادلي، كنا نستكشف المنزل."

تحركت عينا السيدة دادلي نحو الساعة الموضوعة على الرف أعلى الموقد: "الساعة تجاوزت الحادية عشر والنصف وأنا..."

"ستحضرين الغداء في الواحدة" قالت تيودورا "نريد أن نلقي نظرة على المطبخ إن أمكن. لقد رأينا



جميع الغرف الأخرى في الطابق السفلي على ما أظن."

جمدت السيدة دادلي لوهلة ثم إستدارت وهي تهز رأسها موافقة ومشت بتعمد عبر المطبخ نحو باب بعيد. عندما توقفت كانوا يستطيعون أن يروا السلم الخلفي من ورائها واستدارات السيدة دادلي وأغلقت الباب قبل أن تبدأ في الصعود. أمالت تيودورا رأسها عند البوابة وانتظرت لدقيقة قبل أن تقول: "أتساءل لو كان في قلب السيدة دادلي نقطة ضعف تجاهي. أتساءل بصدق."

قالت إلينور: "أتصور أنها ستصعد لتشنق نفسها من البرج."

"بما أننا هنا فلنرى ما الذي يعد للغداء"

قالت تيودورا: "لا تهزي أي شيء. أنت تعرفين جيدًا أن الأطباق مكانها الأرفف. هل تعتقدين أن المرأة تنوي فعلاً أن تصنع لنا سوفليه.(2) هناك أطباق سوفليه بالفعل وبيض وجبنة.."

قالت إلينور: "إنه مطبخ جميل. في منزل أمي كان المطبخ مظلمًا وضيقًا ولم يكن لأي شيء تطبخينه فيه طعم أو لون."

سألت تيودورا بذهنٍ غائب "ماذا عن مطبخك أنت؟ في شقتك الصغيرة؟ إلينور انظري إلى الأبواب."

"أنا أستطيع أن أصنع سوفليه."



"انظري يا إلينور. هناك باب يفتح على الشرفة وآخر يفتح على السلالم تهبط إلى الأسفل -إلى القبو على ما أظن- وآخر هناك يفتح على الشرفة مرة أخرى والآخر الذي استخدمته كي تصعد إلى الأعلى وآخر هناك.."

"إلى الشرفة مرة أخرى" قالت إلينور وهي تفتحه. "ثلاثة أبواب تُفتح على الشرفة من مطبخ واحد."

"والباب المؤدي إلى مخزن المطبخ ومنه إلى غرفة الطعام. السيدة دادلي الطيبة تحب الأبواب أليس كذلك؟ وبالتأكيد تستطيع" – والتقت أعينهم – "أن تخرج سريعًا في أي اتجاه إذا أرادت."

استدارت إلينور فجأة وعادت نحو الشرفة "أتساءل إن كانت قد جعلت دادلي يصنع أبوابًا إضافية من أجلها. يا ترى كيف تحب أن تعمل في مطبخ حيث يمكن أن يفتح بابًا من خلفها دون أن تعرف. بل أتساءل ما الذي اعتادت السيدة دادلي أن تقابله في مطبخها حتى أصبحت تريد التأكد من أنها ستجد مخرجًا بغض النظر عن الاتجاه الذي ستركض فيه. أتساءل."

"اخرسي" قالت تيودورا بمحبة "إن الطباخ المتوتر لا يصنع سوفليه جيد. أي شخص يعرف ذلك. وهي في الأغلب تنصت من على السلم. فلنختَر أحد الأبواب ونبقيه مفتوحًا."

أ



كان لوك والدكتور واقفين في الشرفة ينظران نحو الحديقة وكان الباب الأمامي للغرابة مغلقًا خلفهم. من خلف المنزل كانت الجبال الضخمة التي تبدو وكأنها فوقه، صامتة ومطفأة في المطر. تجولت إلينور في الشرفة وهي تفكر في أنها لم تعرف منزلاً من قبل محاطًا بهذا الشكل. قالت لنفسها *مثل حزام خفيف جدًا. هل سيطير المنزل منفصلاً إذا نزعت الشرفة؟* ذهبت إلى ما ظنت أنه الجزء الأكبر من الدائرة المحيطة بالمنزل ثم رأت البرج. ارتفع فجأة أمامها بلا إنذار تقريبًا. كان مبنيًا من أحجار رمادية مصمتة ببشاعة ومنحشرة بالقرب من الجانب الخشبي من المنزل تثبتها الشرفة اللجوجة في مكانها. بشع، قالت لنفسها ثم فكرت أن البرج سيبقى في مكانه، رماديا ومنيعا فوق الخرائب إذا إحترق البيت وانفصل في يوما ما، يحذر الناس ويبعدهم عن ما سيتبقى من هيل هاوس مع حجرا أو أكثر ربما ساقطًا هنا أو هناك كي يطير البوم والغربان داخلين وخارجين ويعششوا بين الكتب في الأسفل. في منتصف المسافة إلى الأعلى تبدأ النوافذ كشقوق بزوايا ضيقة في الحجر وتساءلت كيف سيكون النظر عبرهم إلى الأسفل، اندهشت من عدم قدرتها على الدخول إلى البرج. قالت لنفسها *لن انظر إلى الأسفل من هذه النوافذ* وحاولت أن تتخيل



السلم الحديدي الضيق يصعد ويلتوي بالداخل. بالأعلى في الداخل كان هناك سقف مخروطي خشبي يعلوه برج مدبب. لا بُدّ أنه كان سيثير الضحك في أي منزل آخر ولكنه ينتمي إلى هنا، في هيل هاوس، نشوان ومترقب، ينتظر، ربما، كائن ضئيل يزحف من النافذة الصغيرة على السطح المائل ليمد يده نحو البرج ويربط حبلاً.

"ستقعين" قال لوك فشهقت إلينور. خفضت عينيها بصعوبة واكتشفت أنها تمسك بسور الشرفة بقوة وتميل بعيدًا للخلف. قال لوك: "لا تثقي في اتزانك في منزلي الساحر، هيل هاوس". فتنفست إلينور عميقًا وهي دائخة وتعثرت. أمسكك بها وبقي ممسكًا بينما تحاول أن توازن نفسها في العالم المتأرجح حيث تبدو الأشجار والحديقة مائلة جانبًا والسماء مقلوبة ومتأرجحة.

"إلينور؟" قالت ثيودورا قريبًا منها وسمعت صوت أقدام الدكتور وهي تركض عبر الشرفة. قال لوك: "هذا المنزل الملعون، عليك أن تراقبه كل دقيقة."

قال الدكتور: "إلينور؟"

قالت إلينور: "أنا بخير" وهي تهز رأسها وتقف بمفردها غير متزنة "كنت أميل إلى الخلف كي أرى قمة البرج وأصبت بالدوار."



قال لوك: "كانت تقف بالجنب تقريبًا عندما أمسكت بها."

قالت ثيودورا "لقد انتابني هذا الشعور في الصباح مرة أو مرتين وكأني أمشي على الحائط."

قال الدكتور: "أعيدوها إلى الداخل مرة أخرى. الأمر ليس بهذا القدر من السوء عندما تكون داخل المنزل."

قالت إلينور وهي شديدة الخجل: "أنا بخير حقًا" ومشت بخطوات متعمدة عبر الشرفة نحو الباب الأمامي الذي كان مغلقًا وقالت برعشة خفيفة في صوتها "ظننت أني تركته مفتوحًا". مرّ بها الدكتور ودفع الباب الثقيل فاتحًا إياه مرة أخرى. في الداخل كان البهو قد عاد إلى سابق عهده وجميع الأبواب التي تركوها مفتوحة قد أغلقت بعناية. عندما فتح الدكتور الباب الذي يؤدي إلى غرفة الألعاب استطاعوا أن يروا من ورائه أن الأبواب المؤدية إلى غرفة الطعام مغلقة والمقعد الصغير الذي استخدموه لإبقاء باب واحد مفتوحًا كان قد عاد بعناية إلى مكانه أمام الحائط. في المخدع وفي غرفة المعيشة وغرفة الجلوس والغرفة الزجاجية كانت الأبواب والنوافذ مغلقة والستائر مضمومة إلى بعضها البعض والظلام قد عاد مرة أخرى.

قالت ثيودورا "إنها السيدة دادلي" وهي تتبع الدكتور ولوك الذي تحرك بسرعة من غرفة إلى التالية يدفع



الأبواب لتفتح على مصراعيها مرة أخرى ثم يثبتهما مبعدًا الستائر عن النوافذ وتاركًا الهواء الدافئ الرطب يدخل. "فعلتها السيدة دادلي بالأمس فور أن بعدنا أنا وإلينور عن طريقها لأنها تفضل أن تغلقهم بنفسها عن أن تأتي لتجدهم أغلقوا بأنفسهم لأن الأبواب يجب أن تغلق والنوافذ يجب أن تغلق والأطباق يبجب أن تنتمي إلى الأطباق.." بدأت في الضحك بحماقة واستدار الدكتور عابسًا نحوها بضيق.

قال: "يجب أن تعرف السيدة دادلي وضعها. سأدق مسامير في هذه الأبواب كي أبقيها مفتوحة إذا اضطررت". استدار داخلاً في الممر حتى غرفة جلوسهم الصغيرة وأطاح بالباب فاتحًا إياه بصوت اصطدام. قال: "فقدان أعصابي لن يساعد".. ومنح الباب ركلة قاسية.

قال لوك بود "شيري[3] في غرفة الجلوس قبل الغداء، تفضلوا يا سيدات."

***

"يا سيدة دادلي" قال الدكتور وهو يعيد شوكته إلى الطبق "السوفليه مثير للإعجاب."

استدارت السيدة دادلي لتنظر إليه نظرة قصيرة وذهبت إلى المطبخ بطبق فارغ.

تنهد الدكتور وحرك كتفيه بتعب "بعد سهرة الحراسة



في الليلة الماضية أشعر أني أحتاج إلى راحة هذا المساء وأنت" ووجّه كلامه إلى إلينور "سيفيدك أن تستلقي لساعة. ربما ستكون الراحة بعد الظهيرة بانتظام مريحة لنا جميعًا."

"فهمت" قالت ثيودورا باستمتاع "يجب أن أحصل على قيلولة بعد الظهر. سيكون ذلك غريبًا عندما أعود إلى المنزل مرة أخرى، ولكني أقدر دائمًا أن أقول لهم إن ذلك كان جزءًا من جدولي في هيل هاوس".

قال الدكتور: "ربما نواجه صعوبة في النوم ليلا" وسرت رعشة صغيرة حول الطاولة عتمت ضوء الفضة والألوان الزاهية للأطباق الخزفية. سرت غيمة عبر غرفة الطعام وجلبت السيدة دادلي خلفها.

قالت السيدة دادلي: "الساعة الثانية إلا خمس دقائق."

***

لم تنَم إلينور خلال بعد الظهيرة مع أنها كانت ستحب أن تنام. بدلاً عن ذلك استلقت على سرير ثيودورا في الغرفة الخضراء وراقبت ثيودورا وهي تشذب أظافرها وتثرثر بكسل غير مستعدة للسماح لنفسها بإدراك أنها لحقت بثيودورا إلى الغرفة الخضراء لأنها لم تتجرأ على البقاء وحدها.

قالت ثيودورا وهي تتأمل يدها: "أحب أن أزين



نفسي. أود أن أدهن نفسي بالكامل"

تحركت إلينور براحة واقترحت: "دهان ذهبي" وهي تكاد لا تفكر. بعينيها المغلقتين تقريبًا كانت لا تستطيع أن ترى تيودورا إلا ككتلة من اللون جالسة على الأرض.

قالت تيودورا: "طلاء أظافر وعطر وأملاح استحمام" كما لو كانت تعدد المدن على النيل "مسكارا. أنت لا تمنحين هذه الأشياء نصف التفكير اللازم يا إلينور."

ضحكت إلينور وأغمضت عينيها تمامًا. قالت: "لا وقت."

"حسنًا". قالت تيودورا بتصميم "عندما أنتهي منك ستكونين شخصًا مختلفًا. أنا لا أحب أن أكون مع امرأة لا لون لها" وضحكت كي تُظهِر أنها كانت تداعبها ثم أكملت "أظن أني سأضع طلاء أحمر على أصابع قدميك". ضحكت إلينور أيضًا ومدت قدمها العارية. بعد دقيقة وهي تكاد تكون نائمة، شعرت باللمسة الغريبة الباردة للفرشاة على أصابع قدمها وارتعشت. قالت تيودورا "بالتأكيد إن سيدة بلاط شهيرة مثلك معتادة على خدمات الخادمة الخاصة. قدماك قذرتان."

اعتدلت إلينور في جلستها مذهولة. كانت قدماها قذرتين بالفعل وأظافرها ملونة بلون أحمر صارخ.

قالت لثيودورا "إنه شنيع. إنه شرير" وهي ترغب في



البكاء. ثم بدأت في الضحك بقلة حيلة على النظرة على وجه تيودورا.

قالت: "سأذهب لأغسل قدميّ."

"جميل" جلست تيودورا على الأرض بجوار السرير تحدق "انظري. قدماي قذرتان أيضًا يا صغيرتي، حقًّا. انظري."

قالت إلينور: "على كل حال. أنا أكره أن تُفعل بي أشياء."

قالت تيودورا بمرح: "أنتِ أكثر جنونًا من أي شخص رأيته أنا."

قالت إلينور: "لا أحب أن أشعر أني بلا حيلة. أمي..."

"كانت أمك ستسعد لرؤيتك وأظافر قدميك ملونة بالأحمر. شكلهم جميل."

نظرت إلينور إلى قدميها مرة أخرى "إنه شرير" قالت بطريقة غير ملائمة "أعني.. على قدمي. إنه يجعلني أشعر أني أبدو بلهاء."

"لديكِ مزيج من البلاهة والشر مختلطان" بدأت تيودورا في جمع معداتها "على كل حال لن أزيله وسنراقب كلتانا حتى نرى ما إن كان لوك أو الدكتور هو من سينظر إلى قدميكِ أولاً."

قالت أليونر "أيًا كان ما أحاول أن أقوله، تجعلينه أنت يبدو أحمق."



"أو شريرًا" نظرت تيودورا إلى الأعلى بجدية وقالت: "لدي حدس أنك يجب أن تعودي إلى منزلك يا إلينور". تساءلت إلينور *هل هي تسخر مني؟ هل قررت أني غير مؤهلة للبقاء؟* وقالت "لا أريد أن أرحل" فنظرت تيودورا إليها مرة أخرى بسرعة ثم نظرت بعيدًا ولمست أصابع قدم إلينور بخفة "الطلاء جفّ وأنا غبية. شيء ما أخافني للحظة".. ووقفت وأخذت في الهرش وقالت: "دعينا نخرج ونبحث عن الآخرين."

***

مال لوك بملل نحو حائط البهو، أراح رأسه على الإطار الذهبي لمنحوتة تمثل خرائب وقال "أظل أفكر في أن هذا البيت هو مِلكي في المستقبل أكثر مما فكرت في ذلك في السابق. أظل أقول لنفسي أنه سيكون لي في يومٍ من الأيام وأسأل نفسي لماذا" وأشار إلى طول البهو "إن كان لدي شغف بالأبواب أو الساعات المذهبة أو المصغرات. إن أردت ركن تركيًا خاصًا بي كنت في الأغلب سأنظر إلى هيل هاوس على أنه مدينة عجائب مخصصة للجمال."

قال الدكتور بإصرار: "إنه منزل جميل. لا بُدّ أنه كان يعتبر راقيًا عندما بني.." ومشى في البهو نحو الغرفة الكبيرة عند نهايته والتي كانت في يوم من الأيام غرفة الأطفال وقال: "نحن الآن سنرى البرج من النافذة" –



ثم ارتعش وهو يمر عبر الباب. عندها استدار ونظر خلفه في فضول- "هل يمكن أن يكون هناك تيار هواء يسري عبر هذا الباب؟"

"تيار هواء؟ في هيل هاوس" ضحكت ثيودورا "ليس إلا لو استطعت أن تجعل واحدًا من تلك الأبواب أن يبقى مفتوحًا."

قال الدكتور: "تعالوا هنا واحدًا تلو الآخر" تحركت ثيودورا إلى الأمام وكشرت وهي تعبر البوابة. قالت "مثل مدخل مقبرة. لكنه دافئ بما يكفي في الداخل" أتى لوك وتردد في البقعة الباردة ثم تحرك سريعًا ليخرج منها. بينما تتبعه إلينور شعرت بارتياب بالبرد القارص الذي صدمها بين خطوة والتي تليها. فكرت في أن الأمر يبدو وكأنها تمر عبر حائط من الثلج وسألت الدكتور "ما هذا؟"

كان الدكتور يخبط يديه في بعضهم البعض ببهجة وقال: "يمكنك أن تحتفظ بأركانك التركية يا ولدي".. ومد يدًا وثبتها بحرصٍ فوق البقعة الباردة وقال "إنهم لا يستطيعون أن يفسروا هذا. جوهر المقبرة نفسه كما تشير ثيودورا. البقعة الباردة في بيت القسيس في بورلي لا تنخفض سوى إحدى عشرة درجة" وأضاف بلا مبالاة "أظن أنه هذا أكثر برودة بشكل ملحوظ. قلب المنزل."



كانت تيودورا وإلينور قد تحركتا كي تقفا متجاورتين، مع أن غرفة الأطفال كانت دافئة إلا أنها كان لها رائحة عفنة وخانقة. البرد الذي يعبر البوابة يكاد يكون ملموسًا، مرئيًا مثل حاجز يجب عبورها كي تخرج. خارج النافذة كان البرج الحجري الرمادي يضغط مقتربًا. في الداخل كانت الغرفة قاتمة وصف الدمى على شكل حيوانات التي رسمت على الحائط بدت غير مرحة على الإطلاق ولكنها كما لو كانت محبوسة أو ذات صلة بالغزال الذي يحتضر في الصور الرياضية في غرفة الألعاب. كان لغرفة الأطفال التي تفوق الغرف الأخرى في الحجم جوٌّ لا يمكن تحديد مصدره يوحي بالإهمال لا يوجد مثله في أي مكانٍ آخر في هيل هاوس. خطرّ بذهن إلينور أن عناية السيدة دادلي المثابرة قد لا تأتي بها عبر الحاجز البارد أكثر مما هو ضروري.

كان لوك قد خطا عبر البقعة الباردة وكان يتفحص سجادة البهو ثم الحوائط مربتًا على الأسطح كما لو كان يأمل في اكتشاف سببٍ ما للبرد الغريب. قال وهو ينظر إلى الدكتور: "لا يمكن أن يكون هذا تيار هواء إلا لو كنا نتقاطع مباشرة مع القطب الشمالي. كل شيء ثابت على أي حالٍ."

قال الدكتور بلا مناسبة: "أتساءل مَن كان ينام في



غرفة الأطفال. هل تعتقد أنهم أغلقوها عندما رحل الأطفال؟"

"انظر" قال لوك وهو يشير. في كل من أركان البهو التي تعلو مدخل غرفة الأطفال ثُبِّتَ رأسان ضاحكان. يبدو أن الغرض كان أن يكونوا زينة مرحة لمدخل غرفة الأطفال. لم يكونوا أكثر مرحًا أو انطلاقًا من الحيوانات التي بالداخل. كانت نظراتهم المنفصلة المعلقة للأبد في ضحكة مشوهة تلتقي وتعلق عند نقطة من البهو حيث تتمركز البقعة الباردة. شرح لوك "عندما تقف حيث يمكنهم أن ينظروا عليك فإنهم يجمدونك."

خطا الدكتور بفضول إلى البهو لينضم لهم ناظرًا إلى أعلى. قالت ثيودورا "لا تتركنا وحدنا هنا" وركضت خارجة من غرفة الأطفال وهي تجر إلينور عبر البرد الذي كان مثل صفعة سريعة أو نَفَس بارِدٍ قريبٍ. قالت "مكان جيد لتبريد بيرتنا" ومدت لسانها نحو الوجوه المتبسمة.

قال الدكتور بسعادة: "يجب أن أكتب سجلًا كاملاً بهذا."

"لا يبدو أنه برد محايد". قالت إلينور بغرابة لأنها لم تكن متأكدة تمامًا مما تعنيه "أشعر أنه متعمد كما لو كان شيء ما يريد أن يصيبني بصدمة مزعجة."



ردَّ الدكتور: "هذا بسبب الوجوه على ما أعتقد". كان ينحني على يديه وركبتيه يتحسس الأرض. "شريط قياس وترمومتر" قال لنفسه ثم وجّه كلامه إلى إلينور "طباشير لرسم الحدود. ربما يحتد البرد ليلاً؟ كل شيء أسوأ إذا ظننتِ أن شئًا ينظر إليك". خطا لوك عبر البرد برعشة وأغلق باب غرفة الأطفال ثم عاد إلى الآخرين في البهو بقفزة وكأن بإمكانه الهرب من البرد بأن لا يلمس الأرض. مع إغلاق باب غرفة الأطفال أدركوا جميعًا كم أصبح المكان أكثر إظلامًا وقالت تيودورا بقلق: "فلنذهب إلى الطابق الأسفل إلى غرفة الجلوس الخاصة بنا. أستطيع أن أشعر بهذه الجبال تدخل علينا".

قال لوك: "بعد الخامسة. موعد الكوكتيل" ثم إلى الدكتور "أتصور أنك ستثق بي أن أمزج المشروبات مرة أخرى هذه الليلة."

قال الدكتور: "الكثير من الفيرموث.(4)" وتبعهم متسكعًا وهو يراقب باب غرفة الأطفال من خلفه.

***

قال الدكتور وهو يترك منديله: "أنا أقترح أن نتناول القهوة في غرفة جلوسنا الصغيرة. أنا أجد نار المدفأة هناك مبهجة."

ضحكت تيودورا: "لقد رحلت السيدة دادلي



فلنتسابق بسرعة ونفتح كل تلك الأبواب والنوافذ ننزل كل شيء من على الأرفف."

قالت إلينور: "يبدو المنزل مختلفًا عندما لا تكون هي فيه. فارغ أكثر" نظر إليها لوك وهز رأسه. كان يرتب فناجين القهوة على الصينية وكان الدكتور قد تحرك ليفتح الأبواب ويثبتها بإصرار "في كل ليلة أفاجأ أننا نحن الأربعة وحدنا هنا."

ردت إلينور وهي تنظر إلى طاولة الطعام: "مع أن السيدة دادلي لا تشكّل صحبة جيدة. الأمر غريبٌ، أنا لا أحب السيدة دادلي مثلكم كلكم، ولكن أمي لم تكن ستسمح لي أن أنهض وأترك الطاولة على هذا الشكل حتى الصباح."

قالت ثيودورا دون اهتمام حقيقي: "إذا كانت تريد أن ترحل قبل هبوط الظلام فسيكون عليها أن تزيل آثار العشاء بالنهار. أنا لن أفعل ذلك بالتأكيد."

"ليس جيدًا أن نقوم ونترك الطاولة متسخة."

"لن تستطيعوا أن تعيدوهم على الأرفف على كل حالٍ، وسيكون عليها أن تعيد كلَّ شيءٍ فقط لتزيل بصماتكم من على الأغراض."

"لو أني فقط آخذ الفضية لأنقعها..."

"لا" قالت ثيودورا وهي تمسك بيدها "هل تريدين



أن تذهبي وحدك إلى ذلك المطبخ بكل تلك الأبواب؟"

"لا" قالت إلينور وهي تخفض الشوك التي كانت قد جمعتها "لا أظن في الحقيقة" واستمرت تنظر بعدم ارتياح إلى الطاولة والمناديل المكرمشة وبقعة النبيذ التي سقطت بجوار مكان لوك ثم هزت رأسها "لا أعرف ما الذي كانت أمي ستقوله مع ذلك."

قالت ثيودورا: "هيّا لقد أبقوا الأضواء مضاءة من أجلنا."

كانت النار غرفة الجلوس الصغيرة براقة وجلست ثيودورا بجوار صينية القهوة بينما أتى لوك بالبراندي من الخزانة حيث كان قد وضعه بعناية في الليلة الماضية "يجيب علينا أن نبقى مرحين بأي ثمن. سأتحداك مرة أخرى الليلة يا دكتور."

كانوا قد نهبوا الغرف الأخرى في الطابق الأسفل بحثًا عن كراسٍ مريحة ومصابيح وأصبحت غرفة جلوسهم أرغد غرفة في المنزل. قالت ثيودورا وهي تناول إلينور القهوة: "لقد كان هيل هاوس طيبا جدًا معنا بالفعل". وجلست إلينور بامتنان على كرسي وثير وكثير الحشو. قالت إلينور: "لا توجد أطباق قذرة لتغسلها إلينور وهناك أمسية لطيفة في صحبة جيدة وربما ستشرق الشمس مرة أخرى غدًا."

قالت إلينور: "لا بُدّ أن نرتب لنزهتنا". أكملت ثيودورا



"سأصبح سمينة وكسولة في هيل هاوس". كان إصرارها على ذِكر اسم هيل هاوس مقلقة لإلينور. فكرت إلينور يبدو وكأنها *تتعمد قولها. إنها تقول للبيت إنها تعرف اسمه وتنادي البيت كي تقول له أين نحن: هل هذا تجاسر؟* قالت تيودورا بهدوء: "هيل هاوس، هيل هاوس، هيل هاوس" وابتسمت في وجه إلينور. قال لوك بأدب لثيودورا: "قولي لي بما أنك أميرة، قولي لي عن الوضع السياسي في بلدٍ."

قالت تيودورا: "غير مستقر بالمرة. لقد هربت لأن أبي وهو بالطبع الملك أصر على أن أتزوج مايكل الأسود وهو يدعي أحقيته في العرش. أنا بالطبع لا أطيق رؤية مايكل الأسود الذي يرتدي حلقًا ذهبيًا واحدًا في أذنه وضرب من يرعوا خيله بسوط الركوب."

قال لوك: "يا لها من بلدٍ غير مستقرة. كيف تمكنتِ من الهرب؟"

"هربت في عربة قش متنكرة في زي بياعة الحليب. لم يفكروا أبدًا في البحث عني هناك ثم عبرت الحدود بأوراق زورتها بنفسي في كوخ حطاب."

"ومايكل الأسود سيستولي على البلد بلا شك عبر انقلاب؟"

"بل شك. ولكن يمكنه أن يأخذها."



قالت إلينور لنفسها وهي تراقبهم من فوق فنجان قهوتها *الأمر يشبه الانتظار في عيادة طبيب الأسنان والاستماع بينما يطلق المرضى الآخرون نكاتا شجاعة في أرجاء الغرفة بينما جميكم متأكدون أنكم ستقابلون طبيب الأسنان عاجلاً أم آجلاً.* نظرت إلى الأعلى فجأة مدركة أن الدكتور بجوارها وابتسمت في حيرة.

سألها الدكتور: "متوترة؟" فهزت إلينور رأسها وقالت: "فقط لأني أتساءل عمّا سيحدث."

حرك الدكتور كرسيًا وجلس بجوارها: "وأنا أيضًا. ينتابك أحيانًا شعور أن شيئًا ما – أي كان – سيحدث قريبًا؟"

"نعم. يبدو وكأن كل شيء ينتظر."

هز الدكتور رأسه باتجاه ثيودورا ولوك اللذين كانا يضحكان معًا "وهم، هم يقابلون الأمر بهذه الطريقة. أتساءل ما الذي سيفعله بنا جميعًا. من شهر مضى كنت سأقول أن موقفًا مثل هذا لن يأتي أبدًا. أن نجلس نحن الأربعة معا هنا في هذا المنزل" لاحظت إلينور إنه لا يسميه. قال "لقد انتظرت لوقت طويل."

"هل تظن أنك كنت على حق في انتظارك؟"

"حق؟" قال "أظن أننا جميعًا شديدو السخف لبقائنا. أظن أن جو مثل هذا سيجد عيوبًا ونواقص وضعفًا فينا وسيفرقنا في غضونِ أيام. لدينا دفاع واحد فقط.

أن نهرب. على الأقل لن يستطيع أن يتبعنا. أليس كذلك؟ عندما نشعر أننا مهددون يمكن أن نرحل كما أتينا بالضبط".. وأضاف بشكلٍ جافٍ: "وبنفس السرعة التي أتينا بها".

قالت إلينور: "ولكن قد تم تحذيرنا مسبقًا ونحن أربعة معًا".

قال: "لقد ذكرت ذلك للوك وثيودورا بالفعل. عديني أنك سترحلين بأسرع وقت ممكن إن بدأتِ تشعري بأن البيت يلاحقك."

قالت إلينور بابتسامة: "أعدك" فكرت إلينور *أنه يحاول أن يجعلني أكثر شجاعة* وكانت ممتنة. قالت له: "لا بأس مع ذلك. حقًّا الأمور على ما يرام."

قال وهو ينهض: "لا أشعر بأي تردد في أن أبعدك إن بدا أن ذلك ضروريٌّ. لوك؟ هل تأذن لنا السيدات؟"

بينما يحضرون رقعة الشطرنج وقطعه تجولت ثيودورا في الغرفة وهي تحمل كوبها في يدها وقالت إلينور لنفسها *إنها تتحرك مثل حيوان متوتر ومنتبه. لا يمكنها أن تبقى ثابتة بينما هناك رائحة اضطراب في الجو.* جميعنا غير مرتاحين وقالت "تعالي واجلسي بجواري" وأنت ثيودورا وهي تتحرك برشاقة وتستدير نحو نقطة ترتاح فيها. جلست في الكرسي الذي غادره الدكتور وأمالت رأسها للخلف بتعب. كم هي جميلة. كم

هي جميلة. *محظوظة بالجمال دون اعتبارات.* "هل أنتِ متعبة؟"

إدارات ثيودورا رأسها وابتسمت: "كنت أفكر فقط في كم تبدين مسترخية."

"وأنا كنت أفكر في – متى كان ذلك؟ أول أمس؟ - وأتساءل كيف تمكنت من جعل نفسي أرحل عن هناك وأتى إلى هنا. ربما أنا أشعر بحنين إلى المنزل."

"الآن؟"

"هل فكرتِ في أنك قد تكوني تشعرين بالحنين إلى المنزل؟ إن كان هيل هاوس هو منزلك هل كنت ستشعرين بالحنين إليه؟ هل بكت تلك الفتاتان الصغيرتان من أجل بيتهما المظلم القاتم عندما أخذوا بعيدًا عنه؟"

قالت إلينور بحرص: "لم أبتعد عن أي مكان؛ لذا فأتصور أني لم أشعر بالحنين إلى المنزل أبدًا."

"وماذا عن الآن؟ شقتك الصغيرة؟"

"ربما" قالت إلينور وهي تنظر إلى داخل النار "لم يكن بحوزتي وقت طويل بما يكفي أن أصدق أنها ملكي."

قال ثيودورا "أنا أريد سريري" فقالت إلينور لنفسها *إنها تتذمر مرة أخرى. عندما تكون جائعة أو متعبة أو تشعر بالملل تتحول إلى طفل.* قالت ثيودورا: "أنا

أرغب في النوم."

قالت إلينور: "الساعة تجاوزت الحادية عشرة" وبينما تستدير لتنظر إلى مباراة الشطرنج صاح الدكتور بفرحة الانتصار وضحك لوك.

"الآن يا سيدي" قال الدكتور "الآن، يا سيدي."

"لقد هزمت بنزاهة، أنا أعترف" قال لوك وبدأ في جمع قطع الشطرنج ووضعهم في علبتهم "هل يوجد أيٌّ سببٍ يمنعني من أن آخذ نقطة براندي معي إلى الأعلى؟ كي أساعد نفسي على النوم، أو أدع الكحول يمنحني بعض الشجاعة أو أي سبب مثل ذلك. في الحقيقة" – وابتسم باتجاه ثيودورا وإلينور "أنا أنوي أن أبقى مستيقظًا كي أقرأ لبعض الوقت."

سألت إلينور الدكتور: "ألا زلت تقرأ باميلا؟"

"الجزء الثاني. لا يزال أمامي ثلاثة أجزاء ثم أبدأ في كلاريسا هارلو على ما أظن. ربما يحب لوك أن يستعير..."

قال لوك "لا شكرًا. لدي حقيبة ملابس مليئة بالقصص الغامضة."

استدار الدكتور لينظر حوله: "دعني أرى. وَضْع حاجز أمام النار، الأضواء مطفأة. اتركوا الأبواب لتغلقها السيدة دادلي في الصباح". تبعوا بعضهم البعض إلى السلم الكبير متعبين ومطفئين الأنوار خلفهم. سأل

الدكتور "بالمناسبة، هل لديكم جميعًا مصابيح؟" هزوا رؤوسهم مستهدفين النوم أكثر من موجات الظلام التي تبعتهم صاعدة سلالم هيل هاوس.

قالت إلينور وهي تفتح باب الغرفة الزرقاء: "تصبحون على خير جميعًا."

قال لوك: "تصبحين على خير."

قالت ثيودورا "تصبحين على خير."

قال الدكتور "تصبحين على خير. نومًا هانئًا"

***

قالت إلينور "أنا آتية يا أمي، آتية" وعبثت باحثة عن الضوء "لا تقلقي أنا أتية" *إلينور، إلينور* سمعت النداء فصاحت بضيق "آتية، آتية. دقيقة واحدة. سآتي."

"إلنيور؟"

ثم أدركت بصدمة مدوية أيقظتها، بردانة ومرتعشة؛ خارج السرير ومستيقظة. *أنا في هيل هاوس.*

صاحت بصوت عالٍ: "ماذا؟ ماذا؟ ثيودورا؟"

"إلينور؟ أنا هنا."

"آتية" لا يوجد وقت للأضواء. ركلت الطاولة بعيدًا عن طريقها وتساءلت عن صوتها ثم حاولت قليلاً فتح باب الحمّام الذي يصل بين الغرفتين. قالت لنفسها هذه؛ *ليست الطاولة* وهي تسقط. *إن أمي تدق على الحائط.*

لحسن الحظ كانت غرفة ثيودورا مضاءة وكانت



تيودورا جالسة في السرير، شعرها مشعث وعيناها مفتوحتان على اتساعهما بصدمة الاستيقاظ. قالت إلينور لنفسها *لا بُدَّ أنني أبدو مثلها* وقالت "أنا هنا. ما الأمر؟" – ثم سمعت بوضوح لأول مرة مع أنها كانت تسمع منذ استيقظت. همست "ما الأمر؟". جلست عند نهاية سرير تيودورا، متسائلة عمّا بدا أنه سكينة في نفسها. *إنه صوت في البهو، بعيدٌ قرب الطرف بجوار باب غرفة الأطفال وباردٌ بشاعة، ليس أمي وهي تدق على الحائط.*

قالت تيودورا بنبرة بدت كمنطق صافٍ: "شيء ما يدق على الأبواب. هذا كل ما في الأمر. وهو بالأسفل قرب طرف البهو. لوك والدكتور في الأغلب هناك بالفعل ليروا ما الذي يحدث" *ليس مثل طَرق أمي على الحائط ابدًا. أنا كنت أحلم مرة أخرى.*

قالت تيودورا: "بانج بانج".

"بانج" قالت إلينور وضحكت. قالت لنفسها *أنا هادئة ولكني أشعر بالبرد الشديد. الصوت كان نوعًا من التخبيط على الأبواب واحدًا تلو الآخر. هل هذا هو ما خشيته؟ "بانج" هي أفضل كلمة تصفه. بدا شيئًا يمكن ان يفعله الأطفال لا الأمهات اللواتي يطرقن الحائط طلبًا للمساعدة وعلى كل حال فإن لوك والدكتور هنا. هل هذا هو ما يقصدونه عندما يقولون قشعريرة برودة*



تطلع وتنزل على ظهرك؟ لأنه ليس شيئًا جيدًا. إنه يبدأ في بطنك ويستمر في موجات تلتف وتصعد وتهبط مرة أخرى مثل شيء حي. مثل شيء حي. نعم. مثل شيء حي.

قالت "تيودورا" وأغمضت عينيها وجزت على أسنانها ولفت نفسها بذراعيها "إنه يقترب".

"مجرد صوت" قالت تيودورا واقتربت من إلينور وجلست ملتصقة بها "له صدى". قالت إلينور لنفسها صوته مثل صوت *أجوف، طرقة جوفاء، كما لو كان يطرق الأبواب بإبريق حديدي أو عامود حديدي أو قفاز* حديدي. طرق بانتظام لدقيقة ثم فجأة بنعومة أكثر ثم مرة أخرى في فورة سريعة وهو يبدو أنه يتحرك بشكل ممنهج من باب إلى التالي عند آخر البهو. ظنت أنها تستطيع سماع أصوات لوك والدكتور عن بعد ينادون من مكانٍ ما بالأسفل وفكرت *إذًا هم ليسوا هنا بالأعلى معنا مطلقًا*. وسمعت تهشم الحديد على ما لا بُدّ أنه باب قريب جدًا. همست تيودورا "ربما سيذهب إلى الجانب الآخر من البهو" وفكرت إلينور في أن أغرب جزء من هذه التجربة التي لا توصف هي أنه لا بُدّ أن تيودورا تمر بها أيضًا. "لا" قالت تيودورا ثم سمعوا شيئًا يتهشم على باب في الطرف الآخر من البهو. كان أعلى وكان يصم الآذان. قرع على باب مجاور لهم (هل



تحرك جيئًا وذهابا عبر البهو؟ هل خطا على قدمين فوق السجادة؟ هل رفع يدًا على الباب؟) ورمت إلينور نفسها بعيدًا عن السرير وجرت كي تثبت يديها على الباب. صرخت بقوة "ارحل. ارحل. ارحل!". كان هناك صمت تام وفكرت إلينور وهي تقف بوجهها مقابل الباب *لقد فعلتها الآن، كان يبحث عن غرفة بداخلها* شخص. زحف البرد وقرصَهم مالئًا الغرفة وفائضًا منها. أي شخص كان سيظن أن سكان هيل هاوس ينامون نومًا هنيئًا في هذا الهدوء ثم فجأة جدًّا، حتى إن إلينور لفت سريعًا، بدأ صوت اصطكاك أسنان تيودورا ببعضهم البعض. ضحكت إلينور وقالت "أيتها الطفلة الكبيرة". ردت تيودورا "أنا بردانة. برد قاتل."

"وأنا كذلك" أخذت إلينور اللحاف الأخضر ورمته حول تيودورا ثم التقطت روب تيودورا ولبسته: "هل أصبحتِ أكثر دفئًا الآن؟"

"أين لوك؟ أين الدكتور؟"

"لا أعرف. هل أنت أكثر دفئًا؟"

"لا" ارتعشت تيودورا.

"سأخرج بعد دقيقة إلى البهو وأناديهم. هل أنت..."

بدأ مرة أخرى وكأنه كان يستمع منتظرًا أن يسمع أصواتهم وما سيقولونه كي يتعرف عليهم، كي يعرف قدر استعدادهم ضده، منتظرًا كي يسمع إن كانوا



خائفين. فجأة، حتى إن إلينور قفزت نحو السرير وشهقت ثيودورا وصاحت، أتى تهشم الحديد على بابهم ورفعت كل منهم عينيها في رعبٍ؛ لأن الطَّرْق كان على الطرف الأعلى من الباب. أعلى مما يمكن للوك أو الدكتور الوصول إليه وأتى البرد المقزِّز والمهين في موجات آتية مما هو خارج الباب. وقفت إلينور مجمدة ونظرت إلى الباب. لم تعرف تحديدًا ما الذي عليها فعله مع أنها كانت تعتقد أنها كانت تفكر بشكل متماسك ولم يكن خوفها يفوق المعتاد، بالتأكيد لم تكن خائفة أكثر مما تصورت خوفها في أسوأ أحلامها. أزعجها البرد أكثر من الأصوات. حتى روب ثيودورا الدافئ كان غير مجدٍ ضد لمسات الأصابع الثلجية على ظهرها. كان الشيء الذكي الذي يمكن فعله هو أن تخطو نحو الباب وتفتحه. هذا يتسق في الأغلب مع وجهة نظر الدكتور عن البحث العلمي البحت. كانت إلينور تعرف أنها حتى إن أخذتها قدماها نحو الباب فلن تحرك يداها مقبض الباب. بحياد ومن بعيد قالت لنفسها إنه لا يمكن لأي يد أن تلمس المقبض. إنه ليس العمل الذي خلقت الأيدي من أجله. كانت تتأرجح قليلاً، كل طرقة تتهشم على الباب كانت تدفعه قليلاً إلى الوراء والآن كانت جامدة لأن الصوت يتلاشى. قالت ثيودورا من خلفها "سأشكو أمر المدفأة الكهربائية للمسؤول على المكان. هل



يتوقف؟"

"لا" قالت إلينور بغثيان "لا"

لقد وجدهم. بما أن إلينور لن تفتح الباب فسيجد هو طريقه إلى الداخل. قالت إلينور بصوت عالٍ "الآن أعرف لماذا يصرخ الناس؛ لأني أظن أني على وشك الصراخ" فقالت تيودورا "سأفعل إن فعلتِ أنتِ" وضحكت فاستدارت إلينور سريعًا عائدة إلى السرير واحتضنوا بعضهم البعض وهم ينصتون في صمت. أتت نقرات صغيرة من حول إطار الباب، أصوات باحثة صغيرة تتلمس أطراف الباب وتحاول أن تتسلل إلى الداخل. تم العبث بمقبض الباب وهمست إلينور سائلة: "هل هو موصد؟" فهزت تيودورا رأسها ثم وبعيون جاحظة استدارت كي تحدق باب الحمّام الموصل بين الغرفتين. همست إلينور في أذنه:ا "بابي موصد أيضًا" وأغضمت تيودورا عينيها في ارتياح. تحركت الأصوات الزلقة الصغيرة حول هيكل إطار الباب ثم وكأن الغضب تملك مما هو في الخارج جاء صوت التهشيم مرة أخرى ورأت إلينور وتيودورا خشب الباب وهو يهتز ويرتجف والباب يتحرك من جهة المفصلات. قالت إلينور بعنف "لا تستطيع أن تدخل" ومرة أخرى حل الصمت كما لو كان المنزل ينصت باهتمام لكلماتها فاهمًا في سخرية وموافقة، راضيًا بالانتظار. أتت



ضحكة صغيرة حادة ونسمة هواء عبر الغرفة وضحكة صغيرة مجنونة ترتفع، أقل همسة ضحك وقد سمعتها إلينور تتحرك أعلى وأسفل ظهرها، ضحكة صغيرة متفاخرة تتحرك وتتجاوزهم حول المنزل ثم سمعت صوت الدكتور ولوك ينادون من عند السلم وحلت الرحمة، انتهى كل شيء.

عندما جاء الصمت الحقيقي تنفست إلينور أنفاسًا مرتعشة وتحركت متخشبة. قالت تيودورا "لقد احتضنا بعضنا مثل زوج من الأطفال التائهين" وحلّت ذراعيها من حول رقبة إلينور "أنت ترتدين الروب الخاص بي."

"لقد نسيت روبي. هل انتهى الأمر حقًّا؟"

"لهذه الليلة على كل حال" تحدثت تيودورا بيقينٍ "ألا تستطيعن أن تعرفي؟ ألم تشعري بالدفء مرة أخرى؟"

كان البرد المُمرض قد رحل فيما عدا رجفة تذكّرٍ به بطول ظهر إلينور عندما تنظر إلى الباب. بدأت في شد العقدة التي صنعتها في حزام الروب وقالت: "الشعور المكثّف بالبرد أحد أعراض الصدمة".

قالت تيودورا: "الصدمة المكثفة هي إحدى الأعراض التي عندي. ها هم لوك والدكتور". كانت أصواتهما في الخارج في البهو تتحدث بسرعة وبقلق. أسقطت إلينور



روب تيودورا على السرير وقالت "بحق السماء لا تدعيهما يطرقوا الباب -طرقة واحدة أخرى ستقضي عليّ" – وركضت إلى غرفتها كي تأتي بالروب الخاص بها. من خلفها كانت تسمع تيودورا تطلب منهما أن يتنظرا لدقيقة وذهبت لتفتح الباب ثم صوت لوك وهو يقول لثيودورا بخفة: "لما تبدين كأنك قد رأيتِ شبحًا."

عندما عادت إلينور لاحظت أن لوك والدكتور كانا يرتدون ملابسهم وخطر لها أن تلك قد تكون فكرة منطقية بدأ من تلك اللحظة. إن كان هذا البرد المكثف سيعود في الليل فسيجد إلينور تنام في بدلة صوفية وكنزة ثقيلة ولن تهتم بما ستقوله السيدة دادلي عندما تجد أن واحدة على الأقل من الضيفات تستلقي في أحد الأسِرّة النظيفة مرتدية حذاءً ثقيلاً وجوارب صوفية. "حسنًا" سألت "كيف ترون الحياة في منزل مسكون يا سادة؟"

قال لوك: "إنه جيد بشكل مثالي. جيد بشكل مثالي. إنه يمنحني حجة كي أتناول الشراب في منتصف الليل" كان بحوذته زجاجة البراندي والكؤوس وفكرت إلينور أن عليهم أن يكونوا مجموعة صغيرة متصاحبة ويجلسون في غرفة تيودورا في الرابعة صباحًا يشربون البراندي. تحدثوا بخفة وبسرعة ومنحوا



بعضهم البعض نظرات فضولية متوارية بينما يتساءل كل فرد منهم ما هو الرعب السري الذي طرق نفس الآخرين، ما هي التغيرات التي قد تبدو في الوجه أو الإيماءات، ما هو نقطة الضعف غير المحسوبة التي فتحت الطريق إلى الخراب.

سأل الدكتور: "هل حدث أي شيء هنا بينما نحن في الخارج؟"

نظرت إلينور وتيودورا إلى بعضهم وضحكوا بصفاء أخيرًا دون أن يشوب الضحك هيستيرية أو خوف. بعد دقيقة قالت تيودورا بحرصٍ: "لا شيء معين. طرق شخص ما الباب بكرة مدفع ثم حاول أن يدخل ويأكلنا وضج بالضحك عندما لم نوافق أن نفتح الباب. ولكن لا شيء غير معتاد في الحقيقة."

بفضول، ذهبت إلينور وفتحت الباب وقالت بحيرة: "ظننت أن الباب بأكمله سيتحطم ولا يوجد حتى خدش على الخشب أو على أيٍّ من الأبواب الأخرى، أنهم ناعمون تمامًا."

قالت تيودورا وهي تمد كأس البراندي الخاص بها إلى لوك: "كم لطيف أنه لم يفسد الخشب. لم أكن سأتحمل أن يتأذى هذا المنزل العزيز" وابتسمت لإلينور "كانت نيللي ستصرخ".

"وأنت كذلك."

"أبدًا، كل ما قلته هو أني سأبقى بصحبتك. بالإضافة إلى أن السيدة دادلي قد قالت أنها لن تأتي. وأين كنتم يا رجالنا الحارسين؟"

قال لوك: "كنا نلاحق كلبًا. أو على الأقل حيوانًا يُشبِه الكلب". توقف ثم أكمل بدون حماس "تبعناه إلى الخارج."

حدقت تيودورا، ولكن إلينور قالت: "تعني أنه كان بالداخل؟"

قال الدكتور: "رأيته يعبر أمام بابي. لمحته يتسلل فأيقظت لوك وتبعته حتى السلم ثم إلى الخارج في الحديقة وضيعته في مكانٍ ما خلف المنزل."

"كان الباب الأمامي مفتوحًا؟"

"لا" قال لوك "كان الباب الأمامي مغلقًا. كما كانت كل الأبواب الأخرى. قد تأكدنا."

قال الدكتور: "كنا نتجول لفترة. لم نكن نتصور أنكن يا سيدات مستيقظات حتى سمعنا أصوتكن." تحدث بجدية وأضاف "هناك شيءٌ واحدٌ لم نأخذه في الاعتبار."

نظروا إليه في حيرة فشرح وهو يحسب على أصابعه كما لو كان في محاضرة: "أولاً لوك وأنا كنا مستيقظين قبلكم بشكل واضح. كنا مستيقظين ونتجول في الخارج لحوالي ساعتين وقد تم

استدراجنا إلى ما سأطلق عليه إذا آذنتم لي مطاردة وهمية. ثانيًا لم يسمع أيٌّ منا..." ونظر إلى لوك بتساؤل بينما يتحدث – "أي صوت هنا حتى بدأت أصواتكم. كان السكون كاملاً. أي أن الصوت الذي طرق بابكم لم يكن مسموعًا لنا. عندما تخلينا عن الحراسة وقررنا الصعود إلى الأعلى يبدو أننا طردنا الشيء الذي كان ينتظر أمام بابكم. والآن كل شيء هادئ ونحن نجلس معًا."

قالت تيودورا وهي تعبس: "لا أزال لا أفهم ما تقصده."

قال: "يجب علينا أن نقوم ببعض الاحتياطات"

"ضد ماذا؟ كيف؟"

"عندما نستدعى أنا ولوك للخارج بينما أنتما محبوستان في الداخل، ألا يبدأ الأمر يبدو..." وانخفض صوته كثيرًا.. "ألا يبدو الأمر وكأن الهدف هو تفريقنا؟"

---

(1) لعبة من ألعاب الورق تحسب نقاط الربح والخسارة فيها على لوح مخصص لهذا الغرض.

(2) طبق مخبوز أساسه البيض ويعتبر شديد الصعوبة في صنعه.

(3) مشروب كحولي

(4) مشروب كحولي يستخدم في الكوكتيل

(5)

فكرت إلينور وهي تنظر إلى نفسها في المرآة، وضوء النهار الساطع يجعل حتى الغرفة الزرقاء في هيل هاوس مشرقة، *إنه النهار الثاني لي في هيل هاوس وأنا سعيدة بشكل لا يصدق. تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة. لقد قضيت ليلة بلا نوم تمامًا، كذبت وجعلت من نفسي حمقاء والهواء نفسه طعمه نبيذ. لقد ارتعبت حتى كدت أفقد نصف ذهني الأحمق ولكن بشكل ما لقد جنيت هذا الفرح. لقد انتظرته لوقت طويل. تخليت عن المعتقد الذي حملته طوال عمري بأني إن افصحت عن السعادة فقدتها.* ابتسمت لنفسها في المرآة وقالت لنفسها في صمت *أنت سعيدة يا إلينور، مُنِحتِ أخيرًا جزءًا من قسطك من السعادة.*

نظرت بعيدًا عن وجهها في المرأة وخطرت عرضًا في بالها الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة، لقاء الأحبة.

"لوك؟" كانت ثيودورا تنادي في البهو بالخارج "لقد أخذت أحد جواربي في الليلة الماضية وأنت وغد ولِصٌ وأتمنى أن تسمعني السيدة دادلي".

سمعت إلينور لوك بالكاد وهو يرد، اعترض أن للرجل المهذب الحق في أن يحتفظ بالعطايا التي أنعمت عليه بها سيدة وأنه واثقٌ تمامًا أن السيدة دادلي تسمع كل



كلمة.

"إلنيور؟" كانت ثيودورا الآن تطرق الباب الواصل بين الغرفتين "هل أنت مستيقظة؟ هل يمكن أن أدخل؟"

قالت إلينور وهي تنظر إلى وجهها في المرآة "تعالي بالطبع" وقالت لنفسها *أنت تستحقين ذلك، لقد قضيتِ طوال عمرك تجنينه*. فتحت ثيودورا الباب بسعادة "كم تبدين جميلة هذا الصباح يا نيل. هذه الحياة الغريبة تليق بك."

ابتسمت لها إلينور، كانت هذه الحياة تليق بثيودورا أيضًا بوضوح. قالت ثيودورا وهي تضع ذراعًا حول إلينور وتنظر في المرآة بجوارها "كان يجدر بنا حقًّا أن نتحرك بدوائر قاتمة تحت عيوننا ونظرة يأسٍ مجنون، ولكن انظري إلينا.. شابتان فاتنتان ريانتان مزدهرتان."

قالت إلينور: "أنا في الرابعة والثلاثين".. وتساءلَتْ أي تحدٍّ مبهم جعلها تضيف عامين.

"وتبدين في الرابعة عشر" قالت ثيودورا "تعالي لقد استحققنا إفطارنا."

تسابقتا نحو السلم الكبير ضاحكتين وعرفتا طريقهما عبر غرفة الألعاب إلى غرفة الطعام. "صباح الخير" قال لوك بإشراق "صباح الخير. كيف نام الجميع؟"

"بمتعة، أشكرك".

"مثل طفل" قالت إلينور.

قالت ثيودورا "ربما كان هناك بعض الصوت ولكن لا بُدَّ أن يتوقع المرء هذا في مثل تلك البيوت القديمة. ماذا سنفعل يا دكتور هذا الصباح؟"

"إممممم؟" قال الدكتور وهو ينظر إلى الأعلى. كان هو الوحيد الذي يبدو متعبًا، ولكنَّ عينيها أضاءتا بنفس البريق الذي وجدوه جميعًا في بعضهم البعض. قالت إلينور لنفسها *إنه الحماس. نستمتع جميعًا بوقتنا*.

"بالكين هاوس" قال الدكتور وهو يتذوق كلماته "سكن الكاهن في بورلي وقلعة جلاميس. من المذهل أن يجد الشخص نفسه يختبرها. مذهل تمامًا. لم أكن لأصدق ذلك. لقد بدأت في الاقتراب من فهم المتعة القصية للوسيط الروحاني الحقيقي. أظن أني سأتناول المربى إذا سمحت. شكرًا. لن تصدقني زوجتي أبدًا. للطعام نكهة جديدة – هل وجدتم الأمر كذلك؟"

قال لوك: "إذا لم تتفوق السيدة دادلي على نفسها فقط. كنت أتساءل عن ذلك."

"أحاول أن أتذكر" قالت إلينور "أعني عن ليلة أمس. أستطيع أن أتذكر أني كنت أعرف أني خائفة ولكني لا أستطيع أن أتصور أني كنت خائفة بالفعل."

قالت ثيودورا: "أنا أتذكر البرد." وارتعشت.



"أظن أن ذلك لأنه كان وهميًا في أي شكل من أشكال التفكير الذي اعتدته. أعني أنه لم يكن منطقيًا"

توقفت إلينور وضحكت محرجة.

قال لوك: "أنا أوافق. لقد وجدت نفسي هذا الصباح أقول لنفسي ما حدث ليلة أمس. في الحقيقة الأمر عكس الكابوس حيث تظل تقول لنفسك إنه لم يحدث في الحقيقة."

قالت ثيودورا "كنت أظن أن الأمر مثيرٌ"

رفع الدكتور إصبعًا محذرًا "لا يزال ممكن تمامًا أن المياه الجوفية تسبِّب كل هذا."

قالت ثيودورا: "إذًا يجب بناء المزيد من البيوت فوق ينابيع سريعة الجريان."

عبس الدكتور وقال: "يُقلِقني هذا الحماس. إنه يسبِّب النشوى بلا شك ولكن ألا يمكن أن يكون خطيرًا أيضًا؟ أثر لجو البيت؟ الإشارة الأولى أننا وقعنا – مثلاً – تحت تأثير تعويذة؟"

قالت ثيودورا: "إذا أصبح أنا الأميرة المسحورة."

قال لوك: "ومع ذلك فإن كان أمس مقياسًا لهيل هاوس الحقيقي فلن نقابل الكثير من المشاكل. كنا خائفين بالتأكيد ووجدنا التجربة غير لطيفة بينما كانت تحدث ومع ذلك فلا أستطيع أن أتذكر أني شعرت بأي خطر جسماني حتى قول ثيودورا لي أن الذي كان

خارج بابها كان أتيا ليأكلها لم يبدُ في الحقيقة.."

قالت إلينور: "أعرف ما كانت تعنيه لأني فكرت في أنها الكلمة الصحيحة تحديدًا. إحساس أنه تريد أن يستهلكنا، أن يأخذنا داخل نفسه ويجعلنا جزء من المنزل. ربما – يا إلهي. لقد فكّر في أني أعرف ما الذي أقوله ولكني أفعل ذلك بشكل سيء جدًا."

أصر الدكتور على التأكيد: "لا يوجد خطر مادي. لم يسبب أي شبح خلال التاريخ الطويل للأشباح أذى ماديًا لأي شخص. الدمار الوحيد يصنعه الضحية في نفسه. لا يمكن للمرء حتى أن يقول إن الأشباح هاجمت الذهن لأن الذهن، الوعي، الذهن المفكر منيع. في جميع أذهاننا الواعية وبينما نجلس هنا ونتحدث لا يوجد ذرة من التصديق في الأشباح. لا يمكن لأيٍّ منّا حتى بعد ليلة أمس أن يقول كلمة "شبح" بدون ابتسامة صغيرة لا إرادية. لا، إن تهديد الماورائيات هو أنه يهجم عندما يكون العقل الحديث في أضعف حالاته، حيث نهجر درعنا الواقي الذي هو الأسطورة ولا يعود لدينا دفاع بديلٌ. لا يفكر أي منا بمنطقية أن ما ركض في الحديقة أمس كان شبح وأن ما طرق على الباب كان شبحًا ومع ذلك كان هناك بالتأكيد شيء ما يحدث في هيل هاوس ليلة أمس وملجأ العقل الفطري – الشك في الذات – مُلغىَ. لا نستطيع أن نقول "إنه خيالي" لأنه هناك ثلاثة

أشخاص آخرون هناك أيضًا."

أضافت إلينور بابتسامة: "أستطيع أن اقول "ثلاثتكم في خيالي، لا شيءَ من هذا حقيقي".

قال الدكتور بجدية: "إن كنت أعتقد أنك تستطعين حقًّا أن تصدقي ذلك لأخرجتك من هيل هاوس هذا الصباح. ستكونين قد اقتربتِ جدًّا من الحالة الذهنية التي سترحب بأخطار هيل هاوس بعناق أخوي".

"إنه يعني أنه سيعتبرك مجنونة يا عزيزتي نيل."

"حسنًا" قالت إلينور "أتوقع أني سأكون كذلك فعلاً. إن كان عليّ أن آخذ جانب هيل هاوس ضد بقيتكم أتوقع أن تبعدوني" تساءلت *لماذا أنا؟ هل أنا الوعي العام؟ يتوقعون دائمًا أن أقول بكلمات باردة ما لا يدركه الآخرون لأنهم متكبرون؟ هل يفترض أني أنا الأضعف، أضعف من ثيودورا؟ أنا متأكدة من أني آخر شخص من بينهم يتوقعون أن ينقلب على الآخرين.*

قال الدكتور وعيناه تستقران على إلينور لبرهة "الأشباح التي تُحدِث ضجيجًا هي مسألة أخرى تمامًا. إنهم يتعاملون حصرًا مع العالم المادي. يرمون حجارة ويحركون أشياء ويحطمون صحون. السيدة فوستر في بيت الكاهن في بورلي امرأة عانت طويلاً ولكنها أخيرًا فقدت أعصابها تمامًا عندما قُذِفَ طقم الشاي المفضل عندها من النافذة. مع ذلك فالأشباح الضاجة



هي قاع الترتيب الاجتماعي للماورائيات. إنهم مُدمّرون ولكنهم بلا عقل ولا إرادة. إنهم ببساطة قوة غير موجهة." وسأل بابتسامة صغيرة: "هل تتذكرون قصة أوسكار وايلد الرائعة "شبح كانترفيل؟"

قالت تيودورا: "التوأم الأمريكي اللذان دحروا الشبح الإنجليزي".

"بالضبط. أحببت دائمًا فكرة أن التوأم الأمريكي كانوا في الحقيقة ظاهرة أشباح ضاجة، الأشباح الضاجة قادرة بالتأكيد على التغطية على أي ظهور مثير آخر. الأشباح السيئة تطرد الجيدة" وربت على يديه بسعادة وأضاف "إنهم يطردون كل شيء آخر أيضًا. هناك قصر في إسكوتلندا موبوء بالأشباح الضاجة حيث قام سبعة عشر حريق تلقائي في يوم واحد. تحب الأشباح الضاجة أن تنزع الناس من سريرها وتقلب السرير رأسًا على عقب، وأتذكر حالة قسيس أجبر على ترك منزله لأنه كان يعذب يومًا بعد يوم من شبح ضاج يرميه بكتب ترانيم مسروقة من كنيسة منافسة."

فجأة وبلا منطق ارتج الضحك داخل إلينور. أرادت أن تركض حتى رأس الطاولة وتحضن الدكتور، أرادت أن تتمايل منشدة عبر الحديقة الممتدة، أرادت أن تغني وأن تصيح وأن تطوح ذراعيها وتتحرك في دوائر



ضخمة مؤكِّدة ومتملكة حول غرف هيل هاوس، قالت لنفسها *أنا هنا، أنا هنا*. أغمضت عينيها بسرعة في استمتاع ثم قالت بخفر للدكتور "وماذا نفعل اليوم؟"

قال الدكتور وهو يبتسم أيضًا "لا تزالون مثل قطيع من الأطفال. تسألونني دائمًا ماذا تفعلون اليوم. ألا يمكنكم تسلية أنفسكم بألعابكم؟ أو مع بعضكم البعض؟ أنا لدي عمل."

"كل ما أريد أن أفعله حقًّا" – قالت ثيودورا وهي تضحك – "هو التزحلق على الدرابزين" لقد أصابتها الإثارة المرحة كما أصابت إلينور.

قال لوك: "نلعب استغماية."

قال الدكتور: "حاولوا ألا تتجولوا كثيرًا وحدكم. لا أستطيع التفكير في سببٍ لذلك، ولكنه يبدو معقولاً."

قالت ثيودورا: "لأن هناك دببة في الغابة" وقالت إلينور "لأنه هناك نمورٌ في العلية."

"وساحرة عجوز في البرج وتنين في غرفة الاستقبال."

قال الدكتور وهو يضحك: "أنا جادٌّ حقًّا."

"أصبحت الساعة العاشرة. وأنا أنظف.."

قال الدكتور وإلينور وثيودورا: "صباح الخير يا سيدة دادلي."

ومال لوك إلى الوراء ولم يتمالك نفسه من الضحك.



"أنا أنظف في العاشرة."

"لن نعطلك طويلاً. حوالي خمس عشرة دقيقة من فضلك ثم تستطيعين إخلاء الطاولة."

"أنا أزيل آثار الفطور في العاشرة. أنا أحضر الغداء في الواحدة. العشاء، أحضره في السادسة. الساعة الآن العاشرة."

قال الدكتور بحسم: "يا سيدة دادلي" ثم لاحظ وجه لوك المشدود من الضحك المكتوم ورفع منديل ليغطي عينيه واستسلم: "يمكنك أن تخلي الطاولة يا سيدة دادلي" نطق الدكتور كلامه متقطعًا.

دوى صوت ضحكهم بسعادة ورد صداه عبر طرقات هيل هاوس وحُمل إلى المجموعة الرخامية في غرفة الجلوس وغرفة الأطفال بالأعلى والقمة الغريبة للبرج، بينما يشقون طريقهم عبر الممر إلى غرفة جلوسهم وسقطوا في مقاعدهم وهم لا يزالون يضحكون.

قال الدكتور وهو يميل إلى الأمام ووجهه مغطى بيديه وكتفاه يرتجان: "لا يجب أن نسخر من السيدة دادلي".

ضحكوا لفترة طويلة وتكلموا كل فترة بأنصاف عبارات محاولين أن يقولوا لبعضهم البعض شيئًا ما ومشيرين إلى بعضهم البعض إشاراتٍ عشوائية بينما يرج ضحكهم هيل هاوس حتى استلقوا بعد أن شعروا



بالضعف، منهكين ومتألمين على ظهورهم وتأملوا بعضهم البعض. "والآن.." بدأ الدكتور في التحدث فأوقفته دفقة ضحك من ثيودورا.

"الآن" بدأ الدكتور بحسمٍ أكبر ثم هدأ "أريد المزيد من القهوة" ثم بحسم مرة أخرى "أليس هذا حالنا جميعًا؟":

سألت إلينور: "هل تعني أن نذهب إلى هناك مباشرة ونطلب من السيدة دادلي؟"

طالبته ثيودورا: "أن نمشي مباشرة إليها والساعة ليست الواحدة ولا السادسة ونطلب منها ببساطة بعض القهوة؟"

قال الدكتور: "تقريبًا نعم. لوك يا ولدي، لقد لاحظت أنك بالفعل مفضل لدى السيدة دادلي نوعًا ما.."

فتساءل لوك بدهشة: "كيف أمكنك أن تلحظ شيئًا غير متوقع مثل هذا؟ السيدة دادلي تنظر إليّ بنفس نوع الازدراء الذي تصبغه على طبق ليس في مكانه الصحيح على الرف. في عيون السيدة دادلي.."

استحثه الدكتور: "أنت في النهاية وريث هذا المنزل. لا بُدّ وأن السيدة دادلي تشعر تجاهك كما يشعر الخادم القديم تجاه سيده الصغير."

"في نظر السيدة دادلي أنا أدنى من شوكة مرمية. أرجوك إن كنت تفكر في سؤال الحمقاء العجوز عن

شيءٍ فأرسل ثيو أو نيل الساحرة. هما لستا خائفتين.."

"لا" قالت ثيودورا "لا يمكنك أن ترسل امرأة لا حول لها كي تواجه السيدة دادلي. أنا ونيل هنا كي تتم حمايتنا، وليس كي نحرس التحصينات بدلاً منكم يا جبناء."

"الدكتور..."

"كلام فارغ".. قال الدكتور بحمية. "بالتأكيد لا يمكن أن تفكري في الطلب مني، وأنا رجل عجوز، على كل حال أنت تعرف أنها تعبدك."

قال لوك: "أشيب متغطرس. تضحي بي من أجل فنجان قهوة. لا تتفاجأ إن تحدثت بكآبة. لا تتفاجأ إن خسرت لوك في هذه المسألة. ربما لم تتناول السيدة دادلي بعد وجبتها الخفيفة لمنتصف النهار وهي قادرة تمامًا على صنع فيليه لوك المقلي بالزبدة أو ربما بصلصة النبيذ الأبيض حسب مزاجها. إذا لم أعُدْ" – وهز إصبعه تحت أنف الدكتور محذرًا – "أستحلفك أن تراقب غداءك بأكبر قدر من التشكك" وانحنى بمبالغة كما يليق بشخص ذاهب لقتل عملاق، وأغلق الباب خلفه.

تمدَّدت ثيودورا بترف: "لوك بديع."

قالت إلينور: "هيل هاوس بديع. ثيو هناك بيت صيفي ما في الحديقة الجانبية تنمو فوقه النباتات.



لقد لاحظته بالأمس. هل يمكن أن نستكشفه هذا الصباح؟"

"يسعدني". قالت تيودورا "لن أحب أن أترك بوصة من هيل هاوس دون استكشافًا. على كل حال فاليوم أجمل من أن تقضيه بالداخل."

قالت إلينور: "سنطلب من لوك أن يأتي أيضًا. وأنت يا دكتور؟"

بدأ الدكتور في الكلام "ملحوظاتي..." ثم توقف لأن الباب فُتِحَ فجأة لدرجة أنه لم تكن هناك فكرة في ذهن إلينور سوى أن لوك لم يجرؤ على مواجهة السيدة دادلي في نهاية الأمر ولكنه وقف منتظرًا ولصيقًا بالباب، نظرت إلى وجهه الأبيض وسمعت الدكتور يقول بغضب: "لقد خالفت قاعدتي الأولى. لقد أرسلته وحده" فوجدت نفسها تسأل بإلحاح: "لوك؟ لوك؟"

ابتسم لوك "كل شيء على ما يرام. ولكن تعالوا إلى الممر الطويل". جمدهم وجهه وصوته وابتسامته فوقفوا في صمتٍ وتبعوه عبر الباب إلى الممر الطويل المظلم والذي يؤدي إلى البهو الأمامي. "هاكم" قال لوك وانتشرت رعشة مثيرة للغثيان في ظهر إلينور وهي تراه يرفع عود ثقاب مشتعلاً أمام الحائط.

سألت إلينور وهي تقترب كي ترى: "إنها.. كتابة؟"

"كتابة؟!" قال لوك "لم ألاحظها حين كنت عائدًا"



وأضاف بصوت مكتوم "السيدة دادلي قالت لا".

"مصباحي". أخرج الدكتور مصباحه من جيبه وفي ضوئه بينما يتحرك ببطء من طرف البهو إلى طرفه الآخر بدت الحروف واضحة. "طباشير" قال الدكتور وهو يخطو للأمام ليلمس حرفًا بطرف إصبعه: "مكتوب بالطباشير."

كانت الكتابة ضخمة وعشوائية وفكرت إلينور أنها يجب أن تبدو وكأن أولاد أشقياء خربشوها على سور. فيما عدا ذلك بدت حقيقية بشكل مريب وهي تتواصل في خطوط مقطوعة فوق التجليد السميك للبهو من أحد جوانب البهو للآخر استمرت الحروف تكاد تكون أكبر من أن تستطيع قراءتها حتى وهي تقف بظهرها ملتصقة بالحائط المقابل.

سأل لوك بنعومة: "هل يمكنك قراءتها؟" وقرأ الدكتور ببطءٍ وهو يحرك مصباحه: ساعدوا إلينور على العودة إلى المنزل.

"لا".. وشعرت إلينور أن الكلمات توقفت في حلقها، لقد رأت اسمها بينما يقرأه الدكتور وقالت لنفسها *إنها انا. إنه اسمي يبرز هناك بوضوح. لا يجب أن أكون على حائط هذا المنزل*. "امحوها من فضلكم" وشعرت بذراع تيودورا يلتف حول كتفها. قالت إلينور بذهول: "هذا جنون".



قالت ثيودورا بقوة: "الجنون هو الكلمة المناسبة بالفعل. عودي إلى الداخل يا نيل واجلسي. لوك سيأتي بشيء ليمحوه."

"ولكن هذا جنون".. قالت إلينور مائلة إلى الخلف لترى اسمها. "لماذا...؟"

وجهها الدكتور بحسم عبر الباب إلى غرفة الجلوس الصغيرة وأغلقه. كان لوك قد بدأ في مهاجمة الرسالة بمنديله. قال الدكتور لإلينور: "استمعي إليّ. ليس لمجرد أن اسمك..."

"انتهى الأمر" قالت إلينور وهي تحدق فيه "إنه يعرف اسمي أليس كذلك؟ إنه يعرف اسمي."

"اخرسي من فضلك" هزتها ثيودورا بعنفٍ "كان من الممكن أن يكون ذلك أيًا منا. إنه يعرف أسماءنا جميعًا."

استدارت إلينور لثيودورا "هل كتبتِها أنتِ؟ من فضلك قولي لي.. لن أغضب أو أي شيء من هذا القبيل، فقط أريد أن أعرف.. ربما كانت مجرد مزحة؟ لتخيفيني؟" نظرت باستجداء للدكتور.

قال الدكتور: "أنت تعرفين أن أيًا منا لم يكتبها."

دخل لوك وهو يمسح يديه في منديله واستدارات إلينور بأمل وقالت: "لوك. أنت كتبتها أليس كذلك؟ عندما خرجت؟"



حدق بها لوك ثم جلس على ذراع مقعدها وقال: "اسمعي، هل تريدينني أن أكتب أسمك في كل مكانٍ؟ أحفر حروفه الأولى على الشجر؟ أكتب "إلينور" "إلينور" على قصاصات من الورق؟" جذب شعرها بخفة وقال: "لدي منطق أكثر من أن أفعل ذلك. احترمي نفسك."

قالت إلينور: "لماذا أنا إذًا؟" وهي تنظر من أحدهم إلى الآخر. فكرت بجنون *لقد استبعدت. أنا المختارة* ثم قالت سريعًا باستجداء: "هل فعلت أي شيء يلفت النظر أكثر من أي شخص آخر؟"

"ليس أكثر من أي شخص آخر يا عزيزتي" قالت تيودورا. كانت تقف بجوار المدفأة مستندة على الرف وتنقر بأصابعها وعندما تحدثت نظرت إلى إلينور بابتسامة مشرقة "ربما كتبتِها بنفسك"

غضبت إلينور وقالت بصوت يكاد يكون صياحًا: "هل تظنين أني أريد أن أرى اسمي مخربشًا في أرجاء هذا المنزل البغيض؟ هل تظنين أني أحب فكرة أني مركز الاهتمام؟ أنا لست الطفلة المدللة في النهاية.. أنا لا أحب أن أتميز."

قالت تيودورا بخفة: "طلبًا للمساعدة، ألم تلاحظي؟ ربما كانت روح المرافقة الصغيرة المسكينة قد وجدت طريقة للتواصل أخيرًا. ربما كانت فقط تنتظر باهتة،

جبانة.."

"ربما كانت موجّهة لي فقط لأنه لا يمكن لأي طلب مساعدة أن يخترق أنانيتك الحديدية، ربما أملك تعاطفًا وتفهُّمًا في دقيقة واحدة أكثر من.."

قالت تيودورا مرة أخرى: "وبالطبع يمكن أن تكوني أنتِ قد كتبتِها بنفسك."

كما هو معتاد بالنسبة لرجال يشاهدون نساء يتشاجرن ابتعد الدكتور ولوك ليقفا ملتصقين في صمت بائس. هنا تحرك لوك أخيرًا وتحدث قائلاً: "هذا يكفي يا إلينور" بشكل غير متوقع فلفّت إلينور وهي تضرب الأرض بقدمها وقالت: "كيف تجرؤ؟" ثم شهقت: "كيف تجرؤ؟"

عندها ضحك الدكتور فحدقت فيه ثم في لوك الذي كان يبتسم ويراقبها. قالت لنفسها *ماذا أصابني؟ ثم ولكنهم يظنون أن تيودورا فعلتها عمدًا، أغضبتني كي لا أخاف. كم هو مخزٍ أن يتم التلاعب بي بهذه الطريقة*. غطت وجهها وجلست على كرسيها.

قالت تيودورا: "نيل يا عزيزتي. أنا آسفة."

قالت إلينور لنفسها: *يجب أن أقول شيئًا. يجب أن اريهم أن لدي روحًا رياضية في نهاية الأمر. روحًا رياضية. أدعهم يظنون أني خجلت من نفسي.*

قالت: "آسفة، لقد كنت خائفة."



قال الدكتور: "بالطبع كنت خائفة" وفكَّرَت *إلينور* كم هو بسيط وشفاف. *إنه* يصدق كل شيء سخيف يسمعه. *إنه* حتى يعتقد *أن تيودورا* صدمتني *فأخرجتني* من *الهيستيريا التي أصابتني*. ابتسمت له وفكرت *لقد* عدت *إلى الحظيرة*.

قالت تيودورا: "كنت أظنك ستبدئين في الصراخ" وأنت لتجثو عند كرسيِّ إلينور "كنت سأفعل إن كنت مكانَك. ولكن كما تعرفين؛ فنحن لا نستطيع أن نتركك تنهارين".

قالت إلينور لنفسها: لا نستطيع *أن* ندع *أيِّ* شخصٍ يقف في *بؤرة الاهتمام* سوى *تيودورا*. *إن كانت إلينور* ستصبح *الغريبة* فهي ستصبح كذلك وحدها *تمامًا*.

مدت يدها وربتت على رأس تيودورا وقالت: "شكرًا. لا بُدَّ أني كنت مهزوزة لبرهة."

قال لوك: "تساءلت إن كنتم أنتما الاثنتان ستتشاجران بالأيدي حتى أدركت ما الذي كانت تيودورا تفعله."

قالت إلينور لنفسها وهي تنظر مبتسمةإلى عيون تيودورا اللامعة السعيدة ولكن *هذا لم يكن ما كانت تيودورا تفعله على الإطلاق*.

***

مر الزمن بكسل في هيل هاوس. إلينور وتيودورا



والدكتور ولوك منتبهان ضد الرعب ويلتحفان الجبال الكثيفة وثابتان في أمان في الرفاهية المظلمة والدافئة للمنزل حيث سمح لهما بيوم وليلة هادئين – ما يكفي ربما ليتبلدا قليلاً. تناولوا وجباتهم معًا وبقي طهو السيدة دادلي ممتازًا. تحدثوا معًا ولعبوا الشطرنج. أنهى الدكتور باميلا وبدأ في السير تشارلز جرانديسون. أدى بهم احتياج مُلِحٌّ للخصوصية إلى قضاء بعض ساعات وحدهم في غرفهم المنفصلة بدون إزعاج. استكشفت تيودورا وإلينور ولوك دغلاً متشابكًا خلف المنزل ووجدوا البيت الصيفي الصغير بينما جلس الدكتور على العشب المتسع يكتب على مرمى البصر والسمع منهم. وجدوا حديقة ورود مسورة بالحجر وينمو فوقها الأعشاب البرية وحديقة خضروات تغذيها السيدة دادلي بحنان. تحدثوا كثيرًا عن ترتيب نزهة بجوار الجدول. كان هناك فراولة برية بالقرب من البيت الصيفي وعادت تيودورا وإلينور ولوك بمنديل ممتلئ بها واستلقوا على العشب بجوار الدكتور ليأكلوه ملطخين أيديهم وأفواههم. قال لهم الدكتور إنهم مثل الأطفال وهو يرفع عينيه عن ملاحظاته مستمعًا. كان كل منهم قد كتب – بلا عناية وبأقل قدرٍ من الاهتمام بالتفاصيل – سرده لما ظنوا أنهم قد شاهدوه وسمعوه حتى الآن في هيل هاوس،



ووضع الدكتور الأوراق بعيدًا عن الأنظار في ملفه. في النهار التالي – النهار الثالث في هيل هاوس- قضى الدكتور بمساعدة لوك ساعة محبة ومثيرة للجنون على أرض بهو الطابق الأعلى، محاولاً أن يحدد بالطباشير وشريط القياس، الأبعاد المحددة للبقعة الباردة، بينما جلست إلينور وثيودورا متربعتين على الأرض تلعبان "إكس أوه". أعيق الدكتور كثيرًا عن عمله لأن يديه كانتا تتجمدان بالبرد القارص فلا يستطيع أن يمسك بالطباشير أو شريط القياس لأكثر من دقيقة متصلة. كان لوك وهو داخل غرفة الأطفال يستطيع الإمساك بأحد طرفي الشريط حتى تدخل يدُه في البقعة الباردة ثم تفقد أصابعه قوتها وترتخي قسرًا. كان ميزان الحرارة إذا أسقط في منتصف البقعة الباردة يرفض أن يسجِّل أيّ تغيير على الإطلاق ولكنه يستمر في الحفاظ على درجة الحرارة ذاتها التي سجلت في أرجاء البهو الأخرى مما يؤدي بالدكتور أن يستشيط غضبًا بجنونٍ ضد الإحصائيين في بيت القسيس في بورلي الذين التقطوا انخفاض يبلغ إحدى عشرة درجة في الحرارة. عندما حدَّد البقعة الباردة قدر استطاعته وكتب ملاحظاته عن النتيجة في دفتره وأخذهم إلى الطابق الأسفل لتناول الغداء تحداهم تحديًا عامًّا أن يقابلوه عند ملعب الكروكيه في برودة بعد الظهيرة.



شرح لهم "يبدو قضاء نهار بهذه الروعة في النظر إلى بقعة متجمدة على الأرض حماقة. يجب أن نخطط لقضاء وقت أطول في الخارج.." وتفاجأ قليلاً عندما ضحكوا.

سألت إلينور متعجبة: "هل لا يزال هناك عالم في مكانٍ ما؟" كانت السيدة دادلي قد صنعت لهم كعكة خوخ ونظرت إلى طبقها وقالت: "أنا واثقة أن السيدة دادلي تذهب إلى مكانٍ آخر في الليل وتعود بكريمة طازجة كل صباح ودادلي يأتي بالبقالة كل يوم بعد الظهر ولكن وحسب ما أتذكر لا يوجد مكان آخر سوى هذا."

قال لوك: "نحن على جزيرة صحراوية."

قالت إلينور: "لا أستطيع أن أتصور أي عالم سوا هيل هاوس".

قالت تيودورا: "ربما يجب علينا أن نعقد عُقدًا على عصا أو كومة من الحصى كل يوم كي نعرف كم يومًا قضيناه منقطعين."

"كم هو لطيف أن لا تأتينا أخبار من العالم الخارجي" اغترف لوك من كومة ضخمة من الكريمة المخفوقة "لا خطابات، لا جرائد. أي شيء يمكن أن يحدث."

"للأسف.." قال الدكتور ثم توقف "بعد إذنك" وأكمل: "أعني أن أقول إن الأخبار سوف تصلنا بالفعل



من الخارج وبالطبع هذا ليس مؤسفًا على الإطلاق. السيدة مونتاجو – زوجتي – ستصل يوم السبت."

سأل لوك: "ولكن متى هو يوم السبت؟ سيسعدني أن أرى السيدة مونتاجو بالطبع."

"بعد غدٍ".. فكر الدكتور وقال بعد دقيقة "نعم. أعتقد أن بعد غدٍ هو السبت. سنعرف أنه السبت بالتأكيد".. قالها لهم ببعض البريق "لأن السيدة مونتاجو ستكون هنا."

قالت ثيودورا: "أتمنى ألا تكون قد رفعت توقعاتها بأن تنفجر الأشياء في الليل. هيل هاوس لم يفِ بوعده الأصلي على ما أظن. أو ربما ستُستقبل السيدة مونتاجو بسيل من التجارب الروحانية."

قال الدكتور: "ستكون السيدة مونتاجو على أتم استعداد لاستقبالهم."

قالت ثيودورا لإلينور بينما تغادران طاولة الغداء تحت مراقبة السيدة دادلي: "لمَ يجب أن يكون كل شيء هادئًا إلى هذه الدرجة. أعتقد أن هذا الانتظار يحطم الأعصاب. يكاد يكون أسوأ من أن يحدث شيء."

قالت إلينور: "لسنا نحن من ننتظر. إنه المنزل. أعتقد أنه ينتظر اللحظة المناسبة."

"ربما ينتظر حتى نحس بأمان ثم سينقض علينا."



ارتعشت إلينور وبدأت في صعود السلم الضخم "أتساءل كم من الوقت يستطيع أن ينتظر. أكاد أشعر بإغراء أن أكتب رسالة لأختي. مثلاً: (أقضي وقتًا رائعًا هنا في منزل هيل هاوس المرح...)

"يجب عليكِ فعلاً أن تخططي لتأتي بعائلتك كاملة في الصيف القادم."

أكملت ثيودورا: "ننام تحت البطاطين كل ليلة..."

"الهواء منعشٌ جدًا بالذات في البهو العلوي..."

"نتجول طوال الوقت سعداء فقط أننا على قيد الحياة..."

"الحضارة تبدو بعيدة جدًا.."

ضحكت إلينور. كانت تسبق ثيودورا على السلم والبهو المظلم كان مضاءً قليلاً اليوم لأنهم تركوا باب غرفة الأطفال مفتوحًا وأتت الشمس عبر النوافذ التي تقع بجوار البرج ولمست شريط القياس وطباشير الدكتور على الأرض. انعكس الضوء من الزجاج الملون على السلم وصنع شظايا من الأزرق والبرتقالي على الخشب الداكن في البهو.

قالت "سأذهب لأنام. لم أكن بهذا القدر من الكسل طيلة حياتي."

قالت ثيودورا: "سأذهب لأستلقي على سريري وأحلم بالعربات". أصبح من عادة إلينور أن تتردد عند



باب غرفتها وتنظر حولها بسرعة قبل أن تدخل. قالت لنفسها إن ذلك بسبب أن الزرقة الشديدة للغرفة تستغرق برهة قبل أن تعتادها. عندما تدخل كانت تعبرُ الغرفة نحو الشباك الذي تجده دائمًا مغلقًا. كانت اليوم قد قطعت نصف المسافة داخل الغرفة قبل أن تسمع باب ثيودورا وهو يفتح بدوي وسمعت صيحة ثيودورا المكتومة "إلينورا". تحركت إلينور سريعًا وركضت إلى البهو ثم إلى باب ثيودورا لتتوقف مشدوهة، وهي تنظر متجاوزة ثيودورا وتهمس "ما الأمر؟"

ارتفع صوت ثيودورا بجنون: "ماذا يبدو؟ ماذا يبدو يا حمقاء؟"

ولن أسامحها على هذا أيضًا، فكرت إلينور بثبات بالرغم من حيرتها وقالت بتردد: "يبدو أنه دهان، إلا أنها".. ثم أدركت "الرائحة رهيبة".

قالت ثيودورا بحسم: "إنه دم. في كل مكان. ألا ترين؟"

فكرت بوعي ومع ذلك *فثيودورا تحدث قدرًا قليلاً من الضجة في الحقيقة. في إحدى المرات ستلقي إحدانا برأسها إلى الوراء وتعوي بالفعل وأتمنى ألا تكون هذه أنا لأني أحاول أن أحمي نفسي ضد ذلك. ستكون تيدورا هي من...* ثم سألت ببرودٍ "هل هذا هو المزيد من الكتابة على الحائط؟".. وسمعت ضحكة



تيودورا الوحشية وفكرت ربما *ستكون أنا في نهاية الأمر وأنا لا أستطيع تحمل أن أفعل ذلك. يجب أن أكون ثابتة* وأغمضت عينيها ووجدت نفسها تقول بلا صوت *أبقى وأسمع إن حبك الحقيقي قادمٌ وهو يستطيع أن يغني عاليًا وعميقًا. لا تستمر في الارتحال يا حلو، الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة*...

قالت تيودورا: "نعم بالفعل يا عزيزتي. لا أعرف كيف أتعامل مع هذا."

يعرف *كل ابن لرجل حكيم* قالت إلينور: "ابقي منطقية. نادي على لوك والدكتور."

"لماذا؟" سألت تيودورا، ألم تكن مجرد مفاجئة خالصة صغيرة لي؟ سرا لنا نحن الاثنان؟" ثم ابتعدت عن إلينور التي حاولت أن تمنعها من الدخول إلى عمق الغرفة، ركضت إلى الخزانة الكبيرة ودفعت الباب لينفتح وبدأت تصيح بجنون قائلة: "ملابسي، ملابسي."

استدارت إلينور بثبات وذهبت إلى قمة السلم وصاحت وهي تنحني من فوق الدرابزين "يا دكتور" لم يكن صوتها عاليًا وحاولت أن تبقيه ثابتًا ولكنها سمعت كتاب الدكتور يسقط على الأرض ثم خبطات قدميه وهو ولوك يركضون صاعدين السلم. راقبتهم وهي ترى وجوههم المتحفزة متسائلة عن عدم الارتياح الذي



يقبع قريبًا إلى هذه الدرجة تحت السطح لديهم جميعًا حتى إن كل منهم يبدو كأنه ينتظر صيحة استغاثة من أحد الآخرين. قالت لنفسها *الذكاء والتفهم لا يشكلون حماية على الإطلاق* وقالت وهم يصلون إلى قمة السلم "إنها تيو. أصابتها هيستيريا. شخص ما – شيء ما – وضع دهانًا أحمر في غرفتها وهي تبكي بسبب ملابسها" *لم يكن بالإمكان أن أصيغ الموضوع بشكلٍ أكثر عدلاً* واستدارت لتتبعهم. سألت نفسها *هل كان من الممكن أن أصيغ الموضوع بشكلٍ أكثر عدلاً؟* ووجدت نفسها تبتسم.

كانت تيودورا لا تزال تنتحب بجنونٍ في غرفتها وتركل باب الخزانة في فورة غضبٍ كان من الممكن أن تكون مضحكة إن لم تكن تمسك بقميصها الأصفر ملبد ومبقع. ملابسها الأخرى قد نزعت من الشماعات وألقيت مكرمشة ومبعثرة على أرض الخزانة وجميعهم ملطخون بالأحمر. سأل لوك الدكتور: "ما الأمر؟" وهزَّ الدكتور رأسه وهو يقول "أكاد أقسم إنه دم ولكن للحصول على هذا القدر من الدم على الشخص أن ..." وسكت فجأة.

وقفوا جميعًا صامتين لبرهة ونظروا إليه: "ساعدوا إلينور أن تعود إلى المنزل" المكتوبة بحروف حمراء كبيرة ومهزوزة على ورق الحائط فوق سرير تيودورا.



قالت إلينور لنفسها هذه *المرة أنا* مستعدة ولهم "عليكم أن تخرجوها من هنا. هاتوها إلى غرفتي."

قالت ثيودورا للدكتور: "لقد خربت ملابسي. هل ترى ملابسي؟"

كانت الرائحة شنيعة والكتابة على الحائط سالت وتبعثرت. كان هناك خط من النقط ممتد من الحائط إلى الخزانة – ربما هذا ما لفت نظر ثيودورا إلى ذلك الاتجاه – وبقعة ضخمة غير محددة على السجادة الخضراء. قالت إلينور: "إنه مقزز. من فضلكم ادخلوا ثيو إلى غرفتي."

اشترك لوك والدكتور في حثّ ثيودورا على العبور من الحمّام إلى غرفة إلينور وبينما هي تنظر إلى الدهان الأحمر قالت لنفسها ببساطة *لا بُدّ أن يكون* دهانًا. *ماذا يمكنه أن يكون غير ذلك؟* قالت بصوت عالٍ "ولكن لماذا؟".. وحدقت في الكتابة على الحائط. فكرت بكبرياء من *كتبَ اسمه بالدم، هل يمكن ألا أكون منطقية تمامًا* في *هذه اللحظة؟*

سألت: "هل هي بخير؟" مستديرة بينما الدكتور يعود إلى الغرفة.

"ستكون كذلك بعد بضع دقائق. سنحتاج أن ننقلها معك لفترة على ما أظن. لا أتصور أنها ستريد أن تنام هناك مرة أخرى" ابتسم الدكتور ابتسامة شاحبة



"ستستغرق بعض الوقت قبل أن تستطيع أن تفتح بابًا آخر بنفسها."

"أتصور أنها ستحتاج أن ترتدي ملابسي."

"أتصور أنها ستحتاج لذلك إن لم يكن لديك مانع" ونظر الدكتور إليها بفضول "تقلقك هذه الرسالة أقل من الأخرى؟"

قالت إلينور وهي تحاول أن تفهم مشاعرها "إنها سخيفة جدًّا". "أقف هنا وأنظر إليها وأتساءل لماذا. أعني أنها مثل نكتة لم تضحك. كان من المفترض أن أكون خائفة أكثر كثير من هذا على ما أظن وأنا لست خائفة لأنه ببساطة أكثر شناعة من أن يكون حقيقيًّا. وأتذكر ثيو وهي تضع طلاء الأظافر الأحمر..." ضحكت ونظر الدكتور إليها بحدة، ولكنها أكملت: "وكأنه من الممكن أن يكون طلاء، ألا ترى ذلك؟" قالت لنفسها *أنا لا أستطيع أن أتوقف عن الكلام. ماذا لدي ليفسر كل هذا؟* "ربما لا آخذ الأمر بجدية بعد منظر ثيو وهي تصرخ بسبب ملابسها المسكينة وتتهمني أني كتبت اسمي على الحائط. ربما قد بدأت أعتاد على أنها تلومني على كل شيء."

قال الدكتور: "لا أحد يلومك على أي شيء" وشعرت إلينور أنه قد وبخها.

قالت بحدة: "أتمنى أن تناسبها ملابسي."



دار الدكتور حول الغرفة ولمس بإصبع واحد وبخفة الحروف على الحائط وحرك قميص ثيودورا الأصفر بقدمه. قال بدون تركيز "لاحقًا. غدًا ربما" ورمق إلينور وابتسم "يمكن أن أرسم هذا رسمًا تفصيليًا."

قالت إلينور: "أستطيع أن أساعدك. إنه يشعرني بالغثيان ولكنه لا يخيفني."

قال الدكتور: "نعم. ولكن أعتقد أن علينا أن نغلق الغرفة الآن. لا نريد أن تتعثر ثيودورا هنا مرة أخرى. ثم لاحقًا وعلى راحتي أستطيع أن أدرسها وأيضًا.." قالها مع ومضة من التسلي "لن أحب أن تأتي السيدة دادلي إلى هنا لترتب."

راقبت إلينور في صمت بينما يوصد الباب المؤدي إلى البهو من داخل الغرفة ثم ذهبوا عبر الحمّام وأوصد الباب الموصل إلى غرفة ثيودورا الزرقاء. "سأتولى أمرَ نقل سريرٍ آخر" ثم أضاف ببعض الحرج: "لقد حافظتِ على ربطة جأشك يا إلينور. هذا يساعدني."

قالت مسرورة: "لقد قلت لك إنني متقززة ولكنه لا يخيفني".. واستدارت نحو ثيودورا. كانت ثيودورا تستلقي على سرير إلينور ورأت إلينور بينما معدتها تنقلب أن يدًا ثيودورا ملطخطتان بالأحمر وكان ينتقل إلى وسادة إلينور. "سيكون عليكِ أن ترتدي ملابسي حتى تحصلي على ملابس جديدة، أو حتى تغسل

الملابس الأخرى."

"تغسل؟" لفت ثيودورا وهي تتلوى على السرير وضغطت يديها المتسختين على عينيها. "تغسل؟"

قالت إلينور "بحق السماء دعيني أنظفك" فكرت دون محاولة إيجاد سبب أنها لم تشعر بمثل هذه الكراهية الخارجة عن السيطرة تجاه أي شخص من قبل ودخلت إلى الحمّام حيث بلت منشفة وعادت لدعك يدي ووجه ثيودورا بخشونة "أنت قذرة بهذا الشيء" وهي تشعر أنها كارهة للمس ثيودورا.

فجأة ابتسمت لها ثيودورا "لا أظن حقًّا أنك فعلتِ ذلك" فاستدارت إلينور لترى إن لوك كان خلفها ينظر إليهم.

قالت ثيودورا له: "كم أنا حمقاء" فضحك لوك.

قال: "ستكونين مبهجة في كنزة نيل الحمراء."

فكرت إلينور *إنها شريرة، ومتوحشة وملوثة وقذرة.* وأخذت المنشفة إلى الحمّام وتركتها تنقع في ماء بارد. عندما عادت كان لوك يقول "سرير آخر هنا. ستتقاسمان هذه الغرفة يا بنات من الآن".. قالت ثيودورا: "نتقاسم الغرفة ونتقاسم ملابسنا. سنكون وكأننا توأمتان."

"بنات عم" قالت إلينور ولكن لم يسمعها أحد.

***



قال لوك وهو يدير البراندي في كأسه "لقد كان تقليدًا يُنفَّذ بصرامة. أن يقوم الجلاد في الإعدام العلني وقبل تقطيع الأوصال برسم حدود ضربات سكينه بالطباشير على بطن ضحيته – خوفًا من الانزلاق كما تعرف."

قالت إلينور لنفسها وهي تنظر إلى الأسفل نحو رأس تيودورا على الكرسي بجوارها. *أود أن أحطمها بالصخور.*

"تحسين متقن، متقن. لأنه بالطبع ستكون ضربات الطباشير لا تطاق تقريبًا، مبرحة، لو كان الضحية حساسًا للدغدغة."

قالت إلينور لنفسها *أنا أكرهها، إنها تشعرني بالغثيان. إنها مستحمة ونظيفة وترتدي كنزتي الحمراء.*

"ولكن عندما كان الموت عن طريق التعليق بالسلاسل، كان الجلاد..."

"نيل؟" نظرت تيودورا إلى الأعلى وإبتسمت: "أنا آسفة حقًّا على فكرة."

أود أن أشاهدها وهي تموت قالت إلينور لنفسها وردت الابتسامة ثم قالت: "لا تكوني سخيفة."

"بين الصوفيين هناك تعاليم تقول إن الكون لم يُخلَق أبدًا وبالتالي لا يمكن تدميره" أعلن لوك بجدية "لقد قضيت بعض فترة الظهيرة أقلب في مكتبتنا

الصغيرة."

تنهد الدكتور وقال للوك: "لا شطرنج اليوم على ما أظن" وهزّ لوك رأسه. قال الدكتور "لقد كان يومًا مرهقًا" وأظن أنكم يا سيدات يجب أن تذهبن للنوم مبكرًا".

قالت تيودورا بحسم: "ليس قبل أن يطفئني البراندي تمامًا."

قال الدكتور: "الخوف هو التخلي عن المنطق، التخلي الإرادي عن الأنماط المعقولة. نستسلم له أو نحاربه ولكن لا يمكن أن نقابله في منتصف الطريق."

قالت إلينور وهي تشعر أن عليها الاعتذار لهم جميعًا: "كنت أتساءل قبل قليل، كنت أظن أني هادئة نوعًا ما ومع ذلك فأنا الآن أعرف أني خائفة جدًا" عبست حائرة وانتظروا أن تكمل "عندما أكون خائفة أستطيع أن أرى الجانب العقلاني الجميل غير الخائف من العالم. أستطيع أن أرى الكراسي والطاولات والنوافذ وهي تبقى على حالها وليست متأثرة إطلاقًا وأستطيع أن أرى أشياء مثل الملمس المغزول بحرص للسجادة دون أن أتحرك. ولكن عندما أكون خائفًا لا أكون موجودة في أي علاقة مع هذه الأشياء. ربما لأن الأشياء ليست خائفة."

قال الدكتور ببطء: "أعتقد أننا فقط خائفون من

أنفسنا."

"لا" قال لوك "من أن نرى أنفسنا بوضوح ودون قناع."

قالت ثيودورا: "من معرفة ما نريده حقًّا". ضغطت خدها على يد إلينور فنزعت إلينور يدها سريعًا كارهة للمستها.

قال إلينور: "أنا دائمًا خائفة من أن أكون وحدي" *هل اتحدث بهذا الشكل؟ هل أقول شيئًا سأندم عليه بمرارة غدًا؟ هل أرسخ نفسي كمذنبة؟*"هذه الحروف كتبت اسمي ولا يعرف أي منكم شعور هذا الأمر – إنه مألوف جدًّا".. وأشارت لهم إشارة تكاد تكون استجداء. قالت "حاولوا أن تفهموا أنه اسمي العزيز وهو مِلكي وشيء ما يستخدمه وكتبه ويناديني به واسمي أنا..." وتوقفت وقالت وهي تنظر من أحدهم إلى الآخر وحتى نحو وجه ثيودورا التي تعلّق نظرها بها. "انظروا. هناك واحدة مني فقط. أنا أكره أن أرى نفسي أذوب وأنزلق وأنفصل حتى أعيش في نصف ذهني وأرى النصف الآخر منه بلا حيلة وثائرًا ومندفعًا ولا أستطيع أن أوقفه ولكنني أعرف أني سأجرح ومع ذلك فالوقت طويلٌ جدًّا وحتى الثانية تمتد وتمتد وأنا سأتحمل أيًّا من ذلك لو فقط استسلمت..."

"استسلام؟" قال الدكتور بحدة وحدقت إلينور.

"استسلام؟" كرر لوك.

"لا أعرف" قالت إلينور وهي مشوشة. وقالت لنفسها"*كنت فقط أتحدث.. ما الذي كنت أقوله؟*

قال لوك للدكتور: "لقد فعلت هذا من قبل."

قال الدكتور بجدية: "أعرف" وشعرت إلينور أنهم جميعًا ينظرون إليها فقالت: "أنا آسفة، هل جعلت نفسي أبدو حمقاء؟ هذا غالبًا لأني خائفة."

قال الدكتور وهو لا يزال جادًا: "على الإطلاق. اشربي البراندي."

"براندي؟" نظرت إلينور إلى الأسفل مدركة أنها تحمل كأس البراندي وسألتهم: "ما الذي كنت أقوله؟"

ضحكت ثيودورا: "اشربي. أنت تحتاجينه يا نيل."

رشفت إلينور في طاعة من البراندي شاعرة بوضوح بالسخونة الحادة ثم قالت للدكتور: "من الطريقة التي تنظرون إليّ بها لا بُدّ أني قلت شيئًا سخيفًا."

ضحك الدكتور وقال: "توقفي عن محاولة أن تكوني مركز الاهتمام."

قال لوك بهدوءٍ: "خيلاء."

قالت ثيودورا: "لا بُدّ أن تكون في مركز الضوء" وابتسموا جميعًا بود وهم ينظرون إلى إلينور.

***



جلست إلينور وثيودورا في سريران متجاوران ومدّتا يديهما لتمسكا ببعضهما البعض بقوة. كانت الغرفة باردة بشراسة وظلامها ثقيلاً. من الغرفة المجاورة والتي كانت حتى ذلك الصباح غرفة ثيودورا أتى صوت همهمة منخفضة أكثر مما يسمح بفهم الكلمات وثابتًا بشكل لا يسمح بعدم التصديق. أمسكت كُلٌّ منهما بيد الأخرى بقوة حتى إنهما تشعران بعظام بعضهما البعض وأنصتتا إلى الصوت الثابت المستمر، يرتفع أحيانًا ليؤكد على كل كلمة همهم بها، كان هناك ضحكة صغيرة، الصوت الضئيل لضحكة تغرغر اخترقت الهمهمة وارتفعت وهو يضحك متصاعدًا ثم انكسرت فجأة في شهقة مؤلمة صغيرة واستمر الصوت.

ارتخت قبضة ثيودورا وشدت بينما إلينور التي هدهدتها الأصوات لبرهة انتبهت ونظرت نحو المكان الذي يفترض أن ثيودورا فيه في الظلام وفكرت بصراخ داخلي *لمَ كل هذا الظلام؟ لمَ كل هذا الظلام* إلتفت وتمسكت بيد ثيودورا بيديها الاثنتين وحاولت أن تتحدث ولكنها لم تقدر فتمسكت لدقيقة دون بصر ومجمدة وهي تحاول أن تثبت ذهنها وتحاول أن تجدُ المنطق مرة أخرى. قالت لنفسها *لقد تركنا الضوء مضاءً فلمَ كل هذا الظلام*. حاولت أن تهمس، *ثيودورا*، ولكن



فمها لم يتحرك. حاولت أن تسأل ثيودورا لمَ كل هذا الظلام. ولكن الصوت استمر في الهمهمة المنخفضة والثابتة، صوت سائل يقرقر. فكرت أنها قد تكون قادرة على تمييز الكلام إن استلقت ثابتة تمامًا، إن استلقت ثابتة تمامًا وأنصتت، وأنصتت وسمعت الصوت يستمر ويستمر، لا يتوقف أبدًا وتعلقت بيأس في يد ثيودورا وشعرت بثقل يرد على يدها. ثم أتت الضحكة المغرغرة مرة أخرى والصوت المتصاعد المجنون يغرق الصوت ثم فجأة صمت تام. أخذت إلينور نفَسًا وتساءلت إن كانت تقدر الآن على الكلام ثم سمعت صيحة حزن خافتة كسرت قلبها، صيحة صغيرة حزينة بشكل أبدي، أنين عذب لحزن وحشي. قالت لنفسها بعدم تصديق *إنه طفل، هناك طفل يبكي في مكانٍ ما* ثم وعند تلك الفكرة أتى صوت وحشي ثاقب لم تسمع مثله من قبل ولكنها كانت تعرف أنها قد سمعته في كوابيسها. صرخ الصوت "ابتعدي! ابتعدي، ابتعدي، لا تؤذِني" وبعد بعض النحيب صرخ "من فضلك لا تؤذِني. أرجوكِ اسمحي لي أن أعود إلى المنزل" ثم البكاء الحزين مرة أخرى. فكرت إلينور بوضوح *أنا لا أتحمل هذا. إنه وحشي وقاسٍ، إنهم يأذون طفل وأنا لن أدع أي شخص يؤذي طفلاً* واستمرت الهمهمة منخفضة الصوت وثابتة مستمرة مرة تلو الأخرى تلو



الأخرى والصوت يعلو قليلاً وينخفض قليلاً ويستمر.

قالت إلينور لنفسها الآن وهي تستوعب أنها تنام على جانبها على السرير في الظلام الدامس وهي ممسكة بيد ثيودورا بيديها الاثنتين بقوة حتى إنها تستطيع أن تشعر بعظام يد ثيودورا *الآن سأتحمل هذا. إنهم يفكرون في إخافتي. حسنًا لقد نجحوا. أنا خائفة ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك، أنا إنسان، أنا إنسان يمشي ويفكر ويضحك وسأتحمل الكثير من هذا المنزل المجنون القذر ولكني لن أوافق على إيذاء طفلٍ، لا، لن اوافق. والله لأجعل فمي ينفتح الآن وسأصرخ، وسأصرخ وسأصرخ*، صرخت "توقفوا". صارت الأضواء مضاءة كما تركوها وكانت هي وثيودورا تجلسان في السرير مذهولتين ومشعثتين.

كانت ثيودورا تقول: "ماذا؟ ماذا يا نيل؟ ماذا؟"

قالت إلينور وهي تقفز من السرير وتعبر الغرفة لتقف مرتعدة في الركن: "يا إلهي، يا إلهي.. يَد مَن التي كنت أمسكها؟"

(6)

فكرت إلينور بجدية *أنا أتعرف على طَرقات القلب* ثم تساءلت ما الذي يمكن أن تقصده بالتفكير في هذا الشيء. كان الوقت بعد الظهيرة وقد جلست في ضوء الشمس على درجات البيت الصيفي بجوار لوك. قالت لنفسها هذه هي *الممرات الصامتة للقلب*. كانت تعرف أنها شاحبة ولا تزال مهزوزة والدوائر الداكنة تحت عينيها ولكن الشمس كانت دافئة والأوراق تتحرك بنعومة فوقهم ولوك بجوارها يستلقي بكسل عند السلالم. "لوك" سألت متأنية لخوفها من السخرية "لماذا يريد الناس أن يتحدثوا مع بعضهم البعض؟ أعني ما هي الأشياء التي يريد الناس دائمًا أن يعرفوها عن الأشخاص الآخرين؟"

ضحك: "ما الذي تريدين أن تعرفيه عني على سبيل المثال؟"

قالت لنفسها ولكن *لماذا لا يسأل ما الذي يريد أن يعرفه هو عني. إنه مغرور جدًا* -وضحكت بدورها وقالت: "ما الذي يمكنني أن أعرفه عنك غير ما أراه؟" أراه أقل كلمة كان بإمكانها اختيارها ولكنها أكثرهم أمانًا. ربما كان ما تريد أن تطلبه منه هو *قل لي شيئًا لن يعرفه سواي أو ما الذي ستعطيه لي لأتذكرك به؟* أو لم



امتلك أبدًا حتى أقل الأشياء أهمية هل تساعدني؟ ثم تساءلت إن كانت حمقاء أو جريئة وأدهشتها أفكارها ولكنه حدّق في ورقة شجر يمسكها بين يديه وعبس قليلاً كشخص كرس نفسه بالكامل لمشكلة تستهلكه قالت لنفسها إنه يحاول أن يصيغ كل شيء كي يترك افضل انطباع ممكن وأنا سأعرف مكانتي عنده بكيفية رده عليّ وكم هو متلهف على أن يظهر أمامي بشكل معين؟ هل يعتقد أني سأرضى ببعض الغموض أم سيبذل مجهودًا كي يظهر مميزًا؟ هل سيكون نبيلاً؟ سيكون ذلك مهينًا لأنه سيظهر أنه يعرف أن النبل يسحرني. هل سيكون غامضًا؟ غاضبًا؟ وكيف سأستقبل ذلك الذي أستشف بالفعل أنه سيكون سرًّا يخصني به حتى وإن لم يكن حقيقيًا؟ قالت لنفسها شرطًا أن يقدرني لوك أو على الأقل لا يجعلني أرى الفرق. دعه يكون حكيمًا أو دعه يكون أعمى. لا تدعني اتمنى تمنيًا محددًا، لا تدعني أعرف بالتأكيد كيف يراني.

ثم نظر إليها بسرعة وابتسم الابتسامة التي كانت قد بدأت تعرف أنها ابتسامته حين يحط من قدر نفسها تساءلت هل تعرفه تيودورا، وكانت الفكرة غير مرحّب بها، هل تعرفه تيودورا بهذا القدر؟

قال: "لم تكن لدي أم أبدًا". كانت صدمتها كبيرة هل



هذا هو كل ما يظنه عني؟ هذا تقديره لما أريد أن اعرفه عنه؟ هل سأعظم من هذا لأحوله إلى ثقة تجعلني جديرة بثقات أعظم؟ هل أتنهد؟ أهمهم؟ امشي بعيدًا؟ قال "لم يحبني أحدٌ لأني أنتمي له، أتصور أنك تستطيعين فهم ذلك؟"

قالت لنفسها لا، لن تتصيدني بهذه الطريقة الرخيصة. أنا لا أفهم الكلمات ولن أقبلها مقابل مشاعري. هذا الرجل ببغاء. سأقول له إني لن أفهم أبدًا مثل هذا الشيء، هذا الرثاء الثمل للنفس لا يتحرك مباشرة نحو قلبي. لن أجعل من نفسي بلهاء بتشجيعه ان يسخر منّي. قالت "نعم، أفهم" فقال "تصورت أنك ستفهمين" وأرادت بصدق أن تصفعه على وجهه. قال "أظن أنك شخصٌ جيدٌ جدًّا يا نيل" ثم أفسد الأمر بإضافة "قلبك دافئ وصريحة. لاحقًا عندما تعودين إلى المنزل..." تلاشى صوته ففكرت إما أنه سيبدأ في حكي شيء شديد الأهمية لي أو أنه سيقتل الوقت حتى يمكن إنهاء هذا الحوار بأناقة. لن يتحدث بهذه الطريقة دون سبب أنه لا يكشف عن نفسه بإرادته. هل يظن أن لفتات الود الإنسانية ستغريني بأن أرمي نفسي بجنون عليه؟ هل يخاف ألا أتصرف كسيدة مهذبة؟ ما الذي يعرفه عني وعن طريقة تفكيري ومشاعري. هل يشعر بالأسى من أجلي؟ قالت: "الرحلات تنتهي بلقاء

الأحبة". قال: "نعم. لم تكن لي أم أبدًا كما قلت لك. والآن أجد أن لدى كل شخص آخر شيئًا افتقدتُه أنا". ابتسم لها وقال بأسى: "أنا أناني تمامًا، ودائمًا ما أتمنى أن يقول لي شخص إني أحسن التصرف، أن تجعل أحدهم من نفسها مسؤولة عني وتجعلني أنضج."

قالت لنفسها بدهشة *إنه أناني تمامًا، الرجل الوحيد الذي جلست وتحدثت معه وحدي وها أنا أشعر بالملل. إنه ببساطة ليس مثيرًا للاهتمام كثيرًا*. سألته: "لمَ لا تنضج وحدك؟" وتساءلت *كم شخصًا – كم امرأة – سألته هذا السؤال بالفعل.*

"*أنتِ ذكية" وكم مرة أجب بهذه الطريقة؟*

فكرت باستمتاع أن هذا الحوار عفوي بشكل كبير وقالت برقة: "لا بُدّ أنك وحيد جدًّا."

ولنفسها قالت *كل ما أريده هو أن أشعر بالتقدير وها أنا أقول كلامًا فارغًا مع رجل أناني.*

لمس يدها وابتسم مرة أخرى وقال لها: "لقد كنت محظوظة جدًّا. كان لك أم."

***

قال لوك: "وجدت هذا في المكتبة. أقسم إني وجدته في المكتبة."

قال الدكتور: "مذهل".

قال لوك: "انظر" ووضع الكتاب الضخم على الطاولة



وفتح صفحة العنوان. "لقد صنعه بنفسه.. انظروا، العنوان مكتوب بالحبر: ذكريات إلى صوفيا آن لستر كراين، إرث من أجل تعليمها واستنارتها خلال حياتها من أبيها المحب والمخلص، هيو ديسموند لستر كراين، الحادي والعشرون من يوليو 1881".

احتشدوا حول الطاولة، تيودورا وإلينور والدكتور بينما لوك يرفع الصفحة الأولى من الكتاب الضخم ويقلبها. قال لوك "كما ترون، على إبنته الصغيرة أن تتعلم التواضع. لقد قص عددا من الكتب القديمة الراقية ليصنع لها هذا الكتاب المجمع لأني على ما يبدو قد تعرفت على عدة صور وجميعهم ملصقين فيه"

قال الدكتور بحزن "كِبر الإنجاز الإنساني. فكروا في الكتب التي قطع هيو كراين أوصالها ليصنع هذا. والأن ها هي أحدى نقوش جويا، شيء شنيع كي تتأمل فيه فتاة صغيرة"

قال لوك "لقد كتب تحتها، تحت هذه الصورة القبيحة "بجلي أباكي وأمكي يا أبنتي، مؤلفين وجودك، والذين ألقيت عليهم مسؤولية تقيلة وهي أن يقودوا إبنتهم في براءة وإستقامة على الصراط المخيف نحو النعيم الأبدي ويوصلونها أخيرا إلى ربها روحا تقية وورعة، تأملي يا إبنتي في فرحة السماء وأرواح المخلوقات الصغيرة ترفرف إلى الأعلى منطلقة قبل أن



تتعلم أي شيء عن الخطيئة أو الجحود وتجعل واجبها المستمر أن تبقى نقية كهؤلاء"

"الصغيرة المسكينة" قالت إلينور وشهقت ولوك يدير الصفحة. كان درس هيو كراين الأخلاقي الثاني مستمدا من لوحة ملونة لجحر ثعبان وتتلوى وتنثني ثعابين براقة الألوان حول الصفحة وفوق الرسالة التي طبعت بحرص وحددت باللون الذهبي "اللعنة الأبدية هي حظ الإنسانية فلا الدموع ولا التعويض يمكن أن يمحو ميرات الإنسان من الخطيئة. يا إبنتي، إبتعدي عن هذا العالم وشهواته ولا تدعي عدم الإمتنان يفسدك. يا إبنتي إحفظي نفسك"

"بعد ذلك يأتي الجحيم" قال لوك "لا تنظروا إن كنتم تصابونبالغثيان بسهولة"

قالت إلينور "أظن أني سأتجاوز الجحيم ولكن إقرأه لي"

قال الدكتور "هذه حكمة منك. الرسمة من فوكس، أحد أشكال القتل التي طالما رأيت أنها أقل جاذبية. ولكن من يستطيع أن يفهم أساليب الشهداء؟"

قال لوك: "ولكن انظر إلى هذه. لقد حرق ركنًا من الصفحة وها هو ما يقوله "يا ابنتي ألا تسمعين ولو لبرهة أصوات المعاناة والصراخ الصياح الرهيب والندم لتلك الأرواح المسكينة التي حكم عليها بالنار الأبدية!



هل يمكن لعينيك أن تتحرقا لبرهة بالبريق الأحمر للتيه دائم الاحتراق! يا خسارة، كائنات مسكينة في ألمٍ لا ينتهي! يا ابنتي إنَّ أباكِ لمس في هذه اللحظة ركن صفحته بشمعته ورأى الورق الضعيف وهو ينكمش ويتلوى في اللهب. اعتبري يا ابنتي بأن حرارة هذه الشمعة هي بالنسبة للنار الأزلية للجحيم مثل ذرّة رمل بالنسبة للصحراء الممتدة وكما تحترق هذه الورقة في اللهب الضئيل ستحترق روحك للأبد في نيران تفوقها ألف مرة."

قالت تيودورا: "أراهن أنه قرأها لها كل ليلة قبل أن تنام."

"انتظري" قال لوك "لم تري الجنة بعد – حتى أنت تستطيعين أن تنظري إلى هذه يا نيل. إنها من بليك وصارمة بعض الشيء على ما أظن ولكنها بالطبع أفضل من الجحيم. اسمعي.. "مقدس، مقدس، مقدس! في الضوء الصافي للجنة تمدحه الملائكة ويمدحون بعضهم للأزل. يا ابنتي هنا سأبحث عنك""

قال الدكتور: "يا له من عمل يحركه الحب. ساعات من الوقت فقط لتخطيطه ورسم الحروف شديد الدقة والتهذيب.."

قال لوك: "والآن مع الخطايا السبع الكبرى. وأظن أن الفتى العجوز قد رسمهم بنفسه".



قالت تيودورا: "لقد تفانى في الشره. لا أظن أني سأجوع مرة أخرى أبدًا."

قال لها لوك: "انتظري حتى نصل إلى الشهوة. تفوق الرجل العجوز على نفسه."

قالت تيودورا: "لا أظن أني أريد النظر إلى أيٍّ منها. سأجلس هنا مع نيل وإن صادفتك أي تعاليم أخلاقية تنويرية تظن أنها ستفيدني فاقرأهم لي بصوت عالٍ."

"ها هي الشهوة" قال لوك. "هل استجابت أي امرأة لطريقته في الغزل؟"

قال الدكتور: "يا إله السماوات، يا إله السماوات."

قال لوك: "لا بُدَّ أنه رسمها بنفسه."

"من أجل طفلة؟" كان الدكتور غاضبًا.

"إنه دفتر قصاصات خاص بها. لاحظ الكبرياء، هذه صورة نيل هنا."

"ماذا؟" قالت إلينور وهي تهم بالوقوف.

"يمازحك" قال الدكتور ليهدئها "لا تأتِ وتنظري يا عزيزتي. إنه يمازحك."

"والآن الكسل".. قال لوك

"الحسد" قال الدكتور "كيف كانت الطفلة المسكينة تجرؤ أن تتجاوز..."

"الصفحة الأخيرة هي الأجمل على ما أظن. يا سيدات هذه هي دماء هيو كراين. نيل هل تريدين أن

تري دماء هيو كراين؟"

"لا شكرًا."

"ثيو؟ لا؟ على كل حال فأنا أصر من أجل ضمائركم أن تقرأوا ما يقوله هيو كراين في ختام هذا الكتاب "يا ابنتي، إن العهود المقدسة توقع بالدم وها أنا قد أخذت دماء من رصغي، السائل الحيوي الذي ألزمك به. عيشي باستقامة، كوني متواضعة وأمني بمخلصك وبي أنا والدك وأنا أقسم لك إننا سنجتمع مع في الحياة الآخرة في نعيم أبدي. أقبِلي هذه التعاليم من أبيك المخلص الذي صنع هذا الكتاب بتواضع روحه، لعل مجهودي المتواضع يفي بالغرض منه جيدًا ويحفظ طفلتي من سقطات هذا العالم ويوصلها بسلام إلى ذراعي والدها في الملكوت" ووقعه "أبوكِ المحب دائمًا في هذا العالم وفي العالم الذي يليه، مؤلف وجودك وحارس فضيلتك، بأكثر أشكال المحبة تواضعًا، هيو كراين".

ارتعدت تيودورا وقالت: "لا بُدّ أنه استمتع به كثيرًا. لقد وقع اسمه بدمه. أستطيع أن أراه وهو يضحك حتى تسقط رأسه."

قال الدكتور: "هذا ليس صحيًا. ليس عملاً صحيًا أبدًا بالنسبة لرجل". قالت إلينور "ولكن لا بُدّ أنها كانت صغيرة جدًا حين ترك والدها المنزل. أتساءل إن كان قد قرأه لها".



قالت تيودورا: "أنا متأكدة أنه قد فعل ذلك وهو ينحني فوق المهد ويبصق الكلمات كي تتجذر في عقلها الصغير. هيو كراين، لقد كنت رجلا قذرًا وإن كنت لا تزال تستطيع سماعي أيًا كان مكانك فأحب أن أقول لك في وجهك إني أتمنى أن تقضي الأبدية في هذه الصورة الشنيعة السيئة ولا تتوقف عن الاحتراق للحظة". دارت بإيماءة تهكمية حول الغرفة وللحظة كانوا جميعًا صامتين وهم يتذكرون كما لو كانوا ينتظرون إجابة وعندها وقع فحم المدفأة محدِثًا دويًا فنظر الدكتور إلى ساعته ووقف لوك.

قال الدكتور بسعادة: "الشمس بدأت في الغياب"

***

تكورت ثيودورا بجوار النار ونظرت بشرٍّ إلى إلينور. في الطرف الآخر من الغرفة تحركت أحجار الشطرنج بهدوء وهي تحتك في الطاولة مصدرة أصواتًا خافتة وتحدثت ثيودورا برقة لتؤلمها "هل ستستقبلينني في شقتك الصغيرة يا نيل وتقدمني لي الشراب من كوبك ذي النجوم؟" نظرت إلينور إلى النار دون أن ترد. قالت لنفسها *لقد كنت سخيفة جدًا. كنت حمقاء.*

"هل هناك مكان لاثنين؟ هل سيأتي هو إذا وجهتِ له دعوة؟" فكرت إلينور أن لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من ذلك. "ربما كان يحن إلى منزل صغير.. شيء أصغر



من هيل هاوس بالطبع، ربما أتى إلى المنزل معك."

حمقاء، حمقاء مثيرة للسخرية.

"ستائرك البيضاء – الأسود الحجرية الصغيرة –"

خفضت إلينور عينيها نحوها بنظرة تكاد تكون رقيقة وقالت "ولكن كان عليّ أن أجيء" ووقفت مستديرة لترحل دون أن تنظر. لم تسمع الأصوات المشدوهة من ورائها ولم تنظر إلى أين أو كيف تتجه. تخبطت بشكلٍ ما نحو الباب الأمامي وخرجت إلى الليل الدافئ الناعم وقالت للعالم بالخارج "كان لا بُدَّ أن أجيء."

الخوف والشعور بالذنب أخوات. لحقت بها تيودورا إلى الحديقة. غادروا هيل هاوس صامتتين، غاضبتين، مجروحتين، متجاورتين تمشيان معًا كلٌّ منهما تشعر بالأسف من أجل الأخرى. الشخص الغاضب أو الذي يضحك أو المرتعب أو الغيور سيذهب إلى تصرفات متطرفة مستحيلة في أي وقت آخر. لم تفكر إلينور ولا تيودورا لدقيقة في أنه من التهور أن تمشي بعيدًا عن هيل هاوس بعد حلول الظلام. كانت كل منهما تركز على يأسها حتى أصبح الهروب إلى الظلام ضروريًا وتقوقعتا في هذا الرداء الضيق الضعيف والمستحيل الذي هو الغضب. خطوتا معًا كل منهما يؤلمها انتباهها للأخرى وكل منهما مصممة على أن تكون آخر من



يتكلم.

في النهاية تكلمت إلينور أولاً. أصابت صخرة قدمها وحاول كبرياؤها أن يمنعها من أن تلاحظ ولكن بعد دقيقة من وجع قدمها قالت بصوت مكبوح من محاولة أن يكون خاليًا من التعبير: "لا أستطيع أن تصور لماذا تظننين أن لكِ أيَّ حقٍّ في التدخل في شؤوني" كانت ألفاظها رسمية كي تمنع سيلاً من الاتهامات المضادة أو التأنيب غير المستحق (هم ليسوا غرباء أليس كذلك؟ بنات عم؟) "أنا متأكدة أن أيَّ شيءٍ أفعله لا يهمك" قالت تيودورا باقتضاب "هذا حقيقي. لا شيء تفعلينه يهمني إطلاقًا."

قالت إلينور لنفسها *نحن نمشي على جانبي السياج ولكن أنا أيضًا لدي الحق في أن أعيش*، وقد ضيعت *ساعة مع لوك في البيت الصيفي في محاولة إثبات ذلك*. قالت: "لقد أصبت قدمي".

قالت تيودورا "انا آسفة" بدا صوتها وكأنها تشعر بصدق بالحزن. "أنت تعرفين كم هو فظ" وترددت ثم قالت أخيرًا "فاجر" بقليل من الاستمتاع.

"أنا متأكدة أن ما هو عليه لا يعنيني" ثم، ولأنهما كانتا سيدتين تتشاجران "كما لو أن الأمر يعنيك أساسًا."

قالت تيودورا: "لا يجب أن ندعه يفلت بفعلته."



قالت إلينور برقة: "يفلت بماذا؟"

قالت ثيودورا: "أنت تجعلين من نفسك أضحوكة."

"وافترضي أني لا أفعل، ستعارضين بشدة إن ظهر أنك مخطئة هذه المرة أليس كذلك؟"

كان صوت ثيودورا منهكًا وساخرًا: "إن كنت مخطئة سأباركك من كل قلبي. مع أنك حمقاء."

"لا تقدرين أن تقولي أي شيء آخر."

كانتا تتحركان عبر الطريق المتجه إلى الجدول. في الظلام شعرت أقدامهما بأنهما تنحدران إلى الأسفل وكانت كل منهما تتهم الأخرى بينها وبين نفسها وبإصرار أنها تتعمد أن تسلك طريقًا مشوهًا سابقًا معًا في سعادة.

قالت إلينور بنبرة عاقلة: "على كل حال الأمر لا يعني لك أي شيء مهما حدث. لماذا يعنيكِ إن كنت أجعل من نفسي حمقاء."

سكتت ثيودورا لدقيقة وهي تمشي في الظلام وأصبحت إلينور فجأة متأكدة بشكل عبثي أن ثيودورا قد مدّت لها يدا دون أن ترى. قالت إلينور بغرابة "ثيو، أنا لست ماهرة في الكلام مع الناس وقول الأشياء."

ضحكت ثيودورا وطالبتها بالرد: "ما الذي تفعلينه بمهارة؟ الهروب؟"

لم يكن هناك أي شيء لا يمكن التراجع عنه قد قيل



حتى الآن، ولكن لم يبقَ بينهما سوى أقل هامش من الأمان. كانت كل منهما تتحرك بدقة على أطراف السؤال المفتوح وعندما ينطق مثل هذه السؤال – مثل "هل تحبينني؟" – لا يمكن أبدًا أن يرد عليه أو ينسى.

مشيتا ببطءٍ تتأملان وتتساءلان وينحدر الطريق من تحت أقدامهما وهما يتبعانه ماشيتين متجاورتين بأكبر قدرٍ ممكنٍ من الحميمية وقد انقضت المخادعة والتردد فلا يمكن لهما إلا أن تنتظر ان الحسم بسلبية. كانت كل منهما تعرف ما تفكر فيه أو تريد أن تقوله الأخرى حتى النفس. كادت كُلُّ واحدة منهما أن تبكي من أجل الأخرى. أدركتا في نفس اللحظة التغيير في الطريق وكانت كل واحدة منهما تدرك معرفة الأخرى به. أمسكت تيودورا بيد إلينور خائفة من أن تتوقف، تحركتا ببطءٍ قريبتين من بعضهما البعض وأمامهما صار الطريق أوسع وأكثر سوادًا والتواء. التقطت إلينور أنفاسها وضغطت يد تيودورا محذرة إياها كي تبقى صامتة. على جانبيهما كانت الأشجار ساكنة وقد تخلت عن اللون القاتم الذي تملكته فشحبت وأصبحت شفافة ووقفت بيضاء كالشبح مقابل السماء السوداء. كان العشب بلا لون والطريق واسعًا وأسود. لم يكن هناك أي شيء آخر. تكتكت أسنان إلينور وكاد غثيان الخوف يجبرها أن تنحني. ارتعشت ذراعها تحت يد تيودورا



التي تمسك بها والتي أصبحت الآن قبضة وشعرت بأن كل خطوة بطيئة هي فعل متعمّد، إصرار محدد مجنون على وضع قدمٍ على الأرض بعد الأخرى كالاختيار الوحيد العاقل. أوجعتها عيناها من الدموع مقابل الظلام الصارخ للطريق والبياض المرتعش للأشجار وفكرت في صورة واضحة وذكية لاحتراق الكلمات التي تدور في ذهنها وقالت لنفسها *أنا الآن خائفة* .

استمرتا في الحركة والطريق ينفرد أمامهما والأشجار البيضاء لا تتغير على الجانبين وفوقهما تقبع السماء السوداء سميكة، كانت أقدامهما تتلألأ بالأبيض حيث تلمسان الطريق. كانت يدا ثيودورا باهتتين ومنيرتين. أمامهما التف الطريق بعيدًا عن البصر واستمرتا في المشي ببطء تجران أقدامهما بشكل محدد لأن ذلك كان الفعل الجسماني الوحيد الممكن بالنسبة لهم، الشيء الوحيد الباقي الذي يمنعهم من الغوص في السواد الشنيع والبياض واللمعة المنيرة الشريرة. قالت إلينور لنفسها *أنا الآن خائفة حقًّا* . كانت إلينور تفكر بكلمات من نار. كانت لا تزال تستطيع أن تشعر بيد ثيودورا على ذراعها عن بُعدٍ، ولكن ثيودورا كانت بعيدة، محبوسة. كان البرد مريرًا ولا يوجد دفء آدمي في الجوار. قالت إلينور لنفسها *أنا الآن خائفة حقًّا* ووضعت قدمًا أمام الأخرى، ترتعش وهما تلمسان



الأرض، ترتعد بالبرد غير المنطقي.

انفرد الطريق. ربما كان يأخذهما بإرادته إلى مكان محدد بما أنهما لم تكونا قادرتين على أن تخطوا خارجه نحو الفناء الأبيض الذي يمثله العشب على الجانبين.إستدار الطريق، أسود ولامع وهما تبعتاه. شدت يد تيودورا والتقطت إلينور أنفاسها وهي تطلق نحيبًا مختصرًا – هل تحرك شيء ما أمامهما، شيء أكثر بياضًا من بياض الأشجار، يحثهما نحوه؟ يحثهما ويتلاشى داخل الأشجار لينظر؟ هل كانت هناك حركة بجوارهما، لا تُحس في الليل الخالي من الأصوات، هل مرت بهما خطوة خفية في العشب الأبيض؟ أين كانتا؟ قادهما الطريق إلى نهايته الحتمية ومات تحت أقدامهما. نظرت إلينور وثيودورا إلى الحديقة وعيونهما يعميها ضوء الشمس واللون الغني. بشكل لا يصدق كان هناك طعام مُعَد لنزهة على العشب في الحديقة وكانتا تسمعان ضحك أطفال والأصوات الودودة المستأنسة لأم وأب. كان العشب كثيفًا وله لون أخضر غني والزهور ملونة بالأحمر والبرتقالي والأصفر والسماء كانت زرقاء وذهبية وأحد الأطفال يرتدي كنزة قرمزية ويرفع صوته بالضحك ثم تعثّر خلف جرو فوق العشب. كانت هناك مفرش مطبوع عليه مربعات مفرود وتنحني الأم مبتسمة لتتناول طبق من الفاكهة البراقة



ثم صرخت تيودورا.

صاحت بصوت عالٍ ممتلىء بالخوف "لا تنظري وراءك، لا تنظري وراءك، - لا تنظري – اركضي!"

ركضت إلينور دون أن تعرف لماذا تركض وهي تفكر في أن قدمها ستعلق في المفرش. كانت خائفة أنها قد تتعثر فوق الجرو، ولكن بينما يركضون عبر الحديقة لم يكن هناك أي شيء سوى الأعشاب البرية تنمو سوداء وسط الظلام وتيودورا لا تزال تصرخ وتدوس فوق الشجيرات حيث كانت الزهور وتتعثر وهي تنتحب فوق الأحجار نصف المدفونة وما كان في الأغلب كوبًا مكسورًا. كانتا تضربان الحائط الحجري الأبيض وتخمشانه حيث تنمو العريشة السوداء سريعًا وتصرخان وتتوسلان كي يسمح لهما بالخروج حتى انتفتحت بوابة حديدية صدئة وركضتا وهما تبكيان وتنشهقان وبشكل ما ممسكتين بأيدي بعضهما عبر حديقة مطبخ هيل هاوس واقتحمتا الباب الخلفي للمطبخ لتشاهدوا لوك والدكتور يسرعان نحوهما. قال لوك "ماذا حدث؟" وهو يمسك بثيودورا "هل أنتِ بخير؟"

قال الدكتور وهو منهك: "لقد كدنا نجن، قضينا ساعات في الخارج بحثًا عنكما."

قالت إلينور: "كانت نزهة". سقطت إلى أحد كراسي



المطبخ ونظرت إلى يديها الدامية والمخدوشة والمرتعشة بدون أن تعرف. قالت لهما: "لقد حاولنا الخروج" ومدت لهما يديها ليروهما "كانت نزهة الأطفال..."

ضحكت ثيودورا في صيحة ضئيلة متصلة، ضحكت ضحكة خفيفة مستمرة وقالت عبر ضحكها "نظرت إلى الوراء- لقد ذهبت ونظرت وراءنا..." واستمرت في الضحك.

"الأطفال.. وجرو..."

"إلينور" استدارت ثيودورا بجنون وأسندت رأسها على إلينور.

"إلينور" قالت "إلينور".

ونظرت إلينور إلى لوك والدكتور وهي تمسك بثيودورا وشعرت أن الغرفة تهتز بجنون والزمن، كما كانت دائمًا تعرف الزمن، قد توقف.

(7)

بعد الظهيرة اليوم الذي كان منتظرًا أن تصل فيه السيدة مونتاجو، ذهبت إلينور وحدها إلى الجبال التي تطل على هيل هاوس دون أن تنوي في الحقيقة أن تصل إلى أي مكان بعينه، ودون حتى أن تهتم إلى أين أو كيف تذهب، كل ما أرادته هو السرية والخروج من تحت الخشب الثقيل للمنزل. وجدت بقعة صغيرة حيث كان العشب ناعمًا وجافًا واستلقت متسائلة كم عامًا مضى منذ استلقت على عشب ناعم وحدها كي تفكر. استدارت حولها الأشجار والزهور البرية بالأداء الغريب المهذب للأشياء الطبيعية عندما يتم مقاطعة انشغالها الملح بالنمو والموت فجأة واستدارت نحوها باهتمام وكأنها، مع أنها مملة وتنقصها البصيرة، ولكن لا يزال ضروريًا بالنسبة لهم أن يكونوا لطيفين مع مخلوقة سيئة الحظ لدرجة أنها غير متجذرة في الأرض ومجبرة على التنقل من مكان لمكان، إنها متحركة بشكل يكسر القلب. بتراخ التقطت إلينور سوسنة برية ماتت بين أصابعها ونظرت وهي مستلقية على العشب في وجهها الميت. لم يكن هناك شيء في ذهنها أبعد من فرح وحشي طاغ. شدت السوسنة وتساءلت وهي تبتسم لنفسها، *ماذا سأفعل. ماذا*

سأفعل؟



قالت السيدة مونتاجو: "ضع الحقائب في البهو يا أرثر. ألا تظن أنه كان يجب أن يكون هناك شخصٌ ليساعدنا عند الباب؟ سيكون عليهم أن يأتوا بشخص ليحمل الحقائب إلى الطابق الأعلى. جون؟ جون؟"

"يا عزيزتي، يا عزيزتي" أسرع الدكتور مونتاجو إلى البهو حاملاً منديله وقبّل زوجته في طاعة على الخد الذي مدته له. "كم هو رائع أنك وصلتِ إلى هنا، كنا قد يئسنا."

"أنا قلت إني سأصل إلى هنا اليوم، ألم أفعل؟ هل عرفت عني أني لا أجيء عندما أقول أني سأفعل؟ لقد جلبت أرثر معي."

"أرثر.." قال الدكتور بلا حماس.

قالت السيدة مونتاجو: "كان على شخصٍ ما أن يقود السيارة. أتصور أنك توقعت أني سأقودها بنفسي طوال المسافة إلى هنا؟ أنت تعرف جيدًا أني أتعب. كيف حالكم؟"

استدار الدكتور مبتسمًا لإلينور وتيودورا ولوك المتجمعين بتردُّد في المدخل خلفهم. "عزيزتي" قال "هؤلاء أصدقائي الذين أقاموا في هيل هاوس معي في هذه الأيام الماضية. تيودورا. إلينور فانس. لوك

ساندرسون."

همهت ثيودورا وإلينور ولوك بتهذيب وهزت السيدة مونتاجو رأسها وقالت: "أرى أنكم لم تهتموا بأن تنتظروني على العشاء."

قال الدكتور: "كنا قد يَئِسنا."

"أتذكر أني قلت إني سأكون هنا اليوم. بالطبع من الممكن جدًا أن أكون مخطئة، ولكن ما أتذكره هو أني قلت إني سأكون هنا اليوم. أنا متأكدة أني سأعرف أسماءكم سريعًا جدًا. هذا السيد هو أرثر باركر. لقد قاد سيارتي إلى هنا لأني لا أحب القيادة بنفسي. أرثر، هؤلاء هم أصدقاء جون. هل يمكن لأحد أن يفعل شيئًا بخصوص حقائبنا؟"

اقترب لوك والدكتور مهمهمين وأكملت السيدة مونتاجو: "سأكون في أكثر غرفة مسكونة بالطبع. أرثر يمكنه أن يذهب إلى أي مكانٍ. الحقيبة الزرقاء لي أيها الشاب وحقيبة اليد الصغيرة. هؤلاء سيذهبون إلى أكثر غرفة مسكونة."

قال الدكتور مونتاجو عندما نظر لوك إليه متسائلاً: "غرفة الأطفال على ما أظن" وقال لزوجته: "أعتقد أن غرفة الأطفال هي أحد مصادر الاضطراب" فتنهدت بضيق.

قالت: "يبدو لي أن باستطاعتك أن تكون ممنهجًا



أكثر. لقد قضيت أسبوعًا تقريبًا وأتصور أنك لم تفعل شيئًا باللوح؟ الكتابة العفوية؟ لا أتصور أن أيًا من هاتين السيدتين لديها مهارة الوسيط الروحاني؟ تلك هناك هي حقائب أرثر. لقد جلب معه مضارب الجولف على سبيل الاحتياط."

سألت تيودورا بلا تعبير: "على سبيل الاحتياط لماذا؟" واستدارت السيدة مونتاجو ونظرت إليها ببرود ثم قالت أخيرًا: "أرجوكم لا تدعوني أعطل عشاءكم."

قال الدكتور لزوجته بأمل: "هناك بالتأكيد بقعة باردة خارج باب غرفة الأطفال."

"نعم يا عزيزي، جميل جدًا. ألن يأخذ الشاب حقائب أرثر إلى الطابق الأعلى؟ يبدو أنكم في حيرة شديدة هنا أليس كذلك؟ بعد حوالي أسبوع كنت أظن بالتأكيد أنكم ستكونون قد وضعتم نصابًا معينًا للأمور. هل تجسدت أي أشكال؟"

"كان هناك ظهورات مؤكدة.."

"حسنًا أنا هنا الآن وسنضع الأمور في نصابها الصحيح. أين يضع أرثر السيارة؟"

"هناك إسطبل خالٍ خلف المنزل وضعنا فيه السيارات الأخرى. يمكنه أن يأخذها إلى هناك في الصباح."

"هراء. أنا لا أأمن بتأجيل الأمور يا جون كما تعرف



جيدًا. سيكون لدى أرثر الكثير ليفعله في الصباح دون أن نضيف عليه أعمال الليلة. يجب أن يحرِّك السيارة فورًا."

قال الدكتور بتردُّد: "المكان مظلم في الخارج."

"يا جون إنك تذهلني. هل تعتقد أني لا أعرف ما إن كانت الدنيا مظلمة في الخارج ليلاً؟ السيارة بها أضواء يا جون وهذا الشاب يمكنه أن يذهب مع أرثر كي يريه الطريق."

قال لوك بتجهم: "شكرًا، ولكن لدينا سياسة ثابتة ضد الخروج بعد حلول الظلام. يمكن لأرثر بالطبع إن أراد ولكن أنا لن أفعل."

قال الدكتور: "تعرضت السيدات لصدمة.."

قال أرثر: "الشاب جبان" كان قد أنهى جلب الحقائب وشنط الجولف من السيارة ويقف الآن بجوار السيدة مونتاجو وهو ينظر إلى لوك. كان وجه أرثر أحمر وشعره أبيض والآن وهو يزدري لوك كان شعره هائشًا: "يجب أن تخجل من نفسك أمام السيدات أيها شاب."

قال لوك بتكلف: "السيدات كُنّ خائفات كما هو الحال معي."

وضع الدكتور مونتاجو يده فوق ذراع أرثر ليهدئه.

"بعد أن تقضي بعض الوقت هنا يا أرثر ستفهم أن موقف لوك عاقل وليس جبانًا. نحن نحرص على أن



نبقى سويًا بعد حلول الظلام."

قالت السيدة مونتاجو: "يجب أن أقول يا جون أني لم أتوقع أبدًا أن أجدكم جميعًا متوترين إلى هذا الحد. أنا أحتقر الخوف في هذه الأمور" ودقت الأرض بقدمها في ضيق.

"أنت تعرف جيدًا يا جون أن من رحلوا إلى الجانب الآخر يتوقعون أن يرونا سعداء ومبتسمين. إنهم يريدون أن يعرفوا أننا نفكر فيهم بحُبٍّ. الأرواح التي تسكن في هذا البيت قد تكون تعاني في الحقيقة لأنهم مدركون أننا نخاف منهم."

قال الدكتور بإنهاك: "يمكننا أن نتحدث عن ذلك لاحقًا. والآن ما رأيك في تناول العشاء؟"

"بالطبع" رمقت السيدة مونتاجو تيودورا وإلينور وقالت: "من المؤسف أنه كان علينا مقاطعتكم."

"هل تناولتِ العشاء؟"

"بالطبع لم نتناول العشاء يا جون. لقد قلت إننا سنكون هنا على العشاء ألم أفعل؟ أم هل أنا مخطئة مرة أخرى؟"

قال الدكتور وهو يفتح الباب المؤدي إلى غرفة الألعاب ومنها إلى غرفة الطعام: "على كل حالٍ لقد قلت للسيدة دادلي إنك ستكونين هنا. لقد تركت لنا وليمة رائعة."



قالت إلينور لنفسها وهي تقف جانبًا لتدع الدكتور يأخذ زوجته إلى غرفة الطعام مسكين *الدكتور مونتاجو، إنه غير مرتاح. أتساءل كم من الوقت ستبقى.*

همست تيودورا في أذنها: "أتساءل كم ستبقى؟"

قالت إلينور بأمل: "ربما كانت حقيبتها مليئة بالسائل الهيولي(5)"

سأل الدكتور مونتاجو وهو يجلس على رأس المائدة وزوجته تجلس مرتاحة بجواره: "كم من الوقت ستبقين؟"

"الحقيقة يا عزيزي" قالت السيدة مونتاجو وهي تتذوق صلصة الكبر التي صنعتها السيدة دادلي "لقد وجدت طاهية جيدة أليس كذلك؟.. أنت تعرف أن أرثر عليه العودة إلى مدرسته" وشرحت للجالسين على الطاولة "أرثر ناظر مدرسة وقد لغى مواعيده ليوم الاثنين بمنتهى الكرم؛ لذا فيجدر بنا أن نرحل يوم الاثنين فيتمكن أرثر من أن يكون هناك لحضور فصول الثلاثاء."

قال لوك بصوت منخفض لتيودورا: "ترك أرثر خلفه أولادًا كثيرين سعداء".. فقالت تيودورا: "ولكن اليوم هو السبت فقط."

قالت السيدة مونتاجو: "لا اعتراض لدي على هذا



الطهي مطلقًا. يا جون سأتحدث مع طاهيتك في الصباح."

قال الدكتور بحرص: "السيدة دادلي سيدة لطيفة."

قال أرثر: "ولكنها فاخرة قليلاً بالنسبة لذوقي" وشرح لثيودورا "أنا رجل يحب الأكل البسيط. لا أتناول الشراب ولا أدخن ولا أقرأ الهراء. نموذج سيء للرجال في المدرسة. إنهم ينطلعون للمرء قليلاً كما تعرفين."

قالت ثيودورا بجدية: "أنا متأكدة أنهم جميعًا يجب أن يحتذوا بك."

قال أرثر وهو يهز رأسه: "يأتيني أحد مثيري الشغب كل فترة. لا يحب الرياضة. يتلكأ مكتئبًا في الأركان. بكاء. أصرع تلك الصفات فيهم سريعًا" ومد يده إلى الزبدة.

مالت السيدة مونتاجو إلى الأمام ونظرت بطول الطاولة نحو أرثر ونصحته: "كُلْ طعامًا خفيفًا يا أرثر. أمامنا ليلة مزدحمة."

سأل الدكتور: "ما الذي تخططون له بحق السما؟"

"أنا متأكدة أنك لا تحلم بتولي تلك الأمر بأي نوعٍ من النظام ولكن عليك أن تعترف يا جون أنه في هذه المنطقة؛ فأنا ببساطة لدي فهم فطري. جميع النساء لديهن هذا الفهم كما تعرف يا جون. على الأقل بعض



النساء” توقفت ونظرت إلى إلينور وثيودورا نظرة تخمين. ”للأسف ولا واحدة منهن. إلا، بالطبع إن كنت مخطئة مرة أخرى؟ أنت مولع بالإشارة إلى أخطائي يا جون.”

“يا عزيزتي...”

“أنا لا أحتمل الإهمال في أي شيء. أرثر سيقوم بالحراسة بالطبع. لقد أتيت بأرثر لهذا الغرض. من النادر جدًا” ووجهت الشرح للوك الذي جلس على الجانب الآخر من الطاولة “أن تجد أشخاصًا في مجال التعليم يهتمون بالعالم الآخر. ستجد أن أرثر واسع الاطلاع بشكل مدهش. سأرتاح في غرفتكم المسكونة مع ضوء ليلي مضاء وسأسعى إلى الاتصال مع العناصر القلقة في هذا المنزل. أنا لا أنام أبدًا عندما تكون هناك أرواح قلقة في الجوار” هز لوك رأسه وهو عاجز عن الكلام.

قال أرثر: “منطق عاقل. يجب أن أقوم بهذه الأمور بالطريقة الصحيحة. لا يجدي أبدًا أن تقلل من أهدافك. يجب أن يقول أحدٌ هذا لزملائي.”

قالت السيدة مونتاجو: “أعتقد أننا ربما نقوم بجلسة صغيرة بعد العشاء باستخدام اللوح. فقط أنا وأرثر بالطبع. أما عن بقيتكم فأنا أرى أنكم غير جاهزين. ستجعلون الأرواح تهرب. سنحتاج إلى غرفة هادئة..”

“غرفة المكتبة” اقترح لوك بأدب.



"المكتبة؟ أظن أنها تفي بالغرض. عادة ما تكون الكتب وسائط جيدة كما تعرف. الظهورات عادة ما تنتج بأفضل طريقة ممكنة في الغرف التي تحتوي على كتبٍ. لا أستطيع أن أتذكر أي وقت عطلت فيه الظهورات لوجود كتب. أعتقد أن المكتبة قد نظفت من التراب؟ أن أرثر يعطس أحيانًا."

قال الدكتور: "السيدة دادلي تُبقي المنزل دائمًا في أفضل حال."

"سأتحدث مع السيدة دادلي في الصباح. سترينا المكتبة إذًا يا جون وهذا الشاب سيجلب حقيبتي إلى الطابق الأسفل. ليس حقيبة السفر الكبيرة ولكن حقيبة اليد الصغيرة. هاتها لي في المكتبة. هل ستنضم لنا لاحقًا، بعد الجلسة باللوح سأحتاج كوبًا من الحليب وربما كيكة صغيرة، بعض المقرمشات قد تفي بالغرض إن لم تكن مملحة جدًا. وبعض دقائق من الحوار مع أشخاص مناسبين سيساعد جدًا خاصة إن كنت أستقبل خلال الليل. العقل آلة دقيقة ولا يمكن أن تعتني بها بحرص زائد. أرثر؟" ثم انحنت لإلينور وثيودورا وخرجت يصحبها أرثر ولوك وزوجها.

بعد دقيقة قالت ثيودورا: "أظن أني سأجن بالسيدة مونتاجو ببساطة."

قالت إلينور: "لا أعرف. أرثر يناسب ذوقي أكثر.



ولوك جبان على ما أعتقد."

قالت ثيودورا: "لوك المسكين. لم يكن لديه أم أبدًا" عندما رفعت إلينور بصرها وجدت أن ثيودورا تنظر إليها بابتسامة غريبة فابتعدت نحو الطاولة بسرعة لدرجة أنها سكبت كوبًا.

قالت وهي تلهث بشكل غريب: "لا يجب أن نكون وحدنا. يجب أن نجد الآخرين" تركت الطاولة وكادت تركض خارجة من الغرفة. ركضت ثيودورا خلفها ضاحكة عبر الممر إلى غرفة الجلوس الصغيرة حيث كان لوك والدكتور يقفان أمام النار.

كان لوك يقول بوداعة: "من فضلك يا سيدي. ما هو اللوح؟"

تنهد الدكتور بضيق وقال: "أغبياء" ثم "آسف. إن الفكرة كلها تضايقني ولكنها تحبها.." استدار وقلب النار بغضبٍ ثم أكمل بعد لحظة "اللوح هو أداة تشبه الأويجا أو ربما سأشرحها أفضل إن قلت إنها نوع من الكتابة التلقائية: أسلوب للتواصل مع – ها – الكائنات غير الملموسة. مع أنه بالنسبة لتفكيري فإن الكائنات الوحيدة غير الملموسة التي نتواصل عبر مثل تلك الأشياء هي في ذهن الأشخاص الذين يستخدمونها. نعم. حسنًا. اللوح هو قطعة من الخشب الخفيف عادة على شكل قلب أو مثلث. يوضع قلب عند الرف الضيق



وعند الطرف الثاني يوضع جوز من العجل أو الأقدام التي تنزلق بسهولة على الورق. يضع شخصان أصابعهما عليه ويسألونه أسئلة وتتحرك الأغرض، تدفعها القوة التي لن نناقشها هنا وتكتب إجابات. لوح الأويجا كما قلت مشابه جدًا إلا أن الأشياء تتحرك على اللوح وتشير إلى حروف متفرقة. يمكن أن يقوم كأس نبيذ عادي بنفس الشيء. لقد جربت بلعبة طفل بها عجل مع أني أعترف أنها بدت سخيفة. كل شخص يستخدم أطراف أصابع يد واحدة مبقيًا الأخرى حرة كي يدوّن الأسئلة والأجوبة. حسب اعتقادي؛ الإجابات لا تتنوع وهي بلا معنى مع أن زوجتي بالطبع ستقول لك شيئًا مختلفًا. هراء" ثم ذهب إلى النار مرة أخرى وقال: "مراهقة. شعوذة."

***

قالت السيدة مونتاجو "لقد كان اللوح كريمًا جدًا الليلة. هناك بالتأكيد عوامل غريبة موجودة في هذا المنزل."

قال أرثر: "جلسة رائعة فعلاً" وحرك حزمة من الأوراق بإيماءة انتصار.

"لدينا قدر كبير من المعلومات لك." قالت السيدة مونتاجو "أولاً، ألح اللوح على راهبة. هل تعرف شيئًا عن راهبة يا جون؟"



"في هيل هاوس؟ هذا ليس واردًا."

"اللوح يلح على وجود راهبة يا جون. ربما شوهد شيء من هذا القبيل.. هيئة داكنة مبهمة حتى.. في الجوار؟ القرويون يرتعبون عندما يخطون خارج بيوتهم في وقتٍ متأخر من الليل؟"

"شخصية الراهبة شائعة جدًا في..."

"جون من فضلك. أفترض أنك تلمح إلى أني مخطئة. أو ربما كانت نيتك أن تشير إلى أن اللوح مخطئ؟ أنا أؤكد لك.. ويجب أن تصدق اللوح حتى إن كانت كلمتي أنا ليست كافية بالنسبة لك.. أن هناك راهبة تحديدًا قد أشير إليها."

"يا عزيزتي، أنا لا أحاول أن أقول سوى أن طيف الراهبة هو أكثر أشكال الظهور تكرارًا على الإطلاق. لم يكن هناك أبدًا شيء مثل هذا مرتبطًا بهيل هاوس ولكن تقريبًا في كل..."

"جون لو سمحت. أتصور أني بإمكاني متابعة الكلام؟ أم أنك تنحي اللوح جانبًا دون أن تسمع؟ شكرًا" تمالكت السيدة مونتاجو نفسها "والآن هناك اسم أيضًا يكتب مرة كهيلين مرة هيلان أو إلين. هذه؟"

"يا عزيزتي، لقد عاش الكثير من الناس..."

"لقد جات لنا هيلين بتحذير من راهب غامض. وعندما يظهر راهب وراهبة معا في منزل واحد.."

شرح أرثر: "يكون معنى ذلك أن المكان بني على موقع أكثر قدمًا. التأثيرات تبقى كما تعرفين. التأثيرات الأقدم تبقى في المكان."

"يبدو الأمر كثيرًا كأن هناك عهودًا خلفت أليس كذلك؟ كثيرًا جدًّا"

"كان هناك الكثير من هذه الأمور في ذلك الزمن كما تعرف. الإغراء في الأغلب."

بدأ الدكتور يتحدث: "لا أظن أن..."

قالت السيدة موناجو: "أخشى أنها قد دفنت حية داخل حائط. أعني الراهبة. كانوا يفعلون ذلك دائمًا كما تعرف. لا يمكن أن تتخيل كمية الرسائل التي وصلتني من راهبات تم دفنهن أحياء في حوائط."

"لا يوجد أي حالة سجلت لأي راهبة إطلاقًا.."

"جون، هل تسمح لي أن أوضح لك مرة أخرى أنه قد وصلني أنا نفسي رسائل من راهبات تم دفنهن أحياء داخل الحائط؟ هل تظن أني أقول لك حكاية مختلقة يا جون؟ أم أنك تظن أن هناك راهبة قد تتعمد ادعاء أنها مدفونة حية داخلة حائط وهي ليس كذلك؟ هل من الممكن أن أكون مخطئة مرة أخرى يا جون؟"

"بالطبع لا يا عزيزتي".. وتنهد الدكتور مونتاجو منهكًا.

قال أرثر لثيودورا: "مع شمعة واحدة وقطعة خبز



ناشفة. إذا فكرتِ فيه ستجدين أنه شيء شنيع."

قال الدكتور متذمرًا: "لم تدفن أي راهبة حية" ورفع صوته قليلاً قائلاً "إنها أسطورة. قصة. تشنيع متداول.."

"حسنًا يا جون. لن نتشاجر حول ذلك. يمكنك أن تصدق أي شيء تختار أن تصدقه. فقط عليك أن تفهم أنه أحيانًا الآراء المادية البحتة يجب أن توسع الطريق أمام الحقائق. من الحقائق المؤكدة أن من ضمن الظهورات في هذا المنزل هناك راهبة و.."

سأل لوك بسرعة: "وماذا كان هناك أيضًا؟ أنا مهتم جدًا بسماع ما قاله – أأأأ- اللوح"

هزت السيدة مونتاجو إصبعها بخبث "لم يقل شيئًا عنك أنت أيها الشاب. ولكن يمكن أن تسمع إحدى السيدات الحاضرات شيئًا يهمها."

قالت إلينور لنفسها سيدة *مستحيلة، مستحيلة*، فجة *ومتملكة*. أكملت السيدة مونتاجو "هيلين تريدنا أن نفتش القبو بحثًا عن بئر قديم."

قال الدكتور: "لا تقولي لي إن هيلين دُفِنَت حية."

"لا أظن يا جون، أنا متأكدة أنها كانت ستذكر ذلك. بل في الحقيقة كانت هيلين مبهمة جدًا بخصوص ما الذي يمكن أن نجده في البئر. مع ذلك أشك أنه سيكون كنزًا. نادرًا ما يقابل الشخص كنزًا حقيقيًا في حالة مثل



هذه. الأغلب هو أننا سنجد أدلة بخصوص الراهبة المفقودة."

"في الأغلب سيكون هناك ثمانون عامًا من القمامة."

"يا جون لا أستطيع أن أفهم هذه الريبة فيك. في النهاية لقد أتيت إلى هذا المنزل كي تجمع أدلة على نشاط ما ورائي، والآن هل فعلاً تتهكم عندما أجيئك بتقرير كامل عن الأسباب وإشارة إلى المكان الذي تبدأ منه البحث."

"ليس لدينا تصريح بأن نحفر في القبو."

"أرثر يمكنه..." بدأت السيدة مونتاجو تتحدث بأمل ولكن الدكتور قال بحسم: "لا. عقد إيجاري للبيت يمنعني تحديدًا من العبث بالمنزل نفسه. لن يحدث أن نحفر القبو، لن نزيل الأعمال الخشبية، لن ننزع الأرضيات. هيل هاوس لا يزال عقارًا ثمينًا ونحن دارسون ولسنا مخربين."

"كنت أظن أنك تريد أن تعرف الحقيقة يا جون."

"لا أريد أن أعرف شيئًا أكثر من هذا" خبط الدكتور مونتاجو بقدميه وهو يعبر الغرفة إلى رقعة الشطرنج ويحمل الطابية وينظر إليها بغضب. كان يبدو عليه وكأنه يعد حتى المئة في بينه وبين نفسه.

تنهدت السيدة مونتاجو وقالت: "يا إلهي، كم على المرء أن يكون صبورًا أحيانًا. ولكني أريد أن أقرأ عليك



المقطع الصغير الذي تلقيته قرب النهاية. هل هو معك يا أرثر؟"

بحث أرثر في حزمة أوراقه وقالت السيدة مونتاجو: "لقد كان بعد الرسالة التي تطلب منك أن ترسل زهورًا إلى خالتك فورًا" وشرحت "اللوح يسيطر عليه شيء اسمه مريجو ومريجو لديه اهتمام حقيقي بأرثر. يأتي له بأخبار من أقاربه وما إلى ذلك."

قال أرثر بجدية: "ليست أخبارًا عن مرض قاتل مثلاً، هل تفهم. يجب أن أرسل زهورًا بالطبع ولكن مريجو مطمئن جدًّا."

"ها نحن" قالت السيدة مونتاجو واختارت عدة صفحات قلبتهم سريعًا. كانت الصفحات مغطاة بكلمات مفككة متناثرة مكتوبة بالقلب الرصاص وعبست السيدة مونتاجو وهو تمر على الصفحات بإصبعها سريعًا. قالت: "ها هي. أرثر، اقرأ الأسئلة وأنا سأقرأ الإجابات. بهذه الطريقة سيبدو الأمر أكثر طبيعية."

قال أرثر بإشراق: "هيًا بنا" ومال من فوق كتف السيدة مونتاجو "والآن – دعيني أرى – أبدأ هنا؟"

"من أول "مَن أنت؟""

"حسنًا. مَن أنت؟"

قرأت السيدة مونتاجو بصوتها الحاد "نيل" فاستدارت إلينور وثيودورا ولوك والدكتور ليستمعوا.

"نيل من؟"

"إلينور نيللي نيل نيل. أحيانًا يفعلوا ذلك" قاطعت السيدة مونتاجو نفسها كي تشرح "يكررون كلمة مرارًا ليتأكدوا أنها وصلت فعلاً."

تنحنح أرثر وقرأ: "ماذا تريدين؟"

"المنزل."

"هل تريدين العودة إلى المنزل؟"

وهزت تيودورا كتفيها في إيماءة هزلية موجهة إلى إلينور.

"أريد أن أكون في المنزل."

"ماذا تفعلين هنا؟"

"أنتظر."

"ماذا تنتظرين؟"

"المنزل" توقف أرثر وهز رأسه بإلحاح "ها هي مرة أخرى" وقال "مثل كلمة تستخدم مرارًا وتكرارًا لمجرد جرسها."

قالت السيدة مونتاجو: "عادة لا نسأل لماذا لأن ذلك يربك اللوح. مع ذلك في هذه المرة كنا جريئين وسألنا مباشرة. أرثر؟"

قرأ أرثر: "لماذا؟"

"أمي" قرأت السيدة مونتاجو "كما ترون في هذه المرة كنا محقين في سؤالنا لأن اللوح أجاب بحرية

تامة."

قرأ أرثر بصوت بلا مشاعر: "هل هيل هاوس بيتك؟"

"بيت" ردت السيدة مونتاجو وتنهد الدكتور.

"هل تعانين؟" قرأ أرثر

"لا رد هنا".. هزت السيدة مونتاجو رأسها لتطمئنهم "أحيانًا لا يحبون الاعتراف بالألم. إنه يقلل من عزيمة من بقي منّا كما تعرفون مثل خالة أرثر على سبيل المثال والتي لن تعترف أبدًا أنها مريضة ولكن مريجو تقول لنا دائما والأمر يزداد سوءًا حين يعبرون"

"يتميزون بالجلد" أكد أرثر ثم قرأ "هل يمكن أن نساعدك؟"

"لا" قالت السيدة مونتاجو.

"هل يمكن أن نفعل أي شيء من أجلك؟"

"لا. ضائعة. ضائعة. ضائعة" رفعت السيدة مونتاجو عينيها وسألت: "هل ترى؟"

"كلمة واحدة تعاد مرارًا وتكرارًا. إنهم يحبون أن يكرروا. وجدت أحيانًا نفس الكلمة تستمر حتى تغطي صفحة كاملة."

قرأ أرثر: "ماذا تريدين؟"

قرأت السيدة مونتاجو الرد: "أمي"

"لماذا؟"

"طفل."

"أين أمك؟"

"في المنزل."

"أين منزلك؟"

"ضاع. ضاع. ضاع. وبعد ذلك" قالت السيدة مونتاجو وهي تطوي الورقة بنشاط "لا يوجد شيء سوى هراء."

أسر أرثر لثيودورا: "لم أرَ اللوح متعاونا بهذا القدر من قبل. يا لها من تجربة. حقًّا."

سألت ثيودورا بضيق: "ولكن لماذا يتقصد نيل؟ لا يحق للوحك الأحمق أن يرسل رسائل إلى الناس دون إذن أو..."

بدأ أرثر في الكلام: "لن تنالي نتائج بالإساءة للوح" ولكن السيدة مونتاجو قاطعته ملتفة بنظرها الجاحظ نحو إلينور وطالبتها "أأنت نيل؟" ثم استدارت إلى ثيودورا وقالت "كنا نظن أن أنت نيل."

"ثم؟" قالت ثيودورا بصفاقة.

قالت السيدة مونتاجو وهي تدق على الأوراق بضيق: "بالطبع لا يؤثر هذا على الرسالة مع أني أرى أننا قد عُرِّفنا ببعض بشكل صحيح. أنا متأكدة أن اللوح كان يعرف الفرق بينكما، ولكني بالتأكيد لا أحب أن أُخدع."

قال لوك لثيودورا: "لا تشعري أنك مهملة. سندفنك



حية."

قالت ثيودورا: "عندما تأتيني رسالة من هذا الشيء أتوقع أن تكون عن الكنز المخبأ. لا أريد أي هراء من نوع إرسال الزهور لخالتي."

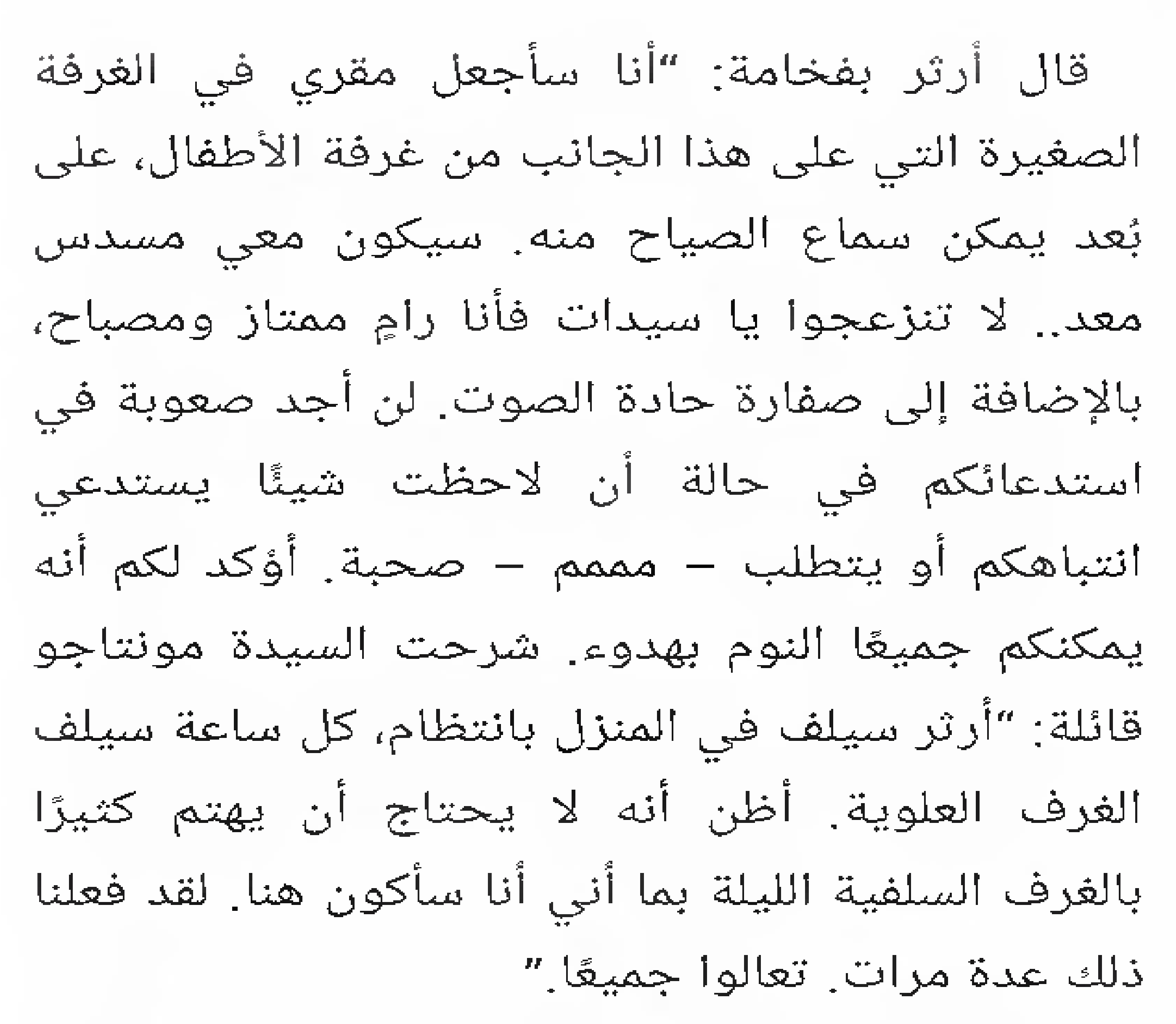
قالت إلينور لنفسها *إنهم جميعًا يتفادون النظر إليّ. لقد تم اختياري ولكنهم طيبون بما يكفي أن يدعوا أن ذلك لا معنى له*. وسألت بقلة حيلة "لِمَ تظنون أن كل هذا أرسل لي؟"

قالت السيدة مونتاجو وهي تسقط الأوراق على الطاولة المنخفضة: "حقًّا يا ابنتي. لا أستطيع أن أبدأ في الحكي مع أنك أكثر من طفلة أليس كذلك؟ ربما أنت أكثر قدرة على الاستقبال الروحاني مما تظنين مع أن.." واستدارت بعيدا بلا مبالاة "كيف يمكن أن تكوني في هذا المنزل لأسبوع ولا تأتيكِ أقل الرسائل من الجانب الآخر.. هذه النار تحتاج إلى تقليب."

قالت ثيودورا مطمئنة: "نيل لا تريد رسائل من الجانب الآخر" وتحركت كي تمسك بأيدي إلينور الباردة في يديها: "نيل تريد سريرًا دافئًا وبعض النوم."

السلام قالت إلينور لنفسها بثباتٍ *ما أريده في هذا العالم هو السلام، بقعة هادئة أستلقي فيها وأفكر. بقعة هادئة بين الزهور حيث يمكن أن أحلم وأقول لنفسي قصصًا طيبة.*

***



قال أرثر بفخامة: "أنا سأجعل مقري في الغرفة الصغيرة التي على هذا الجانب من غرفة الأطفال، على بُعد يمكن سماع الصياح منه. سيكون معي مسدس معد.. لا تنزعجوا يا سيدات فأنا رامٍ ممتاز ومصباح، بالإضافة إلى صفارة حادة الصوت. لن أجد صعوبة في استدعائكم في حالة أن لاحظت شيئًا يستدعي انتباهكم أو يتطلب – مممم – صحبة. أؤكد لكم أنه يمكنكم جميعًا النوم بهدوء. شرحت السيدة مونتاجو قائلة: "أرثر سيلف في المنزل بانتظام، كل ساعة سيلف الغرف العلوية. أظن أنه لا يحتاج أن يهتم كثيرًا بالغرف السلفية الليلة بما أني أنا سأكون هنا. لقد فعلنا ذلك عدة مرات. تعالوا جميعًا."

تبعوها صامتين وصعدوا السلم وهم يراقبون تربيتاتها الخفيفة المحبة على درابيزن السلم والنقوش على الحوائط. قالت مرة: "إنها نعمة أن نعرف أن الكائنات الموجودة في هذا المنزل لا تنتظر إلا فرصة كي تحكي حكايتها وتحرر نفسها من عبء حزنها. والآن. سيفحص أرثر الغرف أولاً. أرثر؟"

"مع اعتذاري يا سيدات. مع اعتذاري" قال أرثر وهو يفتح باب الغرفة الزرقاء التي تتقاسمها إلينور وثيودورا وقال بصوت عميق: "مكان أنيق يليق



بالسيدات الساحرات. إن أردتم سأوفر عليكم تعب النظر إلى داخل الخزانة وتحت السرير" ونظروا بصمتٍ بينما ينحني أرثر على يديه وركبتيه وينظر تحت الأسِرَّة ثم يقف وهو ينفض يديه ويقول "آمنة تمامًا."

سألت السيدة مونتاجو: "والآن أين يجب أن أكون؟ أين وضع هذا الشاب حقائبي؟"

قال الدكتور: "في آخر البهو مباشرة. نحن نسميها غرفة الأطفال" تحركت السيدة مونتاجو متجهة بثبات عبر البهو يتبعها أرثر وعبرت البقعة الباردة في البهو وارتعشت: "سأحتاج بطاطين أكثر بالتأكيد. اجعلوا الشاب يأتيني بالمزيد من البطاطين من أيٍّ من الغرف الأخرى" وقالت وهي تفتح غرفة الأطفال "لا بُدَّ أن أعترف أن السرير يبدو وكأنه رتب حديثًا، ولكن هل تمت تهوية الغرفة؟"

قال الدكتور: "لقد قلت للسيدة دادلي."

"إن رائحتها عطنة يا أرثر. سيكون عليك أن تفتح هذا الشباك بالرغم من البرد". نظرت إلى الحيوانات المرسومة على حوائط غرفة الأطفال نحو السيدة مونتجو بكآبة. قال الدكتور: "هل أنت متأكدة..." وتردد ثم نظر إلى الأعلى بتحفز نحو الوجوه المبتسمة فوق باب غرفة الأطفال وقال: "أتساءل إن كان يجب أن يبقى معكِ أحد هنا."



قالت السيدة مونتاجو وهي متسلية بعد أن انشرحت الآن في حضور من عبروا إلى العالم الآخر "يا عزيزي، قضيت ساعات - ساعات عديدة جدًّا - جالسة بأصفى محبة وتفهم وحدي في غرفة ومع ذلك لم أكن وحدي أبدًا؟ يا عزيزي كيف يمكنني أن أجعلك تستوعب أنه لا يوجد خطر حيث لا يوجد شيء إلا الحب والتفهم المتعاطف؟ أنا هنا لأساعد تلك الكائنات غير المحظوظة - أنا هنا لأمد يدي بمحبة من القلب وأجعلهم يعرفون أنه لا يزال هناك القليلون الذين يذكرونهم ويبكون من أجلهم، إن وحدتهم قد انتهت وأنا..."

"نعم" قال الدكتور "ولكن أبقي الباب مفتوحًا."

"سأبقيه غير موصد إذا كنت مصممًا" كانت السيدة مونتاجو سمحة بإفراط.

قال الدكتور: "سأكون عبر البهو. لا أستطيع أن أعرض أن أطوف للحراسة بما أنها وظيفة أرثر ولكن إن احتجتِ شيئًا فسأستطيع أن أسمعك" ضحكت السيدة مونتاجو ولوحت له بيدها وقالت "هؤلاء الآخرون يحتاجون حمايتك أكثر مني بكثير. سأفعل ما أقدر عليه بالطبع ولكنهم عرضة للاستهداف أكثر بكثير بقلوبهم الجامدة وعيونهم التي لا ترى."

عاد أرثر يتبعه لوك الذي يبدو متسليًا جدًّا عائدين



من تفحص غرف النوم الأخرى في نفس الطابق وهز رأسه للدكتور بنشاط وقال: "كل شيء على ما يرام. يمكنك الآن الذهاب إلى السرير في أمان كامل."

"شكرًا" قال له الدكتور بجدية ثم قال لزوجته: "تصبحين على خير. انتبهي لنفسك."

"تصبح على خير" قالت السيدة مونتاجو ومنحتهم جميعًا ابتسامات: "لا تخافوا من فضلكم وأيًا كان ما سيحدث فتذكروا أني هنا."

"تصبحين على خير" قالت ثيودورا و "تصبحون على خير" قال لوك وذهبت إلينور وثيودورا إلى غرفتهما يتبعهما أرثر وهو يؤكد لهما أنهما قد تستريحا في هدوء وألا تقلقا إذا سمعتا طلقات رصاص وأنه سيبدأ أول طواف حراسة عند منتصف الليل، وذهب لوك إلى غرفته في نهاية البهو. بعد لحظة استدار الدكتور على مضض بعيدًا عن باب زوجته المغلق وتبعهما.

"انتظري" -قالت ثيودورا لإلينور عندما أصبحتا في غرفتهما- "لوك قال إنهم يريدوننا في نهاية البهو. لا تغيري ملابسك وابقي هادئة." وفتحت الباب فتحة ضيقة وهمست لإلينور من ورائها "أقسم إن الشمطاء ستفجر هذا المنزل بكل هذا الهراء حول الحب الكامل. إن كنت قد رأيت في حياتي مكانًا لا جدوى فيه للحب



الكامل فهو هيل هاوس. أرثر أغلق بابه. بسرعة. ابقي هادئة."

في صمت ودون أن تصدرا صوتًا على سجادة البهو أسرعتا على أقدامهما المغطاة بالجوارب إلى غرفة الدكتور. "أسرعوا" قال الدكتور وهو يفتح الباب فتحة تكفي بالكاد أن يدخلوا منها "لا تصدروا صوتًا".

قال لوك: "الوضع ليس آمنًا" وأغلق الباب حتى بقي منه شق مفتوح وعاد ليجلس على الأرض "هذا الرجل سيطلق النار على شخصٍ ما."

قال الدكتور بقلق: "أنا لا أحب ذلك. أنا ولوك سنبقى مستيقظين ونراقب وأريدكما يا سيدات هنا حيث يمكننا أن نبقي أعيننا عليكما. شيء ما لا أحبه سيحدث."

قالت تيودورا: "فقط أتمنى ألا تكون قد فعلت شيئًا مجنونًا بلوحها. آسفة يا دكتور مونتاجو. أنا لا أنوي أن أتحدث بفظاظة عن زوجتك."

ضحك الدكتور ولكن عينه بقيت على الباب: "لقد خطط في الأصل أن تأتي لكامل مدة الإقامة ولكنها كانت قد سجلت نفسها في دورة لليوغا ولم يكن بإمكانها أن تفوت الجلسات. إنها امرأة رائعة من أغلب الجوانب" وأضاف وهو ينظر حوله نظرة جادة "إنها زوجة جيدة وتوليني رعاية جيدة جدًا. إنها تفعل



الأشياء بشكل رائع. الأزرار على قميصي" وابتسم بأملٍ "هذا" – وأشار في اتجاه البهو "هذا بالتحديد هو عيبُها الوحيد."

قالت إلينور: "ربما كانت تشعر أنها تساعدك في عملك."

تجعد وجه الدكتور وارتعش، وفي تلك اللحظة طار الباب منفتحًا ثم انغلق محدِثًا دويًا وفي الصمت بالخارج كان يمكنهم أن يسمعوا صوت حركة تدفق بطيء كما لو كانت ريحًا منتظمة جدًا وقوية جدًا تسري بطول البهو. نظروا لبعضهم البعض محاولين الابتسام وحاولوا أن يبدوا شجعان أمام القدوم غير الواقعي للبرد ثم متجاوزين صوت الريح والطرق على الأبواب في الطابق الأسفل. أخدت تيودورا اللحاف من طرف سرير الدكتور وطبقته حولها هي وإلينور دون كلمة واحدة ثم اقتربوا إلى بعضهم البعض ببطء كي لا يصدروا صوتًا. فكرت إلينور وهي تتعلق بثيودورا شاعرة بالبرد القاتل بالرغم من ذراعي تيودورا حولها *إنه يعرف اسمي. إنه يعرف اسمي هذه المرة*. أتى صوت الدق صاعدًا السلم ومتهشمًا على كل درجة. كان الدكتور متوترًا يقف بجوار الباب ولوك قد تحرك ليقف بجواره.

قال للدكتور: "إنه ليس قريبًا من غرفة الأطفال على



الإطلاق" ومدّ يده ليمنع الدكتور من فتح الباب.

قالت ثيودورا: "كم ينهك المرء من هذا الدق المستمر" وأضافت عبثًا "في الصيف المقبل لا بُدّ أن أذهب إلى مكان آخر."

قال لها لوك: "هناك عيوب في كل مكان. في منطقة البحيرات هناك الناموس."

سألت ثيودورا وصوتها يرتعد بالرغم من نبرتها المستخفة: "هل يمكن أن نكون قد استهلكنا كامل برنامج هيل هاوس؟ يبدو أننا شاهدنا عرض الدق هذا من قبل. هل سيبدأ كل شيء من جديد؟". دوى صوت التهشم في البهو وبدا كأنه يأتي من الطرف البعيد، الأبعد من غرفة الأطفال وعند الباب كان الدكتور يهز رأسه بقلق. قال لهم: "سأضطر إلى أن أخرج إلى هناك. قد تكون خائفة". قالت إلينور التي كانت تتأرجح مع الدق الذي بدا أنه داخل رأسها بنفس قدرِ كونه في البهو وهي تمسك جيدًا بثيودورا "إنهم يعرفون أننا هنا" وهزّ الآخرون رؤوسهم وأنصتوا وهم يظنون أنها تقصد أرثر والسيدة مونتاجو. قالت إلينور لنفسها وهي تضغط على عينيها بيديها وتتأرجح مع الصوت *سيتحرك الدق بطول البهو وسيستمر ويستمر حتى نهاية البهو ويستديو ويأتي مرة أخرى، سيستمر ويستمر كما فعل من قبل ثم سيتوقف وسننظر إلى*



بعضنا البعض ونضحك ونحاول أن نتذكر كم شعرنا بالبرد ودوائر الخوف التي تسبح على ظهورنا. بعد برهة سيتوقف.

كانت ثيودورا تقول للدكتور متجاوزة صوت الدق: "سيؤذينا. لن يؤذيهم هم."

قال الدكتور عابسًا: "أتمنى فقط ألا تحاول أن تفعل أي شيء بخصوص الأمر" كان لا يزال عند الباب ولكنه بدا غير قادر على فتحه مقابل حجم الصوت.

قالت ثيودورا لإلينور "أشعر حقًّا بأن لدي خبرة قديمة في الأمر. اقتربي يا نيل، ابقي دافئة" وجذبت إلينور لتقربها منها تحت البطانية والبرد المثير للغثيان الجامد لا يزال يحاوطهم. ثم فجأة أتى الهدوء والصمت السري الزاحف الذي يتذكرونه جميعًا. كتموا أنفاسهم ونظروا إلى بعضهم البعض. أمسك الدكتور مقبض الباب بيديه الاثنتين وقال لوك بخفة بالرغم من وجهه الشاحب وصوته المرتعد: "هل يريد أحد براندي؟ إن شغفي بالمشروبات الروحية.."

"لا" قهقهت ثيودورا بجنون وقالت: "ليس هذا النوع من اللعب بالكلمات."

قال لوك: "آسف . لن تصدقيني" وزجاجة البراندي تطقطق على الكوب وهو يحاول أن يسكب منها "ولكني لم أعد أفكر في الأمر على أنه لعب بالكلمات.



هذا ما يفعله العيش في منزل مسكون بحس الدعابة".
جاء إلى السرير حيث تكومت ثيودورا وإلينور تحت البطانية وهو يستخدم يديه الاثنتين في الإمساك بالكوب فأخرجت ثيودورا يدًا واحدة وأخذت الكوب.
"ها هو" قالت وهي تمسك به عند فم إلينور "اشربي".
قالت إلينور لنفسها وهي ترتشف *ليس مدفئًا، نحن لا نزال في عين العاصفة لم يبقَ الكثير من الوقت*. راقبت لوك وهو يحمل كوب البراندي بحرص إلى الدكتور ويمد يده به إليه ثم ودون أن تفهم شاهدت الكوب وهو ينزلق من أصابع لوك إلى الأرض بينما الباب يهتز بعنف وصمت. شد لوك الدكتور إلى الوراء وقد هوجم الباب بلا صوت باديا وكأنه يكاد ينخلع من مفصلاته ويكاد يكون مستعدًا للسقوط وتركهم مكشوفين. تراجع لوك والدكتور منتظرين متوترين وبلا حيلة.
كانت ثيودورا تهمس بشكل متكرر "إنه لا يستطيع الدخول" مرة تلو الأخرى وعيناها على الباب "إنه لا يستطيع الدخول، لا تدعه يدخل، إنه لا يستطيع الدخول..". توقف الارتعاش وأصبح الباب هادئًا وبدأت لمسة ما تمسح على المقبض. بدت حميمة وناعمة ثم ولأن الباب كان موصدًا، أصبحت تربيت وملاطفة كما لو كان يتملق كي يدخل. همست إلينور: "إنه يعرف أننا هنا؟" وأشار لها لوك وهو ينظر خلفه نحوها بعصبية أن

تبقى هادئة.

قالت إلينور لنفسها بطفولة *الجو بارد لن أتمكن من النوم مرة أخرى مع كل هذا الصوت القادم من داخل رأسي كيف يمكن لكل هؤلاء الآخرين أن يسمعوا الأصوات وهي تأتي من داخل رأسي؟ أنا أختفي بوصة تلو الأخرى داخل هذا المنزل، أنا أتفكك قطعة تلو الأخرى لأنه كل هذا الصوت يهشمني. لماذا يخاف الآخرون؟*

كانت واعية وعي خافت لأن الدق قد بدأ مرة أخرى. صوته المعدني الطاغي يغطيها مثل الموج. وضعت يدها الباردة في فمها لتشعر ما إن كان وجهها لا يزال في مكانه. *لقد اكتفيت، أنا أشعر ببرد شديد.*

قال لوك بتشنج وهو يتكلم وسط الضجيج: "عند باب غرفة الأطفال، عند باب غرفة الأطفال. لا تفعل." ومد يده ليوقف الدكتور. قالت ثيودورا بجنون: "أصفى حب. أصفى حب" ثم بدأت تضحك مرة أخرى.

قال لوك للدكتور: "إن لم يفتحوا الأبواب.." وقف الدكتور برأسه على الباب يسترق السمع ولوك يمسك بيده ليمنعه من الحركة.

قالت إلينور لنفسها وهي تستمع إلى ما في داخل رأسها *الآن سيكون لدينا صوت جديد. إنه يتغير.* كان الطّرْق قد توقف كما لو كان قد ثبت أنه غير مجدٍ



وسرت حركة سريعة بطول البهو كما لو كان حيوانًا يتجول جيئة وإيابًا بنفاد صبرٍ فائق يراقب أحد الأبواب أولاً ثم الثاني منتبهًا للحركة بالداخل وكان هناك مرة أخرى الهمهمة المتسارعة التي تتذكرها إلينور. تساءلت بسرعة *هل أنا مَن أفعل هذا؟* وسمعت الضحكات الصغيرة خلف الباب تسخر منها.

قالت تيودوا همسًا: "فه – في- فو- فوم" وتضخم الضحك ليتحول إلى صراخ. فكرت إلينور *إنه داخل رأسي* وهي تضع يديها فوق وجهها، *إنه داخل رأسي ويحاول الخروج، يحاول الخروج...*

الآن ارتعش المنزل واهتز. الستائر انطلقت تسرع نحو النوافذ وتطوح الأثاث وأصبح الصوت في البهو ضخمًا حتى إنه يدفع الحوائط. كانوا يسمعون صوت تهشُّم زجاج الصور في البهو وهي تسقط وربما صوت تحطم النوافذ.

وقف لوك والدكتور مشدودين ولصيقين بالباب كما لو كانوا يحاولون بيأس أن يبقوه مغلقًا والأرض تتحرك من تحت أقدامهم. فكرت إلينور *نحن ننتهي، نحن ننتهي* وسمعت تيودورا تقول من بعيد: "المنزل ينهار".. بدا صوتها هادئًا ومتجاوزًا للخوف أمسكت تيودورا بالسرير تلطم وترتعش وأحنت رأسها وأغمضت عينيها وعضت شفتها من البرد شاعرة



بسقوط مثير للغثيان بينما الغرفة تقع من تحتها ثم اعتدلت واستدارت تتطوح ببطء. قالت تيودورا "يا إلهي" وعلى بعد ميل بجوار الباب أمسك لوك بالدكتور وأوقفه.

"هل أنت بخير؟" نادى لوك للوراء وهو يستند على الباب ويمسك الدكتور من كتفيه: "تيو هل أنت بخير؟"

قالت ثيودورا: "أتماسك ولكن لا أعرف ما حال نيل."

قال لوك من بعيد: "ابقيها دافئة. لم نرَ كل شيء بَعدُ" تلاشى صوته من بعيد. كانت إلينور تستطيع أن تسمعه وتراه من بعيد في الغرفة البعيدة حيث كان هو وثيودورا والدكتور لا زالوا ينتظرون. في الظلام الذي يتقلب حيث تشعر أن لا شيء حقيقي ما عدا يديها البيضاوين حول عامود السرير. كانت تستطيع أن تراهما صغيرتين جدًا وتراهما تتشبثان عندما يهتز السرير ويميل الحائط إلى الأمام الباب من بعيدٍ يصبح مائلاً جانبًا. في مكانٍ ما كان هناك صوت تحطم كبير مهتز بينما تنقلب بعض الأشياء الضخمة. قالت إلينور لنفسها *لا بُدّ أن هذا هو البرج وأنا تصورت أنه سيبقى مشيدًا لسنوات. لقد ضعنا، ضعنا. المنزل يحطم نفسه*. سمعت الضحك في كل مكانٍ يأتي حادًا ومختلاً ويرتفع في نغمته المجنونة وفكرت، *لا انتهى الأمر بالنسبة لي. هذا كثير. سأتخلى عن ملكية هذه النفس*



التي أملكها، أتنحى، أتنازل بإرادتي عمّا لم أرغب فيه مطلقًا. يستطيع أن يأخذ ما يريده مني.

بصوت عالٍ قالت: "أنا آتية".. وكانت تتكلم وهي تنظر إلى تيودورا التي انحنت فوقها. الغرفة كانت هادئة تمامًا وكانت ترى ضوء الشمس بين الستائر الساكنة والشباك. جلس لوك على كرسي بجوار النافذة ووجهه به رضوض وقميصه ممزق وكان لا يزال يشرب البراندي. جلس الدكتور في كرسي آخر وشعره ممشطاً حديثًا، يبدو مهندمًا وأنيقًا ومتمالكًا نفسه. انحنت تيودورا فوق إلينور وقالت: "إنها بخير على ما أظن" وجلست إلينور وهزت رأسها وهي تحدق. رفع البيت نفسه بحشمة من حولها متماسكًا وهادئًا ولم يكن أي شيء قد تحرك. قالت إلينور "كيف..." فضحك ثلاثتهم.

"يوم آخر" قال الدكتور وبرغم من مظهره كان صوته ضعيفًا "ليلة أخرى"

علّق لوك: "كما حاولت أن أقول من قبل، فإن العيش في منزل مسكون يعيث عبثًا شيطانيًا بحس الدعابة" ثم وجّه كلامه إلى تيودورا: "صدقًا لم أتعمد أن ألعب بالكلمات المحرّمة."

سألت إلينور: "كيف – حالهم؟" وبدت الكلمات غير مألوفة وفمها متخشب.



قال الدكتور: "كلاهما نائمان كالأطفال. في الحقيقة" قالها وكأنه يكمل حوارًا كان قد بدأه بينما كانت إلينور تنام "لا أصدِّق أن زوجتي لم تشعل هذه العاصفة ولكني أعترف أن كلمة واحدة أخرى عن الحب الصافي..."

سألت إلينور: "ماذا حدث؟" ولنفسها قالت من *الشعور الذي أحس به في فمي لا بُدّ أني كنت أجز على اسناني طوال الليل.*

قالت تيودورا "هيل هاوس قام ليرقص وأخذنا معه في نزوة ليلية. أنا على الأقل أظن أنه ذلك كان رقصًا. قد يكون قد تشقلب."

قال الدكتور: "الساعة تقريبًا التاسعة. عندما تستعد إلينور..."

قالت تيودورا: "تعالي يا صغيرتي. تيو ستغسلين وجهك وأصنع لكم جميعًا إفطارًا جيدًا"

---

(5). سائل لزج يظهر أحيانا حين ظهر الأشباح

(8)

نظرت ثيودورا إلى إبريق القهوة بتردد: "هل قال لهم أي أحد إن السيدة دادلي تزيل الإفطار في العاشرة؟"

تردد الدكتور: "لا أحب أن أوقظهم بعد مثل تلك الليلة."

"ولكن السيدة دادلي تنظف في العاشرة"

"إنهم سيأتون".. قالت إلينور "أستطيع أن أسمعهم على السلم" كانت تريد أن تقول لهم أنا أستطيع أن اسمع أي شيء في أرجاء المنزل.

ثم ومن بعيد استطاعوا جميعًا أن يسمعوا صوت السيدة مونتاجو وهو يرتفع في ضيق ولاحظ لوك فقال "يا إلهي.. إنهم لا يستطيعون العثور على غرفة الطعام" وأسرع كي يفتح الأبواب

"تهوى جيدًا" سبق السيدة مونتاجو صوتها واجتاحت غرفة الطعام، ربتت على كتف الدكتور سريعًا كتحية وجلست مع هزة رأس عامة للآخرين. بدأت تتحدث فورًا "يجب أن أقول إني أظن أنه قد يكون مناسبًا لو استدعيتمونا كي نفطر. أتصور أن كل شيء أصبح باردًا. هل القهوة معقولة؟"

"صباح الخير" قال لوك بتذمُّر واتخذ مقعدًا بينما يلفه إحساس متجهم وعصبي. كادت ثيودورا تقلب



إبريق القهوة في إسراعها كي تحضر فنجانًا للسيدة مونتاجو.

قالت السيدة مونتاجو: "يبدو أنه ساخن بما يكفي. سأتكلم مع السيدة دادلي هذا الصباح على كل حال. يجب تهوية الغرفة."

سأل الدكتور بخجل: "وليلتك؟ هل قضيتِ ليلة – إممم- مجدية؟"

"إن كنت تقصد مريحة عندما تقول مجدية يا جون فأتمنى أن تقول ذلك. لا، هو الرد على سؤالك المهذب. أنا لم أقضِ ليلة مريحة. لم أنَم مقدار رفة جفن. تلك الغرفة لا تطاق."

قال أرثر: "إنه منزل مزعج أليس كذلك؟ ظلَّ غصنٌ ما يطرق شبّاكي طوال الليل. كدت أن أجن. يطرق ويطرق."

"حتى مع فتح الشبابيك تظل الغرفة مكتومة. قهوة السيدة دادلي ليست سيئة مثل عنايتها بالمنزل. فنجان آخر لو سمحت. أنا متسغربة يا جون أنك وضعتني في غرفة غير جيدة التهوية. إن كان سيحدث أي تواصل مع من في الجانب الآخر فعلى دورة الهواء على الأقل أن تكون مناسبة. لقد شممت التراب طوال الليل."

قال أرثر للدكتور: "أنا لا أفهمك. تترك نفسك تتوتر بخصوص هذا المنزل. جلست طوال الليل بمسدسي

ولم يتحرك فأر. ما عدا هذا الغصن الجحيمي الذي يطرق نافذتي" ثم أسر لثيودورا "لقد كاد أن يدفعني للجنون".

زمجرت السيدة مونتاجو نحو زوجها قائلة: "لن نفقد الأمل بالطبع. قد يحدث ظهور ما الليلة."

***

"ثيو؟" تركت إلينور دفترها ونظرت ثيودورا التي كانت تخربش بانشغال وتنظر إلى الأعلى عابسة.

"كنت أفكر في شيءٍ ما."

"أنا أكره أن أكتب تلك الملاحظات. أشعر أني حمقاء لعينة تحاول كتابة أشياء مجنونة."

"كنت أتساءل."

"حسنا؟" ابتسمت ثيودورا قليلاً وقالت: "تبدين جادة جدًا. هل توصلتِ إلى قرار مهم؟"

"نعم" قالت إلينور وقررت "عمّا سأفعله لاحقًا. بعد أن نترك هيل هاوس."

"ثم؟"

قالت إلينور: "سآتي معك".

"تأتي معي إلى أين؟"

"أعود معك. أعود معك إلى المنزل. أنا" – وابتسمت إلينور بإرهاق – "سأتبعك إلى المنزل"

حدقت ثيودورا وسألت دون تعبير: "لماذا؟"

قالت إلينور وهي تتساءل أين سمعَث شخص يقول شيئًا مثل هذا من قبل "لم يكن لدي أي شخص أهتم به من قبل. أريد أن أكون في مكان أنتمي له."

قالت تيودورا بخفة: "ليس من عادتي أن آخذ القطط الشاردة معي إلى المنزل."

ضحكت إلينور أيضًا: "أنا قطة شاردة نوعًا ما، أليس كذلك؟"

"حسنًا" أمسكت تيودورا بقلمها مرة أخرى وقالت: "أنت لديكِ منزل خاص بك وستكونين سعيدة بالعودة إليه عندما يأتي الوقت يا نيل، يا نيللي. أتصور أنك ستكونين سعيدة بالعودة إلى المنزل. ما الذي قلتِه عن تلك الأصوات ليلة أمس؟ أنا لا أستطيع أن أصفهم."

"سآتي، كما تعرفين" قالت إلينور "أنا سآتي ببساطة."

"نيللي، نيللي" ضحكت تيودورا مرة أخرى وقالت "انظري. هذا مجرد صيف، زيارة لبضعة أسابيع لمنتجع جميل في الريف. لديكِ حياتك هناك في منزلك وأنا لدي حياتي. عندما ينتهي الصيف سنعود. سنتراسل بالطبع وربما نتزاور، ولكن هيل هاوس ليس للأبد كما تعرفين."

"سأجد عملاً. لن أعيقك."

رمت تيودورا قلمها بنفاد صبرٍ: "أنا لا أفهم. هل



تذهبين دائمًا حيث لست مرغوبة؟"

ابتسمت إلينور بسَكِينة وقالت: "لم أكن مرغوبة في أي مكانٍ."

***

قال لوك: "الأمر كله أمومي جدًّا. كل شيء ناعم. كل شيء مبطن. كراسٍ محتضنة ضخمة وأرائك تكتشف أنها قاسية وغير مرحبة عندما تجلس عليها. ترفضك فورًا.."

"ثيو؟" قالت إلينور بنعومة ونظرت إليها ثيودورا وهزت رأسها بحيرة.

"وأيادٍ في كل مكان. أيادٍ زجاجية صغيرة ناعمة تتقوص لك، تناديك.."

"لا" قالت ثيودورا "لن آخذك. ولا أريد أن أتكلم عن ذلك مرة أخرى."

قال لوك وهو يراقبهم: "ربما كان أكثر جانب منفر هو التركيز على الكرة. أطلب منكم أن تلاحظوا بحيادية غطاء المصباح المصنوع من قطع صغيرة المكسورة من الزجاج الملصقة معًا أو الكور الضخمة من الضوء على السلالم أو برطمان الحلوى المضلع المتقزح عند كوع ثيو. في غرفة الطعام هناك وعاء من زجاج أصفر قذر يقبع على يدي طفل مضمومتين وبيضة فصح من السكر داخلها صورة لرعاة يرقصون. سيدة بصدر عارم



تسند الدرابزين على رأسها وتحت الزجاج في غرفة المعيشة.."

"نيللي أتركيني وشأني. فلنتمشَّ إلى الجدول أو شيء مثل هذا."

"وجه طفل مطرز بالغرزة المتقاطعة. نيل لا تبدي قلقة هكذا. لم تفعل ثيو شيئًا سوى أنها اقترحت أن تتمشوا نحو الجدول. إن أحببتِ سآتي معكم."

"أي شيء" قالت ثيودورا.

"كي أخيف الأرانب إذا أحببتم. سأحمل عصا. إذا أحببتم لن آتي. فقط على ثيو أن تنطق الكلمة."

ضحكت ثيودورا: "ربما تفضِّل نيل أن تبقى هنا وتكتب على الحوائط."

"كم هذا قاسٍ" قال لوك "إنها فظاظة من جانبك يا ثيو."

قالت ثيودورا: "أود أن أعرف أكثر عن الرعاة الراقصين داخل بيضة الفصح."

"عالم بداخل بيضة. ستة رعاة ضئيلو الحجم يرقصون في بيضة فصح، وراعية فتاة ترتدي الزهري والأزرق تستند مستمتعة على شاطئ مليء بالطحالب وتستمتع. كان هناك زهور وأشجار وخرفان وحارس ماعز عجوز يعزف على ناي. أظن أني كنت أحب أن أكون راعي ماعز."

قالت تيودورا: "إن لم تكن مصارع ثيران."

"إن لم أكن مصارع ثيران. تذكري أن شؤون نيل هي حديث المقاهي."

"أنت بان[6]" قالت تيودورا "وستعيش في شجرة مجوفة يا لوك."

"نيل" قال لوك "أنتِ لا تنصتين."

"أظن أنك أخفتها يا لوك."

"لأن هيل هاوس سيكون ملكي في يومٍ ما بكنوزه المجهولة ووساداته؟ أنا لست حريصًا فيما يخص البيوت يا نيل. قد تنتابني نوبة قلق وأحطم بيضة الفصح أو أهشم يد الطفل الصغير أو أدبدب على الأرض وأصيح صاعدًا ونازلاً على السلم أخبط المصابيح المصنوعة من الزجاج الملتصق بعصا وأضرب على السيدة التي تحمل السلم على رأسها. قد..."

"هل ترى؟ لقد أخفتها"

قال لوك: "أعتقد أني قد فعلت بالفعل. يا نيل أنا أهزل ليس إلا."

قالت تيودورا: "لا أظن أنه حتى يملك عصا."

"بل لدي واحدة. نيل أنا أقول كلامًا فارغًا. ما الذي تفكر فيه يا تيو؟"

قالت تيودورا بحرصٍ: "إنها تريد أن آخذها معي إلى المنزل بعد أن نغادر هيل هاوس وأنا لن أفعل."



ضحك لوك "يا نيل السخيفة المسكينة. الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة. فلنذهب إلى الجدول"

"الفأرة الأم" قال لوك بينما ينزلون السلالم من الشرفة إلى الحديقة "ربة المنزل، الناظرة، سيدة الدار. أنا متأكد أني سأكون رب منزل سيئ جدًّا مثل أرثر عندما يصبح هيل هاوس ملكي."

قالت ثيودورا: "أنا لا أفهم أن يريد شخص أن يمتلك هيل هاوس" واستدار لوك ناظرًا إلى الخلف باستمتاع نحو المنزل وقال: "لا يمكن أن تعرفي ما الذي سترغبين فيه حتى تريه بوضوح. إن لم يكن لدي فرصة أبدًا في امتلاكه قد يختلف شعوري جدًّا. ما الذي يريده الناس من بعضهم البعض في الحقيقة. كما سألتني نيل ذات مرة. ما فائدة الآخرين؟"

قالت إلينور "موت أمي كان ذنبي أنا. لقد خبطتْ على الحائط ونادت ونادت ولكني لم أصحُ أبدًا. كان يجب أن أعطيها دواءها. كنت دائمًا أفعل من قبل ولكن في هذه المرة نادتني وأنا لم أستيقظ."

قالت ثيودورا: "كان يجب أن تكوني قد نسيتِ كل شيء الآن."

"أتساءل منذ وقتها إن كنت قد استيقظت فعلاً. إن كنت قد استيقظت وسمعتها وإن كنت قد عدت إلى النوم ببساطة. كان ذلك سيكون سهلاً وأنا تساءلت

عنه."

قال لوك: "استديروا هنا إن كنا ذاهبين إلى الجدول."

"أنت تقلقين كثيرًا يا نيل. في الأغلب أنت فقط تحبين أن تفكري في أنه كان ذنبك."

قالت إلينور: "كان ذلك سيحدث عاجلاً أم آجلاً. ولكن بالطبع أيًا كان الوقت الذي حدثت فيه سيكون ذنبي."

"إن لم يحدث لم تكوني ستأتي إلى هيل هاوس."

قال لوك: "سنذهب إلى هناك في طابور، نيل أنت أولاً."

تقدمت إلينور مبتسمة تركل بقدميها في راحة عبر الطريق. *الآن أعرف إلى أين أذهب. لقد حكيت لها عن امي فإذا ذلك جيد. سأجد بيتًا صغيرًا أو ربما شقة مثل شقتها. سأراها كل يوم وسنبحث معًا عن أشياء رائعة – صحون بأطراف مذهبة وقطة بيضاء وبيضة فصح من السكر وكوب به نجوم. لن أخاف أو أكون وحيدة بعد الآن. سأسمي نفسي إلينور فقط.* ثم سألتهم من خلفها "هل تتحدثان عني أنتما الاثنان؟"

بعد دقيقة جاوب لوك بأدب: "صراع بين الخير والشر من أجل روح نيل. على كل حال أتصور سيكون عليّ أن أكون أنا الإله."



قالت تيودورا متسلية: "بالطبع لا تستطيع هي أن تثق في أيِّ شخصٍ منَّا."

قال لوك: "ليس فيَّ أنا بالطبع."

قالت تيودورا: "كما أننا يا نيل لا نتحدث عنك إطلاقًا" وقالت للوك وهي شبه غاضبة "كما لو كنت مدرسة الألعاب."

كانت إلينور تفكر *لقد انتظرت لحظة مثل هذه لفترة طويلة وقد استحققت سعادتي أخيرًا*. قادتهم إلى قمة الجبل ونظرت إلى الأسفل نحو الخط الرفيع من الأشجار الذي لا بُدَّ أن يكونوا قد مروا به كي يصلوا إلى الجدول. كانوا رائعين مقابل السماء، مستقيمين وأحرارًا. كان لوك مخطئًا في أن كل شيء ناعم لأن الأشجار قوية مثل أشجار الأخشاب. *إنهم لا يزالوا يتحدثون عني، يتحدثون عن كيف أتيت إلى هيل هاوس ووجدت تيودورا ولن اتركها الآن*. من ورائها كانت تسمع همهمة أصواتهم حادة بالضغينة أحيانًا ومرتفعة بالسخرية أحيانًا وأحيانًا بها لمسة من الضحك أو ما يكاد أن يكون رفقة واستمرت في المشي حالمة تسمعهم يأتون من خلفها. استطاعت أن تعرف متى دخلوا في العشب الطويل بعدها بدقيقة لأنه العشب تحرك بصفير تحت أقدامهم وفزع الجندب الذي قفز بعيدًا هاربًا. قالت إلينور لنفسها يمكن *أن أساعدها* في



الدكان. إنها تحب الأشياء الجميلة وأنا سأذهب معها! نجد هذه الأشياء. يمكن أن نذهب إلى أي مكان يعجبنا! حتى إلى نهاية العالم إن أردنا ونعود عندما نريد. إنه يقول لها الآن أنه يعرف بأمري. أني لا أنخدع بسهولة وأن حائط من الدلفى يحيطني وهي تضحك لأني لن اكون وحيدة بعد الآن. إنهم يشبهون بعضهم كثيرًا وهم طيبون جدًا. أنا لم أكن أتوقع منهم القدر الذي يمنحونه لي. كنت على حق تمامًا أن آتي إلى هنا لأن الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة.

وصلت إلى تحت الغصون الجامدة للأشجار حيث تصبح الظلال باردة والجو ألطف بعد الشمس الساخنة على الممر. كان عليها الآن أن تمشي بقدرٍ أكبر من الحرص لأن الممر يقود إلى الأسفل وهناك صخور وجذور تقطع طريقها في بعض الأحيان. من ورائها تأتي أصواتهم سريعة وحادة ثم أكثر بطئًا وضاحكة. فكرت بسعادة *لن أنظر خلفي لأنهم سيعرفون وقتها ما افكر فيه. سنتحدث عنه في يومٍ ما معًا أنا وتيو عندما يكون لدينا وقت كثير. كما هو شعوري غريبًا* قالت لنفسها وهي تخرج من بين الأشجار إلى آخر جزء منحدر من الطريق المؤدي إلى الجدول *لقد علقت في نوع من الدهشة، أنا لا أزال سعيدة. لن أنظر حولي! حتى أصبح بجوار الجدول حيث كادت تقع في اليوم*



الذي أتينا فيه. سأذكرها لاحقًا بسمكتها الذهبية في الجدول وبنزهتنا.

جلست على الشاطئ الضيق الأخضر ووضعت ذقنها فوق ركبتيه ووعدت نفسها وهي تسمع أصواتهم وأصوات خطواتهم تأتي ببطء هابطة الجبل *لن أنسى هذه اللحظة الواحدة طوال حياتي*. قالت "أسرعوا" وهي تدير رأسها بحثًا عن تيودورا "أنا –" ثم صمتت. لم يكن هناك أي شخص على الجبل. لا شيء سوى الخطوات التي تأتي بوضوح هابطة على الطريق والضحك المستهزئ الخافت.

"من..؟" همست "من؟" كانت ترى العشب ينحني تحت الخطوات. ورأت جندب آخر يقفز مبتعدًا وحصوة تنط وتتدحرج. سمعت بوضوح احتكاك خطوات على الطريق ثم وهي تقف ثابتة عند الشاطئ سمعت ضحكًا قريبًا جدًا "إلينور، إلينور" وسمعته داخل وخارج رأسها. كان هذا نداء أنصتت كي تسمعه طيلة حياتها. توقفت الخطوات ووجدت نفسها في منتصف حركة هواء صلبة حتى أنها تعثرت وأمسك بها. سمعت "إلينور، إلينور" عبر تسارع الهواء مارًا بأذنيها "إلينور، إلينور" وأمسك بها بإحكام وأمان. قالت لنفسها *الجو ليس باردًا على الإطلاق، ليس باردًا على الإطلاق* وأغمضت عينيها ومالت إلى الوراء مستندة على



الشاطئ وفكرت لا تتركني ثم *أبقَ، أبقَ* بينما ينزلق الإحكام الذي أمسك بها تاركًا إياها ومتلاشيًا. سمعت مرة أخرى "إلينور إلينور" ثم وقفت بجوار الجدول ترتعش كما لو كانت الشمس قد غابت وتنظر بدهشة إلى الخطوات الخالية التي تتحرك عبر ماء الجدول محركة موجات صغيرة ثم فوق العشب على الجانب الآخر تتحرك ببطء ومداعبة فوق الجبل.

كادت تقول عودي. ووقفت ترتجف بجوار الجدول ثم استدارت وركضت بجنون صاعدة الجبل وهي تبكي بينما تركض وتنادي. "تيو؟ لوك؟" وجدتهم وسط مجموعة صغيرة من الأشجار يميلون على جذع شجرة ويتحدثون بنعومة ويضحكون. عندما ركضت نحوهم استداروا مندهشين وكانت تيودورا تكاد تكون غاضبة وهي تقول: "ماذا يمكن أن يكون ما ترديه هذه المرة؟"

"لقد انتظرتك بجوار الجدول.."

قالت تيودورا: "لقد قررنا أن نبقى هنا حيث الجو أكثر برودة. ظننا أنك سمعتِنا ونحن نناديكِ. ألم نفعل يا لوك؟"

"أوه نعم" قال لوك وهو محرج "كنا متأكدين أنك سمعتِنا نناديّ."

قالت تيودورا: "على كل حال كنا سنأتي بعد دقيقة. أليس كذلك يا لوك؟"

"نعم" قال لوك بابتسامة عريضة "أوه نعم."

***

قال الدكتور: "المياه الجوفية" وهو يهز شوكته "كلام فارغ. هل تقوم السيدة دادلي بكل الطهي؟ الأسبرجوس أكثر من مقبول. يا أرثر دع الشاب يساعدك في تناول الأسبرجوس."

قال الدكتور وهو ينظر بحب لزوجته: "يا عزيزتي لقد أصبحت عادتنا أن نرتاح لساعة أو أكثر بعد الغداء فإن كنت.."

"بالطبع لا. لدي الكثير جدًّا الذي يجب أن أفعله بينما أنا هنا. يجب أن أتحدث مع الطاهية. يجب أن أتأكد من تهوية غرفتي. يجب أن أحضر اللوح لجلسة أخرى هذا المساء. أرثر يجب أن ينظف مسدسه."

وافق أرثر: "علامة الرجل المقاتل هي الأسلحة النارية التي في حالٍ جيدٍ دائمًا."

"أنت وهؤلاء الشباب بإمكانكم أن ترتاحوا بالطبع. ربما لا تشعرون بالأهمية الملحة كما أشعر أنا. الأهمية الملحة جدًّا لأن أساعد تلك الأرواح المسكينة التي تهيم على وجهها هنا. ربما تجدونني حمقاء في تعاطفي معهم، ربما أنا حتى مثيرة للسخرية من وجهة نظرك لأني أستطيع أن أبذل دمعة زائدة من أجل روح ضائعة ومهجورة تركت دون أن تمتد لها يد المساعدة.



الحب الصافي.."

"كروكيه؟" قال لوك باستعجال "أقترح الكروكيه" ونظر بحماس من شخص إلى الآخر "بادمينتون؟ كروكيه.(7)؟"

أضافت ثيودورا لتساعد: "مياه جوفية؟"

قال أرثر بحسم: "لا أريد أي صلصات معقدة. أقول لزملائي إنها علامة الأوغاد" ونظر بتفكير عميق نحو لوك: "الصلصات المعقدة والنساء التي تقوم على خدمتك علامات على الأوغاد" وقال لثيودورا: "أناسي يخدمون أنفسهم. هذه هي علامة الرجال."

سألت ثيودورا بأدب: "وماذا تعلمهم أيضًا؟"

"أعلمهم؟ تعنين – هل يتعلم زملائي شيئًا؟ هل تعنين.. الجبر مثلاً؟ أو اللغة اللاتينية؟ بالطبع" أسند أرثر ظهره راضيًا "اترك كل هذا النوع من الأشياء للمدرسين."

مالت ثيودورا إلى الأمام بتهذيب، مهتمة كأنها تجري حديثًا مع ضيف وأرثر مستمتعًا "وكم زميلاً في مدرستك؟" على رأس الطاولة عبست السيدة مونتاجو وخبطت بإصبعها بنفاد صبر.

"كم؟ كم. أتعرفين أن لدينا فريق تنس رائعًا." وابتسم بسعادة لثيودورا "رائع. الأفضل على الإطلاق. دون أن أعد المختنثين؟"

قالت ثيودورا: "دون أن تعد المختثين."

"أو. التنس الجولف كرة المضرب والركض والكريكيت" ابتسم بخبث "لم تتصوري أننا نلعب الكريكيت أليس كذلك؟ ثم هناك السباحة والكرة الطائرة. بعض الرجال يشتركون في كل شيء." وقال لها بحماسة "الأصناف الكاملة. ربما سبعون في المجمل."

"أرثر" قالت السيدة مونتاجو التي لم تستطع أن تسيطر على نفسها "لا حديث عن العمل الآن. أنت في إجازة ألا تتذكر."

ابتسم أرثر بمحبة: "نعم. هذا سخف مني" وشرح لها "يجب أن أعود إلى سلاحي."

"الساعة الثانية". قالت السيدة دادلي من عند المدخل "سأنظف في الثانية".

***

ضحكت ثيودورا واختبأت إلينور في عمق الظلال خلف البيت الصيفي ووضعت يديها فوق فمها كي تمنع نفسها من الكلام ويعرفوا أنها هناك. كانت تقول لنفسها *يجب أن أعرف، يجب أن أعرف.*

قال لوك: "اسمها جرائم قتل جراتان، شيء رائع. أستطيع أنه أغنيها لك إن أردتِ."

"علامة وغد" ضحكت ثيودورا مرة أخرى "يا

مسكين يا لوك. كنت سأقول "ندل"".

"إن كنت تفضلين قضاء هذه الساعة القصيرة مع أرثر..."

"بالطبع أفضل أن أكون مع أرثر. الرجل المتعلم هو دائمًا رفيق منعش."

"كريكت" قال لوك "لم أكن سأفكر أننا نلعب الكريكيت، وأنت؟"

"غنٍّ، غنٍّ" قالت تيودورا وهي تضحك.

غنى لوك بصوت أنفي غير منغم وهو يؤكد على كل كلمة على حدة.

"في البداية كانت الآنسة جراتان

حاولت ألا تسمح له بالدخول

طعنها بسكين الذرة

وهكذا بدأت الجرائم

الثانية كانت الجدة جراتان

عجوز متعبة ورمادية

قاومت مهاجمها حتى خارت قواها

التالي كان الجد جراتان

يجلس بجوار المدفأة

زحف خلفه

وخنقه بسلك

الأخير كان البيبي جارتان

في سريره الجرار

خبزه مع لحم الضلوع

حتى مات الطفل

وبزق ماء التبغ

على رأسه الذهبية

عندما انتهى كانت هناك لحظة صمت. قالت تيودورا بصوت خافت "إنها رائعة يا لوك. مكتملة الجمال. لن أسمعها مرة أخرى دون أن أفكر فيك."

قال لوك: "أنوي أن أغنيها لأرثر" تساءلت إلينور في الظلال متى سيتحدثون عني؟ بعد دقيقة أكمل لوك بشكل لاهٍ: "أتساءل ما الذي سيكون عليه كتاب الدكتور عندما يكتبه؟ هل تظنين أنه سيضعنا فيه؟"

"في الأغلب ستظهر كباحث روحانيات شاب جاد. وأنا كسيدة لها مواهب لا يمكن إنكارها ولكن لها سمعة مشكوك فيها."

"أتساءل إن كانت السيدة مونتاجو ستنال فصلاً كاملاً وحدها."

"وأرثر والسيدة دادلي. أتمنى ألا يختزلنا جميعًا في أرقام في جدول."

"أتساءل أتساءل" قال لوك "هذا المساء دافئ. ما الذي يمكن أن نفعله لترطيب الجو؟"

"يمكن أن نطلب من السيدة دادلي أن تصنع عصير

الليمون."

"أتعرفين ما أريد أنا أفعله؟" قال لوك "أريد أن أستكشف. دعينا نتبع الجدول إلى الجبال ونرى من أين ينبع. ربما هناك بحيرة في مكان ما ويمكننا أن نسبح."

"أو شلال. إنه يبدو وكأنه جدول يجري بشكل طبيعي من شلال."

"تعالَ إذًا".. سمعت إلينور ضحكهم وصوت أقدامهم تجري في الطريق إلى المنزل وهي تسترق السمع خلف البيت الصيفي.

***

قال صوت أرثر بأسلوب شخص يسعى بجرأة أن يكون مسليًا "ها هو شيء مثير للاهتمام، هنا في هذا الكتاب. إنه يحكي كيف تصنع الشموع من ألوان الشمع العادية المخصصة للأطفال."

"هذا مثير للاهتمام" قال الدكتور بصوت منهك "إن آذنت لنا يا أرثر يجب أن أكتب ملحوظات كثيرة."

"بالطبع يا دكتور. لدينا جميعًا عمل. ولا صوت".

كانت إلينور تتصنت خارج باب غرفة الجلوس وسمعت الأصوات الخافتة المزعجة لأرثر وهو يستقر كي يهدئ.

قال أرثر "لا يوجد الكثير الذي يمكن عمله هنا أليس كذلك؟ كيف تمضون الوقت عامة؟"

"في العمل" قال الدكتور باختصار

"هل نكتب ما يحدث في المنزل؟"

"نعم."

"هل أنا مذكور هنا؟"

"لا."

"يبدو أنك يجب أن تضيف ملحوظاتنا عن اللوح. ما الذي تكتبه الآن؟"

"أرثر. هل تستطيع أن تقرأ أو شيئًا مثل هذا؟"

"بالطبع. لم أقصد أن أكون مزعجًا" سمعت إلينور أرثر يمسك كتابًا ثم يضعه مرة أخرى ويشعل سيجارة ويتنهد ويتململ وأخيرًا يقول "اسمع، ألا يوجد أي شيء يمكن فعله هنا؟ أين الجميع؟"

تكلم الدكتور بصبر ولكن بلا اهتمام. "تيودورا ولوك ذهبوا ليستكشفوا الجدول على ما أظن. وأتصور أن الآخرين في مكان ما هنا. بل في الحقيقة أعتقد أن زوجتي تبحث عن السيدة دادلي."

"أوه" تنهد أرثر مرة أخرى "يستحسن أن أقرأ إذًا" ثم وبعد دقيقة "قل لي يا دكتور. أنا لا أريد أن أزعجك ولكن اسمع ما يقال هنا في هذا الكتاب..."

***

"لا" قالت السيدة مونتاجو "أنا لا أؤمن بإلقاء الشباب معًا للاختلاط يا سيدة دادلي. إن كانت زوجي قد استشارني قبل أن يرتب هذه الحفلة المنزلية الغريبة.."



"حسنًا" كان ذلك صوت السيدة دادلي وإلينور التي كانت ملتصقة باب غرفة الطعام حدقت وفتحت فمها على اتساعه بجوار اللواح الخشبية للباب "أنا دائمًا ما أقول يا سيدة مونتاجو إنك لا تكون شابًا سوى مرة واحدة. هؤلاء الشباب يستمتعون بوقتهم وهذا طبيعي بالنسبة للصغار."

"ولكن أن يعيشوا تحت سقف واحد.."

"المسألة ليست وكأنهم ليسوا كبارًا بما يكفي ولا يعرفون ما هو صحيح وما هو خاطئ. تلك السيدة الجميلة ثيودورا كبيرة بما يكفي لتعتني بنفسها على ما أظن بغضّ النظر عن قدر مرح السيد لوك."

"أحتاج فوطة أطباق جافة يا سيدة دادلي من أجل الفضية. أظن أن الطريقة التي يتربى بها الأطفال هذه الأيام حيث يعرفون كل شيء مخجلة. يجب أن يكون هناك بعض الأشياء الغامضة بالنسبة لهم. أشياء أكثر تنتمي بصرامة للكبار وعليهم انتظار الوقت المناسب لمعرفتها".

كان صوت السيدة دادلي مرتاحًا وسلسًا "إذًا سيعرفون بالطريقة الصعبة. دادلي أتى بثمار الطماطم هذه من الحديقة هذا الصباح. لقد كانوا جيدين هذا العام."

"هل أبدأ بهم؟"



"لا. أوه لا، اجلسي هنا واستريحي لقد فعلتِ ما يكفي. سأضع الماء على النار ونتناول فنجانًا جيدًا من الشاي."

***

قال لوك وهو يبتسم عبر الغرفة لإلينور: "الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة. هل هذا الفستان الأزرق الذي ترتديه تيو ملكك فعلاً؟ لم أرَه من قبل."

"أنا إلينور" قالت تيودورا بشرٍّ "لأن لدي لحية."

قال لوك لإلينور: "كنت حكيمة عندما جئت بملابس تكفي لاثنين. لم تكن تيو ستبدو بنصف هذا القدر من الجمال في سترتي القديمة."

"أنا إلينور" قالت تيو "لأني أرتدي الأزرق. أنا أحب حبي بالألف لأنه أثيري. أسمها إلينور وتعيش في حالة توقع."

قالت إلينور لنفسها من بعيد *إنها* خبيثة. من على بعد كبير بدا كأنها تستطيع أن تراقب الناس وتستمع إليهم. والآن ظنت أن تيو تتخابث ولوك يحاول أن يكون لطيفًا. *لوك يخجل من نفسه لأنه يضحك عليّ وهو يخجل من تيو لأنها* خبيثة. "لوك" قالت تيودورا بنصف التفاتة إلى إلينور "تعالي وغني لي مرة أخرى."

"لاحقًا" قال لوك بعدم ارتياح "لقد حضر الدكتور قطع الشطرنج" واستدار في شيء من التسرع.



أمالت تيودورا رأسها، منزعجة، على ظهر الكرسي وأغلقت عينيها مصممة بوضوح ألا تتحدث. جلست إلينور تنظر إلى يديها وتستمع إلى الأصوات في المنزل. في مكان ما في الطابق الأعلى أُغلِق باب بهدوء. لمس طائر البرج لبرهة ثم طار. في المطبخ كان الموقد يهدئ ويبرد بصرير ناعم. تحرك حيوان – أرنب؟- عبر الشجيرات بجوار البيت الصيفي. كانت تستطيع بوعيها الجديد بالمنزل أن تسمع حتى التراب وهو ينتقل بنعومة في العليات والخشب وهو يشيخ. فقط المكتبة كان مغلقة دونها. لم تكن تستطيع أن تسمع التنفس الثقيل للسيدة مونتاجو وأرثر أمام لوحهم أو أسئلتهم المتحمسة، لم تكن تستطيع أن تسمع الكتب وهي تتعفن أو الصدأ وهو يتسلل إلى السلم الحديد المستدير المؤدي إلى البرج. في غرفة الجلوس الصغيرة كانت تستطيع أن تسمع دون أن ترفع عينيها دقات أصابع تيودورا والصوت الهادئ لقطع الشطرنج وهي ترتب. سمعت باب المكتبة وهو يفتح بقوة وخطوات الأقدام الحادة الغاضبة وهي تأتي إلى غرفة الجلوس الصغيرة ثم استداروا جميعًا بينما السيدة مونتاجو تفتح الباب وتخطو إلى الداخل.

قالت السيدة مونتاجو وتنفسها حاد ومنفجر: "يجب حقًّا أن أقول أن هذا أكثر شيء مثير للأعصاب.."



"يا عزيزتي" نهض الدكتور أشارت السيدة مونتاجو له بغضب أن يتنحى جانبًا. قالت "إن كان لديك حُسن الخلق كي.." أتى أرثر من خلفها بجبن، وتحرك متجاوز إياها وهو يكاد يتسلل واستقر في كرسي بجوار النار. هز رأسه بإنهاك عندما التفتت نحوه تيودورا.

"الحد الأدنى من الأخلاق يا جون. في نهاية الأمر لقد أتيت كل هذه المسافة كما جاء أرثر فقط كي نساعد وأنا قطعًا يجب أن أقول إني لم أثق إلى أن تقابلني بهذا التشكك والارتياب، أنت دون عن جميع الناس، وهؤلاء..." أشارت إلى إلينور وتيودورا ولوك "كل ما أطلبه، كل ما أطلبه هو الحد الأدنى من الثقة، فقط القليل من التعاطف مع كل ما أحاول فعله وبدلاً عن ذلك أنت لا تصدق، أنت تستهزئ وتسخر وتتهكم" هزت إصبعها نحو الدكتور وهي تتنفس بثقل ووجهها أحمر. "اللوح" قالت بمرارة "لن يتحدث معي الليلة. لم تصلني كلمة واحدة من اللوح كنتيجة مباشرة لاستهزائك وتشكك. من المحتمل جدًا ألا يتحدث معي اللوح لأسابيع – أستطيع أن أقول لك إنه قد حدث ذلك من قبل. لقد حدث من قبل عندما عرضته لتوبيخ غير المؤمنين. لقد اختبرت صمت اللوح لأسابيع وأقل ما يمكن أن أتوقعه وأنا أجيء إلى هنا كما فعلت بدون أي شيء سوى أفضل الدوافع هو بعض الاحترام" هزت



إصبعها نحو الدكتور دون أن تنطق كلمة للحظة.

"يا عزيزتي" قال الدكتور "أنا واثق أنه لم يتدخل أيٌّ منا عن معرفة."

"ألم تتهكم وتسخر؟ متشككًا من كلمات اللوح أمام عينيك؟ هؤلاء الشباب متطاولون ومتعجرفون."

"يا سيدة مونتاجو، حقًّا..." قال لوك ولكن السيدة مونتاجو مرت بجواره وأجلست نفسها وشفتاها مغلقتان بإحكام وعيناها تبرقان. تنهد الدكتور وبدأ في الكلام ثم توقف. استدار بعيدًا عن زوجته وأشار للوك كي يعود إلى طاولة الشطرنج. تبعه لوك بتحفز وقال أرثر وهو يتلوّى في كرسيه بصوت منخفض لثيودورا "أتعرفين أني لم أرَها منزعجة هكذا أبدًا. انتظار اللوح تجربة تعيسة. إنه يشعر بالإهانة بسهولة. حساس للجو" عاد إلى الاسترخاء في جلسته وابتسم بخجل ويبدو أنه صدّق أنه قد شرح الموقف بشكل وافٍ. كانت إلينور بالكاد تسمع متسائلة بنصف وعي عن الحركة في الغرفة. قالت لنفسها باهتمام *شخص ما كان* يتمشى. لوك كان يذرع الغرفة جيئة وإيابًا ويتحدث بصوت منخفض مع نفسه. هي بالتأكيد طريقة غريبة للعب الشطرنج؟ يدندن؟ يغني؟ لمرة أو مرتين استطاعت أن تفهم كلمة أو مقطع ثم تحدث لوك. كان عند طاولة الشطرنج حيث كان يجب أن يكون



واستدارت إلينور ونظرت إلى منتصف الغرفة الفارغ حيث كان شخص ما يمشي ويغني بصوت منخفض ثم سمعت بوضوح:

اذهب وتمشَّ في الوادي

اذهب وتمشَّ في الوادي

اذهب وتمشَّ في الوادي

كما فعلنا من قبل

أنا أعرف هذه، قالت لنفسها وهي تستمع وتبتسم للنغمة الخفيضة *كنا نلعب هذه اللعبة. أنا أتذكر هذا.*

كانت السيدة مونتاجو تقول لثيودورا "أنه ببساطة أكثر الآلات دقة وتشابكًا". كانت لا تزال غاضبة ولكنها تلين بشكل مرئي تحت تأثير اهتمام ثيودورا المتعاطف. "أقل أجواء عدم التصديق يهينه بالطبع. ماذا ستشعرين إن رفض الناس أن يؤمنوا بك؟"

ادخلي واخرجي من النافذة

ادخلي واخرجي من النافذة

ادخلي واخرجي من النافذة

كما فعلنا في السابق

كان الصوت خفيفًا، ربما كان مجرد صوت طفل يغني بعذوبة وحدة على أقل الأنفاس وابتسمت إلينور وتذكرت سماع الأغنية بشكل أوضح من صوت السيدة مونتاجو الذي يستمر في الكلام عن اللوح.



تقدمي وواجهي حبيبك

تقدمي وواجهي حبيبك

تقدمي وواجهي حبيبك

كما فعلنا في السابق

سمعت النغمة الصغيرة وهي تتلاشى وشعرت بأقل حركة للهواء بينما تقترب منها الخطوات وشيء كاد يلمس وجهها. ربما كانت هناك تنهيدة صغيرة بجوار خدها واستدارت متفاجئة. كان لوك والدكتور منحنيين فوق رقعة الشطرنج وأرتر يميل نحو تيودورا ليتحدث معها بخصوصية والسيدة مونتاجو تتكلم.

فكرت بسعادة *لم يسمعه أحد منهم. لم يسمعه أحد سواي.*

---

(6) إله المراعي والصيد في الأساطير الإغريقية

(7) ألعاب رياضية إنجليزية قديمة.

(9)

أغلقت إلينور باب غرفة النوم خلفها بهدوءٍ غير راغبة في إيقاظ ثيودورا مع أنها فكرت أن صوت غلق الباب كان بالكاد سيزعج أيّ شخصٍ ينام بعمق مثل ثيودورا. قالت لنفسها وهي تُطمئن نفسها *لقد تعلمت أن أنام نومًا خفيفًا جدًّا عندما كنت أستمع لأمي*. كان البهو مظلمًا لا ينيره سوى ضوء ليلي صغير فوق السلم وجميع الأبواب مغلقة. قالت إلينور لنفسها وهي تخطو بلا صوت على قدميها الحافيتين *من الغريب أن هذا هو المنزل الوحيد الذي عرفته حيث لا تضطر أن تقلق من إصدار أصوات ليلاً أو على الأقل أن يعرف أحد أنه ذلك هو أنت*. كانت قد أفاقت بفكرة أن تهبط إلى المكتبة ولكن ذهنها أعطاها سببًا: شرحت لنفسها *أنا لا أستطيع أن أنام لذا فأنا ذاهبة إلى الطابق السفلي لأجيء بكتاب. إن سألني أي شخص أين أنا ذاهبة الرد سيكون إلى المكتبة في الأسفل كي آخذ كتابًا لأني لا أستطيع أن أنام. الجو دافئ. دافئ بشكل يجلب النعاس ويوحي بالرفاهية*. نزلت السلم حافية القدمين وصامتة ثم إلى باب المكتبة حيث قالت لنفسها ولكن *أنا لا أستطيع أن أذهب إلى هناك. هذا غير مسموح به لي* – ارتدت عند المدخل في مواجهة رائحة العفن التي



أصابتها بالغثيان. "أمي" قالت بصوت عالٍ وخطت سريعًا إلى الوراء. ردَّ عليها صوتٌ واضحٌ من الطابق الأعلى "تعالي" واستدارت إلينور متلهفة وأسرعت تصعد السلم. قالت بنعومة "أمي؟" ثم مرة أخرى "أمي؟" طفت ضحكة ناعمة صغيرة نحوها وركضت مقطوعة الأنفاس تصعد السلالم وتوقفت عند القمة ونظرت إلى اليمين واليسار على الأبواب المغلقة بطول البهو. قالت "أنت هنا في مكانٍ ما" وارتد صدى خافت في عمق البهو ينزلق في همس على تيارات الهواء الضئيلة. قال "في مكانٍ ما، في مكان ما". تبعته إلينور ضاحكة وركضت بلا صوت في البهو نحو غرفة الأطفال. كانت البقعة الباردة قد اختفت ورفعت رأسها لتضحك للوجهين المبتسمين نحوها في الأسفل. همست خارج الباب "هل أنت هنا؟ هل أنت هنا؟" وطرقت الباب، خبطته بقبضتها. "نعم؟" كانت السيدة مونتاجو في الداخل وكان واضح أنها صحت لتوِّها "نعم؟ ادخل أيًا مَن كنت."

لا، لا فكرت إلينور وهي تحضن نفسها وتضحك في صمت. *ليس هنا، ليس مع السيدة مونتاجو*. وتسللت عبر البهو وهي تسمع السيدة مونتاجو تنادي وراءها: "أنا صديقتك. أنا لا أنوي أي أذى. ادخل وقل لي ما الذي يزعجك."



قالت إلينور لنفسها بحكمة *لن تفتح الباب. إنها ليست خائفة ولكنها لن تفتح الباب*. وطرقت ودقت على باب أرثر وسمعت شهقة أرثر وهو يصحو. رقصت والأرض طرية تحت قدميها حتى وصلت إلى الباب الذي تنام خلفه ثيودورا. قالت لنفسها ثيو *الغدارة القاسية الضاحكة، انهضي، انهضي* وطرقت وخبطت على الباب وهي تضحك وهزت المقبض ثم ركضت سريعًا عبر البهو إلى باب لوك وطرقته. قالت لنفسها *انهض وكن وفيًا. ليفتح أي منهم بابه سيجلسون بالداخل مع بطاطينهم مضمومة حولهم يرتعشون ويتساءلون عمّا سيحدث لهم بعد ذلك. استيقظ*، قالت لنفسها وهي تطرق باب الدكتور *أنا أتحداك أن تفتح بابك وتخرج لتراني أرقص في بهو هيل هاوس*.

عندها فاجأتها ثيودورا بأن صاحت بجنونٍ "نيل؟ نيل؟ دكتور، لوك، نيل ليست هنا!" قالت إلينور لنفسها *المنزل المسكين، لقد نسيت إلينور*. سيكون عليهم الآن *أن يفتحوا أبوابهم* وركضت سريعًا وهبطت السلالم، وسمعت من خلفها صوت الدكتور يعلو بقلق وثيودورا وهي تنادي "نيل؟ إلينور؟" قالت لنفسها *يا لهم من حمقى*. سيكون *عليّ الآن أن أذهب إلى المكتبة*. همست "أمي، أمي، أمي" وتوقفت أمام باب المكتبة شاعرة بالغثيان. سمعتهم من خلفها يتكلمون في البهو العلوي.



قالت لنفسها *هذا غريب. أنا أشعر بالبيت كله* وسمعت السيدة مونتاجو تحتج وأرثر ثم الدكتور يقول بوضوح: "يجب أن نبحث عنها، أسرِعوا من فضلكم."

حسنًا يمكن أن أسرع أنا أيضًا. وركضت في الممر نحو غرفة الجلوس الصغيرة حيث التمعت النار لها لبرهة عندما فتحت الباب وجلست قطع الشطرنج حيث ترك الدكتور ولوك لعبتهم. الشال الذي كانت ثيودورا ترتديه كان ملقى على ظهر كرسيها. قالت إلينور لنفسها *وهذا أيضًا، زينتها البائسة التي تليق بخادمة،* ووضعت طرفه بين أسنانها وشدت فقطعته ثم ألقته عندما سمعتهم خلفها على السلم. كانوا يهبطون معا قلقين ويقولون لبعضهم البعض أين يبحثون أولاً منادين كل برهة "إلينور؟ نيل؟". من مكان آخر في المنزل سمعت من بعيدٍ "أنا قادمة؟ أنا قادمة؟" وسمعت السلم يهتز تحت أقدامهم والجندب يتململ على العشب. ركضت في الممر مرة أخرى جريئة وفرحة واسترقت النظر إليهم من عند المدخل. كانوا يتحركون معًا بانتظام حريصين على البقاء متجاورين بينما مصباح الدكتور يمسح البهو ويتوقف عند الباب الكبير الذي كان مفتوحًا على مصراعيه. انطلقوا جميعًا عبر البهو وهم يصيحون "إلينور، إلينور" وخرجوا جميعًا معًا من الباب الأمامي ينظرون وينادون بينما

المصباح يتحرك باحثًا بإلحاح. تعلقت إلينور بالباب وهي تضحك حتى امتلأت عيناها بالدموع. قالت لنفسها كم هم حمقى، إننا نخدعهم بسهولة إنهم بطيئون ومصابون بالصمم تمامًا وثقيلون. إنهم يدوسون جميع أرجاء المنزل ينغزون ويتلصصون بخشونة. ركضت عبر البهو ومن باب غرفة الألعاب إلى غرفة الطعام ومن هناك إلى المطبخ ذي الأبواب. قالت لنفسها *المكان هنا، أستطيع أن أذهب إلى أي اتجاه عندما أسمعهم*. عندما عادوا إلى البهو الأمامي متخبطين وينادونها انطلقت نحو الشرفة إلى الليلة الباردة. وقفت وأدارت ظهرها إلى ضباب هيل هاوس وتكورت حول كاحليها ونظرت إلى الأعلى نحو الجبال الضاغطة الثقيلة. قالت لنفسها وهي متجمعة براحة داخل الجبال، محمية ودافئة *هيل هاوس محظوظ جدًا*.

"إلينور؟" كانوا قريبين جدًا وركضت بطول الشرفة ثم انطلقت إلى غرفة المعيشة وقالت "هيو كراين، هل تأتي لترقص معي؟" انحنت أمام التمثال الضخم المائل فلمعت عيناه وبرقت فوقها. الأنوار التي انعكست لمست التماثيل الصغيرة والكراسي المذهبة. رقصت بوقار أمام هيو كراين الذي كان ينظر إليها وهو يلمع. غنت "ادخل واخرج من الشباك" وشعرت بأن شخصًا



يمسك يديها. غنت "ادخل واخرج من الشباك" ورقصت داخلة وخارجة من الشرفة. دارت ودارات حول المنزل وفكرت في أنهم جميعًا لا يرونها. لمست باب المطبخ وهي تعبره وعلى بعد ستة أميال ارتعدت السيدة دادلي في نومها. وصلت إلى البرج الذي يقبع في حضن البيت الضيق، في قبضة البيت الضاغطة ومشت ببطءٍ أمام أحجاره الرمادية دون أن يسمح لها بلمسه حتى من الخارج. ثم استدارت ووقفت أمام الباب الضخم. كان الباب مغلقًا مرة أخرى. وضعت يدها عليه وفتحته دون جهدٍ. قالت لنفسها *وهكذا ادخل هيل هاوس* وخطت *إلى الداخل كما لو كان ملكها*. بصوت عالي قالت "ها أنا ذا. لقد لففت في أرجاء المنزل داخلة وخارجة من النوافذ ورقصت.."

"إلينور؟" كان صوت لوك وفكرت من *بينهم جميعًا اقل شخص أريده أن يمسك بيه هو لوك*. فكرت باستجداء لا تدعه يراني واستدارت وركضت دون توقف إلى المكتبة.

قالت لنفسها *وها أنا ذا. ها أنا بالداخل*. لا يوجد برد *مطلقًا، ولكن الجو دافئ بحنان ولذة*. كان الضوء كافيًا بالنسبة لها كي ترى السلم الحديدي يلتف ويلتف صاعدًا في البرج والباب الصغير في الأعلى. تحت قدميها تحركت الأرض الحجرية مداعبة، تحك نفسها



تحت كعوب قدميها ومن كل مكان حولها لمسها الهواء الناعم مقلبًا شعرها ومارًا على أصابعها وآتيًا في نسمة خفيفة عبر فمها ورقصت هي في دوائر. قالت لنفسها *لا اسود حجرية لي، لا دلفي لقد حطمت تعويذة هيل هاوس ونجحت بطريقة ما أن أدلف إلى الداخل. أنا في المنزل* قالت ذلك لنفسها وتوقفت في دهشة بسبب الفكرة. أنا في المنزل، *أنا في المنزل والآن عليّ أن اتسلق.*

كان تسلق السلم الحديدي مُسِكرًا –تصعد أعلى وأعلى وتدور وتدور، تنظر إلى الأسفل وتتعلق بالدرابزين الحديدي الرفيع وتنظر نحو الأسفل البعيد البعيد إلى الأرض الحجرية. وهي تتسلق وتنظر إلى الأسفل كانت تفكر في العشب الناعم الأخضر في الخارج والجبال الممتدة والأشجار الغنية. فكرت وهي تنظر إلى الأعلى أن هيل هاوس يرتفع في انتصار بين الشجر عاليًا فوق الطريق الذي يتلوى عبر هيلسديل يتجاوز بيتًا أبيضَ يتوسط زهور ويتجاوز الدلفي المسحور ويتجاوز الأسود الحجرية ويستمر بعيدًا بعيدًا إلى سيدة عجوز ستصلين من أجلها. قالت لنفسها *الوقت انتهى الآن كل هذا قد ذهب وتُرك جانبًا وتلك السيدة المسكينة العجوز لا تزال تصلي من اجلي.*

"إليونورا"

لدقيقة لم تستطع أن تتذكر من هم (هل كانوا ضيوفها في المنزل ذي الأسود الحجرية؟ يتعشون على طاولتها الطويلة المضاءة بالشموع؟ هل قابلتهم في الحانة فوق الجدول المتقلب؟ هل أتى أحدهم يركب نازلاً من على جبل أخضر والشارات ترفرف؟ هل ركض أحدهم بجوارها في الظلام؟ ثم تذكرت وسقطوا في أماكنهم التي ينتمون لها) وترددت متعلقة بالدرابزين. كانوا صغيرين وبلا تأثير. وقفا بعيدًا في الأسفل على الأرض الحجرية وأشاروا نحوها. نادوها وأصواتهم كانت ملحّة وبعيدة جدًا.

"لوك" قالت وهي تتذكر. كانوا يستطيعون سماعها لأنهم كانوا هادئين حين تحدثت. قالت "دكتور مونتاجو، السيدة مونتاجو. أرثر" لم تكن تتذكر اسم الأخرى التي وقفت صامتة على مسافة قصيرة.

"إلينور" قال الدكتور مونتاجو "استديري بحرص شديد واهبطي السلالم ببطء. تحركي ببطء شديد جدًا جدًا يا إلينور. تمسكي بالدرابزين في جميع الأوقات. والآن استديري واهبطي."

"طالبتهم السيدة مونتاجو "ما الذي تفعله هذه المخلوقة؟" كان شعرها ملفوفًا في بكر شعر والروب الخاص بها عليه تنين عند البطن "اجعلوها تهبط كي



نعود إلى أسِرّتنا. أرثر، اجعلها تهبط فورًا."

بدأ أرثر الكلام "انظري" وتحرك لوك نحو أسفل السلم وبدأ في الصعود.

قال الدكتور بينما يتحرك لوك بانتظام: "انتبه إلى نفسك بحق الله. هذا الشي تعفن حتى انفصل عن الحائط". قالت السيدة مونتاجو بتأكيد "لن يتحملكما معًا. سيسقط على رأسكم. أرثر، تحرك إلى هنا بجوار الباب."

نادى الدكتور: "إلينور هل تستطيعين أن تستديري وتبدأي في الهبوط ببطء". لم يكن هناك شيء فوقها سوى الباب السري المؤدي إلى قمة البرج. وقفت على المنصة الضيقة الصغيرة في الأعلى ودفعت الباب السري ولكنه لم يتحرك. طرقته بقبضتها بلا جدوى تقول لنفسها بإلحاح *اجعله* ينفتح، *اجعله* وإلا سيمسكون بي. نظرت إلى الوراء واستطاعت أن ترى لوك وهو يتسلق بثبات ويدور ويدور. قال "إلينور. قفي ثابتة. لا تتحركي" وكان صوته يشي بالخوف. قالت لنفسها لا *أستطيع أن أهرب*. ونظرت إلى الأسفل. رأت وجهًا واحدًا بوضوح وأتى إلى ذهنها الاسم فقالت "تيودورا"

"افعلي ما يقولونه لك يا نيل. من فضلك."

"تيودورا؟ أنا لا أستطيع أن أخرج. لقد أغلق الباب

بالمسامير."

"صحيح لقد أغلق بالمسامير" قال لوك "وهذا من حظك أيضًا يا فتاتي". كان يتسلق ويقترب ببطء وقد أشرف على الوصول إلى المنصة الضيقة فقال: "ابقِي ساكنة تمامًا."

قال الدكتور: "ابقِي ساكنة تماما يا إلينور."

قالت تيودورا: "نيل، من فضلك افعلي ما يقولونه."

"لماذا؟" نظرت إلينور إلى الأسفل ورأت مسقط البرج تحتها يسبب الدوار. كان حديد السلم يتعلق بحوائط البرج ويهتز والدرجات تكاد تكسر تحت قدمي لوك والأرض الحجرية الباردة والوجوه البعيدة الشاحبة.

سألت بقلة حيلة: "كيف يمكنني أن أنزل. يا دكتور.. كيف يمكنني أن أنزل؟"

"تحركي ببطءٍ جدًا. افعلي ما يقوله لك لوك."

قالت تيودورا: "نيل، لا تخافي. سيكون كل شيء على ما يرام حقًا."

قال لوك وهو يعبس: "بالطبع سيكون على ما يرام. في الأغلب عنقي أنا فقط هو ما سيكسر. تمسكي جيدًا يا نيل. أنا سأصعد على المنصة. أنا أريد أن أتجاوزكِ كي تنزلي أمامي". لم يبدُ وكأنه يلهث كثيرًا بالرغم من التسلق ولكن يده ارتعشت وهو يمدها كي يمسك بالدرابزين وكان وجهه مبتلاً. قال بحدة "هيًا". تشبثت

إلينور بمكانها وقالت "في آخر مرة طلبت مني أن أسبقك لم تتبعني."

قال لوك: "ربما سيكون عليّ أن أدفعك فوق الحافة وأتركك تتحطمين هناك على الأرض. احترمي نفسك وتحركي ببطء. تجاوزيني وابدئي في نزول السلم. وفقط تمني أن أستطيع مقاومة إغراء أن أدفعك."

تحركت باستكانة على المنصة وضغطت نفسها إلى الحائط الحجري الصلب بينما يتحرك لوك بحرصٍ ليتجاوزها "ابدئي في الهبوط" قال لها "سأكون خلفك تمامًا".

اهتز السلم الحديدي مع كل خطوة يكاد يتداعى وهي تتحسس طريقها متعثرة. نظرت إلى يدها على الدرابزين، بيضاء من قوة إمساكها به وقدماها العاريتان تخطوان واحدة تلو الأخرى خطوة بخطوة وتتحرك باعتناء شديد ولكن لا تنظر مرة أخرى إلى الأسفل نحو الأرض الحجرية أبدًا.

قالت لنفسها مرة تلو الأخرى /هبطي ببطءٍ شديدٍ وهي لا تفكر في أكثر من السلالم التي بدا وكأنها تكاد تنثني وتنبعج تحت قدميها /هبطي ببطء شديد جدًا/ جدًا/ جدًا/ . "اثبتي" قال لوك من خلفها. "انتبهي يا نيل، لا يوجد شيء تخافي منه. نحن قد وصلنا تقريبًا."

لا إراديًا مدّ الدكتور وثيودورا أيديهم تحتها كما لو



كانوا مستعدين للإمساك بها إن وقعت ومرة عندما تعثرت إلينور وفاتتها سلمة، اهتز الدرابزين بينما هي تتعلق به فشهقت تيودورا وركضت كي تمسك بنهاية السلم. كررت مرارًا "لا بأس يا نيللي، لا بأس، لا بأس."

قال الدكتور: "لم يبقَ سوى مسافة قليلة."

مررت إلينور قدمها لسلمة واحدة تلو الأخرى وهي تزحف، وأخيرًا وقبل أن تكاد تصدق هبطت من السلم للأرض الحجرية. من خلفها اهتز السلم وطقطق بينما لوك يقفز من على السلالم الأخيرة ويمشي بثبات عبر الغرفة ليقع على كرسي ويتوقف برأسه محنية وهو يرتعش. استدارت إلينور ونظرت إلى الأعلى نحو البقعة العالية بشكل لا نهائي حيث كانت تقف عند السلم الحديدي الملتف والمعوج والمتأرجح على حائط البرج وقالت بصوتٍ خافتٍ: "لقد ركضت إلى الأعلى. ركضت طوال المسافة."

تحركت السيدة مونتاجو بثبات إلى الأمام بعيدًا عن المدخل حيث كانت هي وأرثر تحتميان من الانهيار المحتمل للسلم. سألت برقة شديدة: "هل يتفق أحد معي في التفكير أن هذا الشابة سببت لنا ما يكفي من المتاعب لليلة؟ أنا عن نفسي أود أن أعود إلى السرير وكذلك أرثر."

بدأ الدكتور في الكلام "هيل هاوس.."



"أستطيع أن أقول لكم إن هذا الهراء الطفولي لقد دمر بالتأكيد أي فرصة لظهور هذه الليلة. أنا بالتأكيد لا أنتظر أن أرى أي من أصدقائنا من الجانب الآخر بعد هذا العرض الهزلي فإن آذنتم لي جميعًا – وإن كنت متأكدة أنك قد انتهيتِ من ادعائك وعرضك وإيقاظك للأشخاص المشغولين – فسأقول تصبحون على خير. أرثر" وخرجت السيدة مونتاجوا مكتسحة المدخل بينما يعبث التنين ويرعش من الغضب.

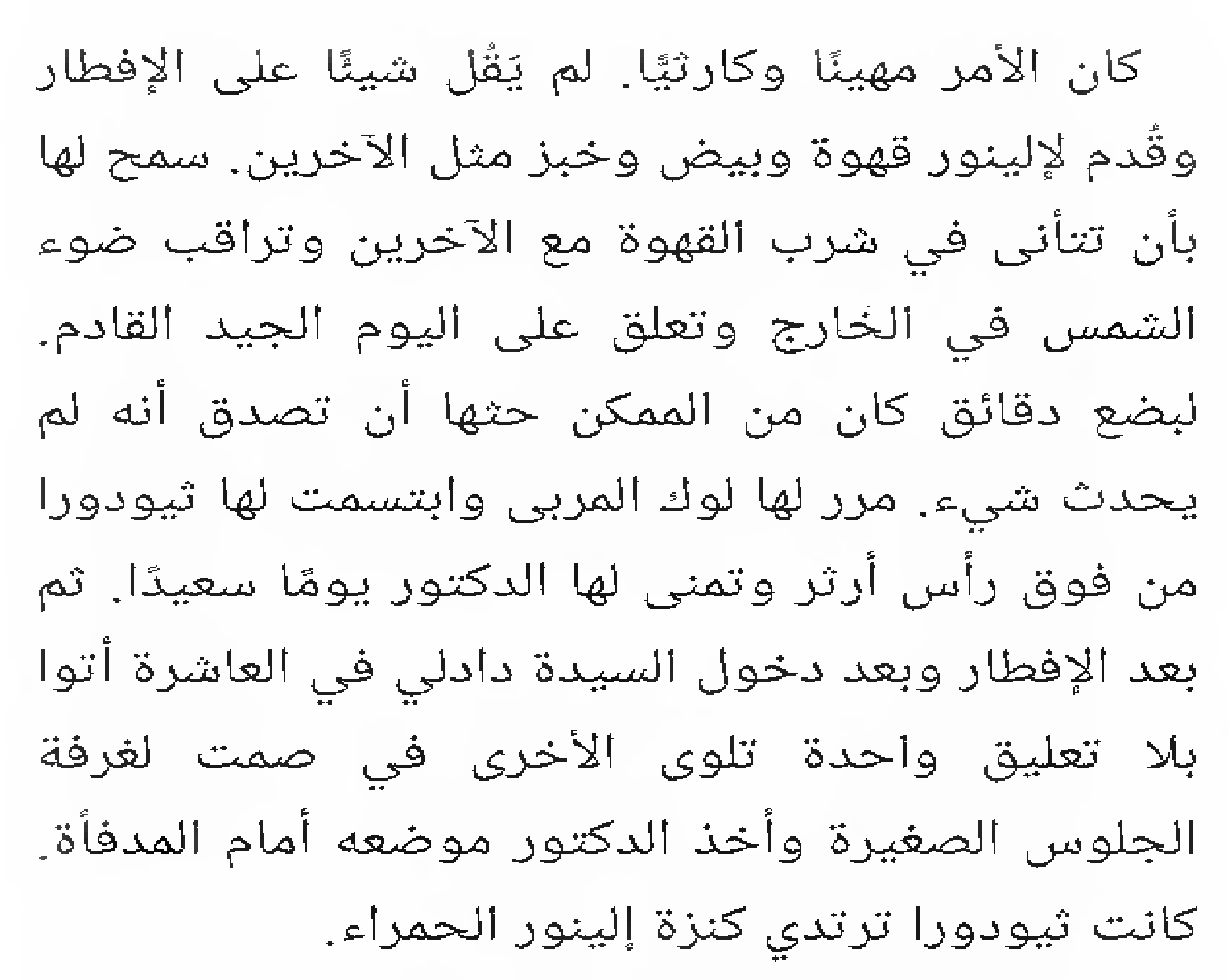
قالت إلينور وهي تنظر إلى الدكتور وثيودورا: "لوك كان خائفًا."

وافقها قائلاً من خلفها: "لوك كان خائفًا بالتأكيد. لوك كان خائفًا حتى إنه كاد لا يهبط من هناك. كم أنتِ مخبولة يا نيل."

قال الدكتور وهو منزعج "أميل للاتفاق مع لوك" وأدارت إلينور وجهها باتجاه ثيودورا التي قالت "أتصور أنه كان عليكِ أن تفعليها يا نيل.."

قالت إلينور: "أنا بخير" ولم تستطع أن تستمر في النظر إلى أي منهم. نظرت مندهشة إلى قدميها الحافيتين وأدركت فجأة أنهم حملوها دون إحساس هابطين السلم الحديد. فكرت وهي تنظر إلى قدميها ثم رفعت رأسها وقالت: "لقد نزلت إلى المكتبة كي آخذ كتابًا"

***



كان الأمر مهينًا وكارثيًا. لم يَقُل شيئًا على الإفطار وقُدم لإلينور قهوة وبيض وخبز مثل الآخرين. سمح لها بأن تتأنى في شرب القهوة مع الآخرين وتراقب ضوء الشمس في الخارج وتعلق على اليوم الجيد القادم. لبضع دقائق كان من الممكن حثها أن تصدق أنه لم يحدث شيء. مرر لها لوك المربى وابتسمت لها تيودورا من فوق رأس أرثر وتمنى لها الدكتور يومًا سعيدًا. ثم بعد الإفطار وبعد دخول السيدة دادلي في العاشرة أتوا بلا تعليق واحدة تلوى الأخرى في صمت لغرفة الجلوس الصغيرة وأخذ الدكتور موضعه أمام المدفأة. كانت تيودورا ترتدي كنزة إلينور الحمراء.

قال الدكتور بلطف: "سيجلب لك لوك سيارتك" وبرغم من ما يقوله إلا أن عينيه كانتا متفهمتين وودودتين. "تيودورا، ستذهب إلى الطابق العلوي وتحزم أغراضك."

ضحكت إلينور: "لن تستطيع. لن يكون معها شيء لترتديه."

بدأت تيودورا في الكلام: "نيل.." وتوقفت ورمقت السيدة مونتاجو التي هزت كتفيها وقالت "لقد تفحصت الغرفة. بالطبع. لا أستطيع أن أتصور أن أيًا منكم لم يفكر في فعل ذلك."

قال الدكتور معتذرًا: "كنت سأفعل ذلك ولكني فكرت..."

"أنت دائمًا تفكر يا جون، وهذه هي مشكلتك. بالطبع أنا تفحصت الغرفة فورًا."

"غرفة تيودورا؟" سأل لوك "لن أحب أن أدخل إلى هناك مرة أخرى."

"لا توجد فيها مشكلة."

قالت تيودورا للدكتور: "لقد دخلت ونظرت إلى ملابسي. إنهم بخير تمامًا."

"الغرفة تحتاج لتنظيف بالطبع ولكن ما الذي تتوقعه إذا أوصدت الباب ولم تستطع السيدة دادلي أن..."

ارتفع صوت الدكتور فوق صوت زوجته "لا يمكن أن أقول لك كم أنا آسف. إن كان هناك أي شيء أستطيع فعله..."

ضحكت إلينور وقالت: "ولكني لا أقدر أن أغادر" متسائلة أين تجد الكلمات التي تساعدها في الشرح.

قال الدكتور: "لقد قضيتِ وقتًا طويلاً هنا."

حدقت بها تيودورا وقالت بصبر: "أنا لا أحتاج ملابسك. ألم تسمعي السيدة مونتاجو الآن؟ أنا لا أحتاج ملابسك وحتى لو احتجتهم فلن أرتديهم الآن. يا نيل يجب عليكِ أن ترحلي عن هنا."

قالت إلينور وهي لا تزال تضحك لأنه من المستحيل

تمامًا أن تشرح: "ولكني لا أقدر أن أرحل."

"يا سيدتي" قال لوك بجدية "لم يعد مرحب بكِ كضيفتي."

"ربما كان من الأفضل أن يقود أرثر السيارة بك إلى المدينة. أرثر هل يمكن أن تتأكد أن تصل هي إلى هناك بأمان."

هزت إلينور رأسها نحوهم وهي تشعر بشعرها الجميل الثقيل حول وجهها "أصل إلى أين؟ أصل إلى أين؟" قالت بسعادة.

قال الدكتور: "إلى المنزل بالطبع" وقالت تيودورا "إلى منزلك الصغير يا نيل. شقتك حيث توجد جميع أشيائك" وضحكت إلينور.

قالت لثيودورا: "ليس لدي شقة. لقد اخترعتها. أنا أنام على سرير في منزل أختي في غرفة الطفل. ليس لدي أي منزل. لا مكان مطلقًا. ولا أستطيع العودة إلى أختي لأني سرقت سيارتها." ضحكت وهي تسمع كلماتها عاجزة تمامًا وحزينة لدرجة أنها لا تقدر على النطق "لا منزل. كل شيء أملكه في هذا العالم في صندوق في سيارتي. هذا كل ما لدي. بعض الكتب والأشياء التي كانت لي وأنا طفلة وساعة أعطتها لي أمي. لذا فكما ترين لا يوجد مكان يمكنكم أن ترسلوني إليه."



كانت تريد أن تقول لهم يمكنني *بالطبع أن أستمر وأستمر* وهي ترى دائمًا وجوههم الخائفة المحدقة. *يمكنني أن أستمر وأستمر وأترك ملابسي لثيودورا. يمكنني أن أمضي متسكعة وبلا منزل، مشردة، وسأعود إلى هنا دائمًا.* سيكون من الأبسط السماح لي بالبقاء، أكثر عقلانية، كانت تريد أن تقول لهم وأسعد.

قال لهم: "أريد أن أبقى هنا."

قالت السيدة مونتاجو بإحساس بالأهمية: "لقد تحدثت مع أختك بالفعل ويجب أن أقول إن أول ما سألت عنه هو السيارة. شخصية فجة. قلت لها إن عليها ألا تخاف. كنت مخطئا جدًا يا جون أن تتركها تسرق سيارة أختها وتأتي إلى هنا."

بدأ الدكتور مونتاجو في الكلام: "يا عزيزتي" ثم توقف فاردًا يديه بقلة حيلة.

"على أي حالٍ فهم يتوقعونها. كانت الأخت منزعجة مني جدًا لأنهم كانوا قد خططوا للرحيل إلى عطلتهم اليوم مع أني لا أدري لمَ تنزعج مني أنا.." عبست السيدة مونتاجو في وجه إلينور "أظن أن على شخص ما أن يتأكد أنها ستصل إلى أيديهم في أمان."

هز الدكتور رأسه وقال ببطء: "سيكون خطأ أن نرسل واحدًا منا معها. لا بُدّ أن ندعها تنسى كل شيء عن هذا المنزل بأسرع وقت ممكن. لا يمكننا أن نطيل



الارتباط. فور أن تصبح بعيدة عن هنا ستعود إلى نفسها مرة أخرى" وسأل إلينور "هل يمكنك أن تجدي طريقك إلى المنزل؟" فضحكت.

قالت ثيودورا: "سأذهب وأنهي تحضير حقيبتها. لوك افحص سيارتها واجلبها إلى هنا. ليس لديها سوى حقيبة واحدة."

"دفنت حية في حائط" بدأت إلينور تضحك مرة أخرى لوجوههم المتحجرة.

قالت: "دفنت حية في حائط. أنا أريد أن أبقى هنا."

***

صنعوا حاجزا صلبا على سلالم هيل هاوس ليحرسوا الباب. من وراء رؤوسهم كانت تستطيع أن ترى النوافذ تنظر إلى الأسفل وعلى أحد الجوانب يقف البرج منتظرًا في ثقة. كان من الممكن أن تبكي كانت ستبكي إن كانت قادرة على التفكير في طريقة لشرح سبب بكائها لهم. عوضًا عن ذلك ابتسمت بانكسار للبيت وهي تنظر إلى نافذتها، إلى الوجه المتسلي الواثق للمنزل وهو يراقبها في صمت. فكرت في أن المنزل ينتظر الآن وكان ينتظرها هي. لم يكن أي شخص آخر سيرضيه. قالت للدكتور "المنزل يريدني أن أبقى" فحدّق بها. كان يقف متخشبًا وبكثيرٍ من الرقي كما لو كان يتوقع أن تختاره بدلاً من المنزل، كما لو كان يفكر



أنه لأنه أحضرها إلى هنا فيقدر إن عكس تعليماته أن يعيدها مرة أخرى. كان يدير ظهره تمامًا للمنزل وقالت وهي تنظر إليه بصفاء "أنا آسفة، أنا آسفة جدًا حقًا."

قال بعقلانية "ستذهبين إلى هيلسديل" ربما كان خائفًا من أن يقول أكثر من اللازم. ربما ظن أن كلمة طيبة أو متعاطفة قد ترتد ضده وتعيدها مرة أخرى. كانت الشمس تشرق على الجبال والمنزل والحديقة والعشب والأشجار والجدول. استنشقت إلينور عميقًا ثم استدارت لترى كل شيء. "في هيلسديل استديري عند شارع خمسة شرقًا. عند أشتون سيقابلك شارع تسعة وثلاثون وهذا سيعيدك إلى المنزل" أضاف ببعض الإلحاح "لأمانك الشخصي يا عزيزتي صدقيني، إن كنت قد توقعت ذلك.."

"لا يمكن أن نخاطر كما تعرفين. لا يمكن أن نخاطر أبدًا. أنا لا زلت أبدأ في فهم المخاطرة الرهيبة التي كنت أطلبها منكم جميعًا. والآن..." تنهد وهز رأسه ثم سأل: "هل تتذكرين؟ إلى هيلسديل ثم شارع خمسة..."

"اسمع" وصمتت إلينور لدقيقة وهي تريد أن تقول لهم جميعًا كيف كان الأمر بالضبط وأخيرًا قالت "لم أكن خائفة. أنا حقًا لم أكن خائفة. أنا بخير الآن. أنا كنت – سعيدة" نظرت بصراحة للدكتور وقالت: "سعيدة. لا أعرف ما الذي يمكن أن أقوله" خائفة مرة



أخرى من أنها على وشك البكاء "أنا لا أريد أن أبتعد عن هنا."

قال الدكتور بحسم: "قد يكون هناك مرة أخرى. ألا تستطيعين أن تفهمي أننا لا يمكن أن نخاطر؟"

ارتبكت إلينور وقالت بحماقة: "شخصٌ ما يصلي من أجلي. سيدة التقيتها منذ وقت طويل."

كان صوت الدكتور طيبًا، ولكنه خبط بقدمه بنفاد صبر وقال "ستنسين كل هذا سريعًا بما يكفي. يجب أن تنسي كل شيء عن هيل هاوس. لقد أخطئت جدا عندما أتيت بك إلى هنا."

سألت إلينور فجأة: "كم من الوقت مرَّ عليكم هنا؟"

"أكثر قليلاً من أسبوع. لماذا؟"

"إنه الوقت الوحيد الذي حدث فيه أي شيء لي. أنا أحبه."

قال الدكتور: "هذا هو السبب في أنك ترحلين بسرعة."

أغلقت إلينور عينيها وتنهدت وهي تشعر وتسمع وتشم المنزل. كانت شجيرة مزهرة وراء المطبخ مثقلة بالرائحة وتحركت المياه لامعة فوق الأحجار. بعيدًا في الطابق الأعلى في غرفة الأطفال ربما تجمعت دوامة صغيرة من الريح وكنست الأرض حاملة التراب معها. في المكتبة اهتز السلم الحديدي ولمع الضوء على



العيون الرخامية لهيو كراين. علق قميص ثيودورا الأصفر مهندمًا وغير مبقع وكانت السيدة دادلي تعد طاولة الغداء لخمسة أشخاص. راقب هيل هاوس متعاليًا وصبورًا. قالت إلينور للنوافذ العالية: "أنا لن أرحل."

قال الدكتور: "سترحلين" مبديًا نفاد صبره أخيرًا "فورًا".

ضحكت إلينور واستدارت وهي تمد يدها وقالت: "لوك" فتحرك باتجاهها في صمتٍ "شكرًا لأنك أنزلتني أمس. كان ذلك خطأ مني. أعرف ذلك الآن وأنت كنت شجاعًا جدًا."

قال لوك "لقد كان كذلك فعلاً. كان ذلك فعل شجاعة يفوق بكثير أي فعلٍ آخر في حياتي. وأنا سعيد أن أراكِ ترحلين يا نيل لأني قطعًا لن أفعله مرة أخرى."

قالت السيدة مونتاجو "حسنًا، يبدو لي أنك إن كنت سترحلين فيفضل أن تفعلي. لا تزعجني الوداعات الدامعة أني شخصيًا أشعر أنك تبالغين في نظرتك إلى هذا المكان. ولكني أعتقد أن لدينا أشياء أهم لنفعلها من أن نقف هنا لنتجادل بينما نعرف جميعًا أن عليكِ أن ترحلي. ستستغرقين وقت في كل الأحوال كي تعودي إلى المدينة وأختك تنتظر كي تذهب إلى عطلتها."



هز أرثر رأسه وقال: "الوداعات الدامعة لا تعني شيئًا لي أنا شخصيًا."

بعيدًا في غرفة الجلوس الصغيرة تساقط الرماد بنعومة في المدفأة.

قالت السيدة مونتاجو: "جون، ألا يكون من الأفضل أن يقوم أرثر.."

"لا" قالها الدكتور بقوة "على إلينور أن تعود كما جاءت."

سألت إلينور: "ومن عليّ أن أشكر على هذا الوقت الرائع؟"

أخذها الدكتور من ذراعها ولوك على الجانب الآخر وقادوها إلى السيارة وفتحوا لها الباب. كان الصندوق لا يزال على الكرسي الخلفي وكانت حقيبة ملابسها على الأرض ومعطفها ومحفظتها على المقعد. كان لوك قد ترك المحرك دائرًا. قالت إلينور "يا دكتور" وهي تتمسك به "دكتور".

فردّ "أنا آسف. مع السلامة."

قال لوك بأدبٍ: "قودي السيارة بحرصٍ."

قالت بعصبية: "لا يمكن أن تجبروني على الرحيل ببساطة أنتم جئتم بي إلى هنا."

قال الدكتور "وأنا أرسلك إلى المنزل. لن ننساكِ يا إلينور ولكن الآن الأمر الوحيد المهم هو أن تنسي أنت

هيل هاوس وتنسينا جميعًا. مع السلامة."

"مع السلامة" قالت السيدة مونتاجو من على السلم

وقال أرثر "مع السلامة. رحلة سعيدة."

ثم توقفت إلينور ويدها على باب السيارة واستدارت "تيو؟" قالت بتساؤل وركضت تيودورا من أعلى السلالم نحوها وقال: "أوه يا نيللي. يا نيلليتي.. كوني سعيدة. من فضلك كوني سعيدة. لا تنسيني فعلاً. في يومٍ ما ستصبح الأمور جيدة مرة أخرى فعلاً وستكتبين خطابات لي وأنا سأرد عليها وسنزور بعضنا البعض ونتسلى بالحديث عن الأشياء المجنونة التي فعلناها ورأيناها وسمعناها في هيل هاوس.. أوه نيللي! كنت أظن أنك لن تودعيني."

قالت لها إلينور: "مع السلامة."

قالت تيودورا بخجل: "نيللي" ومدت يدها لتلمس خد إلينور. "اسمعي.. ربما في يوم ما يمكن أن نلتقي هنا مرة أخرى؟ ونقوم بنزهتنا عند الجدول؟" قالت للدكتور: "لم نَقُم بنزهة أبدًا".

قالت إلينور للسيدة مونتاجو: "مع السلامة. مع السلامة يا أرثر. مع السلامة يا دكتور. أتمنى أن ينجح كتابك. لوك مع السلامة ومع السلامة."

"نيل" قالت تيودورا "من فضلك انتبهي لنفسك."

"مع السلامة".. قالت إلينور وانزلقت إلى داخل

سيارتها التي بدت غير مألوفة وغريبة. قالت لنفسها *لقد اعتدت بالفعل على رفاهية هيل هاوس* وذكّرت نفسها أن تخرج يدها من شباك السيارة وتلوح. نادت "مع السلامة" متسائلة إن كان هناك أي كلمة أخرى يمكنها أن تقولها. عبثت بيدها بشكل أخرق وأفلتت الفرامل وتركت السيارة تتحرك ببطء.

ردوا تحيتها ملوحين لإحساسهم بالواجب وهو يقفون ثابتين ينظرون إليها.

سيراقبونني وأنا أسير بالسيارة حتى لا يعودوا يرونني. إن التهذيب يحتم عليهم أن ينظروا إليّ حتى اغيب عن البصر. إذًا أنا أرحل الآن. الرحلات تنتهي بلقاء الأحبة. ولكني لن أرحل. وضحكت بصوت عالٍ وحدها. *هيل هاوس ليس سهلًا مثلهم. لا يستطيعون ان يجعلوني أرحل بمجرد أن يقولوا لي أن أذهب.* غنت "ارحلي يا إلينور. اذهبي بعيدًا يا إلينور نحن لا نريدك بعد الآن في هيل هاوس الذي يخصنا" وبما تعتبره هي مهارة داست سريعا وبقوة على مكبح السرعة. قالت لنفسها *لن يركضوا سريعًا بما يكفي كي ليلحقوا بي هذه المرة ولكن لا بُدّ أنهم بدأوا يدركون الآن. أتساءل من سيلاحظ أولاً؟ لوك بالتأكيد. أستطيع أن أسمعهم ينادون الآن والأقدام الصغيرة تركض عبر هيل هاوس وصوت الجبال الناعم يقترب. أنا أفعلها بالفعل*، وأدارت



عجلة القيادة نحو الشجرة الكبيرة عند استدارة الطريق. أنا أفعلها حقًّا، أنا أفعل ذلك كله وحدي الآن أخيرًا. هذه أنا. أنا حقًّا حقًّا حقًّا أفعل ذلك بنفسي.

في الثانية المنفجرة اللا نهائية السابقة على اصطدام السيارة بالشجرة فكرت بوضوح *لماذا أفعل هذا؟ لماذا أفعل هذا؟ لماذا لا* يوقفوني؟

***

ارتاحت السيدة ساندرسون بشدة لسماعها بأن الدكتور مونتاجو ومجموعته قد تركوا هيل هاوس. قالت لمحامي العائلة إنها كانت ستطردهم إن أبدى الدكتور مونتاجو أي رغبة في البقاء. هدئ صديق تيودورا وشعر بالندم، ولكنه فرح لرؤيتها تعود مبكرًا. لوك رحل إلى باريس حيث كانت خالته تتمنى أن يبقى لفترة. وتقاعد الدكتور مونتاجو أخيرًا من مساعيه التعليمية بعد الاستقبال البارد الذي كاد أن يكون هازئًا لمقاله التمهيدي الذي يحلل فيه الظواهر الروحانية في هيل هاوس. هيل هاوس نفسه، وهو غير عاقل، وقف أمام تلاله يحمل الظلام بداخله. وقف لثمانين عامًا وسيقف لثمانين أخرى. داخله استمرت الحوائط قائمة والتقت الحجارة بعناية وكانت الأرض صلبة والأبواب مغلقة باتزان. والصمت مستند في صمتٍ على خشبٍ، وأحجار هيل هاوس وأي ما كان يمشي هناك، يمشي



وحيدًا.